الْبَاقِياتُ الصَّالِحاتُ الْخَمْسُ

مَعانِيها وفَضائِلُها وَفَوائِدُها وآثارُها فِي تزكيةِ النَّفْسِ



تأليف

الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا

الْبَاقِياتُ الْصَّالِحاتُ الْخَمْسُ

مَعانِيها وفَضَائِلُها وَفَوائِدُها وآثارُها فِي تزكيةِ النَّفْسِ

تأليف

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي حمِدَ نفسَه في محكم الآيات، وحمده رسلُه وأنبياؤه بأحسن العبارات وحمدته ملائكتُه والصالحون من عباده في سائر الأوقات، بل وشدا بحمده جميع الكائنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها مغفرة الخطايا والزلات ورفع الدرجات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين بأفضل الرسالات وأحكم وأيسر التشريعات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ننال بها تزكية الفوس والبعد عن المخالفات.

أما بعد: فمما هو معلوم أن من أفضل العبادات الإكثار من ذكر الله تعالى، ونصوص الكتاب والسنة في بيان فضائله كثيرة جدًّا، ولكن أكتفي في هذه العجالة أن أذكِّرَ بآية واحدة وحديث واحد.

أما الآية فهي قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ): ومن أجمع وأجمل ما ورد في تفسيرها قول الرازي رحمه الله تعالى: (أَذْكُرْكُمْ) للناس في هذه الآية عبارات:

الأولى: اذكروني بطاعتي أَذْكُرْكُمْ برحمتي.

الثانية: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة والإحسان وهو بمنزلة قوله تعالى:(ادعوني أستجب لكم)[غافر: 60]ـ وهو قول أبي مسلم، قال: أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء.

فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة.

الثالثة: اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة [1].

وأما الحديث: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى) [2].

قال العز بن عبدالسلام في قواعده: (هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، بَلْ قَدْ يَأْجُرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَلِيلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْجُرُ عَلَى كَثِيرِهَا، فَإِذًا الثَّوَابُ يَتَرَتَّبُ عَلَى تَفَاوُتِ الرُّتَبِ فِي الشَّرَفِ) اهـ

وقال المناوي في فيض القدير: (فإن جَمِيع الْعِبَادَات من الْإِنْفَاق ومقاتلة الْعَدو وَغَيرهمَا وَسَائِل ووسائط يُتَقَرَّب بهَا إِلَى الله وَالذكر هُوَ الْمَقْصُود الْأَعْظَم وَالْقلب الَّذِي تَدور عَلَيْهِ رَحا جَمِيع الْأَدْيَان) اهـ.

* * *   * * *   * * *

وكما جاءت النصوص بالترغيب في الذكر جاءت بالترغيب في الإكثار منه، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

---

[1]- في الآية عشرة أقوال اكتفيت بهذه الثلاث اختصارًا.

[2]/ رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (صحيح) – حيث رقم (1493).

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) سورة الأحزاب (41-43) وقد تكرر الأمر بالإكثار منه في آيات عديدة مما يدلك أيها القارئ على أهمية وضرورة الإكثار من الذكر. وقد بيَّن بعض العلماء أن الأمر في الآية ليس أمر بالذكر بل أمر بالإكثار من الذكر.

ويمكن أن نعتبر تفسيرها في قوله صلى الله عليه وسلم: (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)[3]. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: (الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرَاتِ)؛ رواه مسلم.

وأفضل الذكر - بعد تلاوة القرآن - الباقيات الصالحات الخمس وهي الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في بيان فضلها ومنزلتها - كما سيأتي بيانه في الفصل الأول - وكثير من المسلمين يرددها آناء الليل وأطراف النهار وبعد الصلوات لكن لا يجد أثرها في حياته - تزكيةً للنفس وطهارةً للقلب - إلا فئة قليلة منهم، وهم الذين فهموا معانيها وأحضروا قلوبهم عند ترديدها.

وبناءً على ما سبق أحببت أن أبين في هذه الرسالة الموجزة معانيها وفضائلها وفوائدها وآثارها في تزكية النفس، لأن الذكر النافع هو الذي توافر ت فيه ثلاثة شروط: ما فَهِم الذاكر معناه، وما حضر فيه القلب حضورا تاما، كما قال تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) سورة ق (37)، وكان كثيرًا لأن الذكر قليل نفعه قليل.

[3]- قال المناوي في فيض القدير: سبق المفردون أي المنفردون المعتزلون عن الناس مِن فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى. روي بتشديد الراء وتخفيفها؛ قال النووي في الأذكار: والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد؛ انتهى.

ومن أهم مقاصد هـذه الرسـالة بعـد بيـان فضـائل الباقيـات الصالحات التركـيز على بيـان فوائـدها وكيفيـة الوصـول إلى تزكية النفس بسبب الإكثار منها.

ولذا قال العلامة الساحلي رحمه الله تعالى [4]:

إن الذاكر إذا أدار لفظ الذكر على لسانه، وتابعه الفكر بتدبر معناه المـرة بعـد المـرة، انطبـع مقتضـى ذلـك المعـنى في النفس، فحلَّاهـا ذلـك المقتضـى بمـا تضـمنه من الصـفات الحميـدة، وانتفى عنهـا مـا يغـايره من الصـفات الذميمـة، وبحسـب الـدؤوب والمداومـة على الـذكر كمـا ذُكـر، يكـون استحكام اتصاف النفس بما يقتضيه الذكر من الصفات حتى يصير ذلك لها طبعا يصعب عليهـا العـدول عنـه، ولا شـك أن الجوارح تتبع النفس فيما تتحلى به فتعمل بمقتضاه.

وبـذلك يظهـر صـدق اتصـاف النفس بمقتضـى الـذكر الـذي يذكره ويردده، وهكذا يكون العمل على التزكية عن الصفات الذميمة، والتحلية بالصفات الحميدة حتى إذا تخلصت النفس من كدوراتها، واطمأنت بخالقها، فذلك هو المطلوب.

وقـال ابن القيم رحمـه اللـه تعـالى: فأمـا الـذكر باللسـان والقلب لاهٍ فهـو قليـل الجـدوى،لأن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قـال: (اعلمـوا أن اللـه لا يقبـل الـدعاء من قلب لاه) رواه الحاكم و الترمذي وحسنه.

---

[4]- كتاب بغيـة السـالك في أشـرف المسـالك - للعلامـة: محمـد بن محمـد بن أحمد الساحلي (ت: 754) – ص(38) –بتصرف.

وقـد أسـميت هـذه الرسـالة: الْبَاقِيـاتُ الْصَّـالِحاتُ الْخَمْسُ مَعانِيها وفَضَائِلُها وَفَوائِدُها وآثارُها فِي تزكيةِ النَّفْسِ.

منهجي في البحث:

1- قمت بمعالجة الرسالة في ستة فصـول فصـلت فيهـا الكلام على كلمات عنوانهـا أعـني وهي مَعانِيهـا وفَضَـائِلها وَفَوائِدها وآثارها فِي تزكيـةِ النَّفْسِ غـير أني عبَّرتُ عن تزكيـة النفس بكلمة الروحانيات لما فيه من الإشارة إلى التخليـة والتحلية، إضافة إلى التمهيد والخاتمة.
2- قمت بإحصاء المواطن التي ذُكرت فيها الباقيات الصـالحات في القـرآن الكـريم فمثلًا (لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ) وردت في سـبعة وثلاثين موضعًا وهكذا في البقية.
3- قمت بإحصاء المواطن والأوقات التي يُستَحب فيها ذكر كل واحدة من هذه الكلمات الخمس المباركات.
4- قمت بتفسير الآيات التي وردت مـورد الاسـتدلال كمـا قمت بتخريج الأحـاديث اعتمـادًا على موقـع الـدرر السـنية النبويـة وشرحها في الغالب الأعم لاستكمال الفائدة.
5- كما حرصـت على ذكـر بعض القصـص الواقعيـة - في بعض لفصـول - الـتي يتـبين من خلالهـا التطـبيق العملي لهـذه الكلمات الخمس المباركات.

هذا واللهَ الكريمَ أسأل أن يجعل عملي كلـه صـالحًا ولوجهـه خالصًا وأن لا يجعل فيه لأحد من خلقه شيئًا، وأسـاله تعـالى أن يرفـع بهـذه الرسـالة قـدرَ كاتبِهـا وكـلَّ مَن يطّلـع عليهـا فيستفيد منها وكل من يسعى في نشـرها أو يـدل عليهـا في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

وكتبها أخوكم: أحمد خضر حسنين الحسن

29/ صفر/ 1442 ه الموافق: 16/ أكتوبر/ 2020 م

*** *** ***

التمهيد

بيان اهتمام السلف بالإكثار من الذكر

هـذه بعض أحـوال الـذاكرين ممن شـرفهم واصـطفاهم رب العـالمين لتلـذذ بـذكره والاسـتمتاع بمناجاتـه، نتعـرف عليهـا راجين الوصول الى التشبه بحالهم لكى نرضى ربنـا ونـذكره بما يليق به على مراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسـلم .[5]

كان لأبي هريرة رضي الله عنه خيـطٌ فيـه ألفـا عُقـدة، فلا يُنام حتّى يُسبِّحَ به.

وكـان خالـد بنُ معـدان رحمـه اللـه تعـالى: يُسـبِّحُ كـلَّ يـوم أربعين ألف تسبيحة سوى مـا يقـرأ من القـرآن، فلمـا مـات وضـع على سـريره ليغسـل، فجعـل يُشـير بأصـبعه يُحركهـا بالتسبيح.

[5]- هذه الآثار منقولة عن جامع العلوم والحكم (موقع الكلم الطيب).

وقيل لعمير بن هانئ رحمه الله تعالى: ما نرى لسانَك يَفتُـرُ، فكم تُسبِّحُ كلَّ يوم؟ قال: مئة ألـف تسـبيحة [6]، إلا أنْ تُخطئ الأصابع، يعني أنَّه يَعُدُّ ذلك بأصابعه.

وقال عبد العزيز بنُ أبي رَوَّاد رحمه الله تعالى: كـانت عنـدنا امرأةٌ بمكة تُسبح كلّ يوم اثني عشرة ألف تسبيحة، فماتت، فلما بلغت القبر، اختُلِست من بين أيدي الرجال.

كان الحسن البصري رحمه الله تعالى: كثيرًا ما يقـول إذا لم يُحـدِّث النـاس بـالعلم، ولم يكن لـه شـغل: سـبحان اللـه العظيم،فـذكر ذلـك لبعض فقهـاء مكـة،فقـال: إنَّ صـاحبكم لفقيه.

وكان عامةُ كلام ابن سيرين رحمه الله تعـالى: سـبحان اللـه العظيم، سـبحان اللـه وبحمـده. وكـان المغـيرة بنُ حكيم الصنعاني رحمه الله تعالى إذا هدأت العيون، نزل إلى البحر، وقام في الماء يذكر الله مع دوابِّ البحر.

نـام بعضُـهم عند إبـراهيم بن أدهم رحمـه اللـه تعـالى قـال: فكنتُ كلَّما استيقظتُ من الليل، وجدتُـه يـذكر اللـه، فـأغتمّ، ثم أُعزِّي نفسي بهذه الآية: (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيـهِ مَنْ يَشَـاءُ) سورة الجمعة (4).

وقيل: المحبُّ اسم محبوبه لا يغيبُ عن قلبـه، فلـو كُلّـف أنْ ينسى تذكُّره لما قدر، ولو كُلـف أنْ يكـفّ عن ذكـره بلسـانه لما صبر.

---

[6]- قد يستنكر البعض هذا العدد ونقول: هذا يـدخل في البـاب الكرامـات الـتي هل خرق للعادة فليس من المستحيل عادة ولا شـرعا أن يتمكن الإنسـان من الذكر بهذا العدد، فالله قادر على أن يبارك لـه في وقتـه فيوفقـه لهـذا العـدد (إن الله على كل شيء قدير).

كَيْفَ يَنسى المُحبُّ ذِكرَ حَبيبٍ   اسمُــه فـي فُؤاده مَكتوبُ

* * * * * * * * *

وكــان بلالٌ رضــي اللــه عنــه كلَّمــا عذَّبــه المشــركون في الرمضاء على التوحيد يقول: أحـدٌ أحـدٌ، فـإذا قـالوا لـه قـل: اللات والعُزَّى، قال: لا أُحسنه.

يُراد مِنَ القَلبِ نِسيانُكُم   وتَأْبَى الطِّباعُ على النَّاقِلِ

كلَّما قويت المعرفةُ صار الذكرُ يجري على لسان الذاكر من غير كُلفة، حتى كان بعضـهم يجـري على لسـانه في منامـه: اللــه اللــه، ولهــذا يُلهم أهــلُ الجنــة التَّســبيح، كمــا يُلهمــون النفسَ، وتصيرُ لا إله إلا الله لهم، كالماء البـارد لأهـل الـدنيا، كان الثوري ينشد:

لا لأَنِّي أَنساكَ أُكثـرُ ذِكرا ك ولكـنْ بِذاكَ يَجري لِساني

إذا ســمِعَ المحبُّ ذكــر اســم حبيبــه من غــيره زاد طربــه، وتضــاعف قَلَقُــه، قــال النَّبيُّ صــلى اللــه عليــه وســلم لابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (اقرأ عليَّ القرآن)، قال: أقرأ عليكَ وعَلَيكَ أُنزل؟ قـال:(إنِّي أُحبُّ أنْ أسـمعه من غـيري)، فقـرأ عليه، ففاضت عيناه.

سمع الشبلي رحمه الله تعالى قائلًا يقولُ: يـا اللــه يـا جَـوادُ، فاضطرب.

النبض ينْزعج عند ذكر المحبوب:

إذا ذُكِر المحبوب عندَ حبيبه   تَرنَّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طرُوبُ

ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) سورة الأنفال (29).

وإنِّي لَتَعْروِني لِذكْرَاكِ هِزَّةٌ كَما انتفضَ العُصفورُ بَلَّلهُ القطْرُ

أحد السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: (رجلٌ ذكرَ الله خاليًا، ففاضت عيناه).

وصف عليٌّ رضي الله عنه يومًا الصحابة، فقال: كانوا إذا ذكروا الله مادُوا كما يميد الشجرُ في اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم على ثيابهم.

قال زهير البابي رحمه الله تعالى: إنَّ لله عبادًا ذكروه، فخرجت نفوسُهم إعظامًا واشتياقًا، وقوم ذكروه، فوجِلَتْ قلوبهم فرقًا وهيبة، فلو حُرِّقوا بالنَّار، لم يجدوا مَسَّ النار، وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده، فارفضّوا عرقًا من خوفه، وقومٌ ذكروه، فحالت ألوانهم غبرًا، وقومٌ ذكروه، فجَفَّتْ أعينُهم سهرًا.

* * * * * * * * *

صلَّى أبو يزيد رحمه الله تعالى الظهر، فلما أراد أنْ يُكبِّر، لم يقدر إجلالًا لاسم الله، وارتعدت فرائصه حتى سُمعت قعقعةُ عظامه.

كان أبو حفص النَّيْسابوري رحمه الله تعالى إذا ذكر الله تغيَّرت عليه حالُه حتى يَرى ذلك جميع من عنده، وكان

يقولُ: ما أظن محقًّا يذكر الله عن غـير غفلـة، ثم يبقى حيًـا إلا الأنبيـاء، فـإنَّهم أيِّدوا بقـوَّة النبـوَّة وخـواصِّ الأوليـاء بقـوَّة ولايتهم.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحَبيبِ تَقعقعت مَفاصِـلُها مِنْ هَولِ ما تَتذَكَّرُ

وقف أبو يزيد رحمه اللـه تعـالى ليلـةً إلى الصـباحِ يجتهـد أنْ يقول: لا إله إلا الله، فمـا قـدر إجلالًا وهيبـةً، فلمـا كـان عنـد الصباح، نزل، فبال الدَّم.

وما ذكرتُكُمُ إلاّ نَسيتُكُم نسيانَ إجلال لا نِسيانَ إهمالِ

إذا تَذكَّرتُ مَنْ أنتُم وكيف أنَا أَجْلَلتُ مِثلَكُم يَخطُرْ على بالي

المحبون يستوحشون من كلِّ شـاغلٍ يَشـغَلُ عن الـذكر، فلا شيءَ أحبَّ إليهم من الخلوة بحبيبهم.

قال عيسى عليه السلام:)يـا معشـر الحـواريين كلِّمـوا اللـه كثيرًا، وكلموا الناس قليلًا، قالوا: كيف نكلِّم الله كثيرًا؟ قال: اخلوا بمناجاته، اخلوا بدُعائه ([7].

* * * * * * * * *

وكان بعضُ السَّلف يُصلِّي كلَّ يوم ألف ركعة حـتى أُقعِـدَ من رجليه، فكان يُصـلي جالسًـا ألـف ركعـة، فـإذا صـلى العصـر احتبى واستقبل القبلة، ويقول: عجبتُ للخليقة كيـف أنِسَـتْ

---

[7]- أخرجه أبو نعيم في " الحلية " 6/94 و195.

بسواك، بل عَجِبْتُ للخليقة كيف استنارت قلوبُها بذكر سِواك [8].

وكان بعضُهم يَصومُ الدَّهرَ، فإذا كان وقتُ الفطور، قال: أحسُّ نفسي تخرُج لاشتغالي عن الذكر بالأكل.

قيل لمحمد بن النضر رحمه الله تعالى: أما تستوحِشُ وحدَك؟ قال: كيف أستوحِشُ وهو يقول: أنا جليسُ من ذكرني [9].

كَتمتُ اسم الحبيب من العبادِ ورَدَّدتُ الصَّبابةَ في فُؤادي

فَوَاشَوقًا إلى بَلدٍ خَلِيٍّ   لعلِّي باسم مَنْ أَهوى أُنادي

وإذا قَوِي حالُ المحبِّ ومعرفته، لم يشغَلْهُ عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بَينَ الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحلِّ الأعلى، كما قال عليٌّ رضي الله عنه في وصفهم: صَحِبوا الدُّنيا بأجسادٍ أرواحُها معلقة بالمحلِّ الأعلى[10].

ورحم الله القائل:

ولقَد جَعلتُكَ في الفُؤاد مُحدِّثي   وأَبحْتُ جِسمي من أراد جُلوسي

---

[8]- أخرجه أبو نعيم في " الحلية " 6/195. وانظر: فيض القدير للمناوي 4/325.

[9]- صفة الصفوة - لابن الجوزي 3/79، وسير أعلام النبلاء 8/175، والمقاصد الحسنة للسخاوي: 96، وجاء معناه في الحديث القدسي (أنا مع عبدِي ما ذكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفَتاهُ) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3074).

[10]- تذكرة الحفاظ – للذهبي - (1/12).

فالجِسمُ منِّي للجَليس مُؤَانسٌ وحَبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[11]

وهذه كانت حالة الرسل والصدِّيقين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا) سورة الأنفال (45).

وقال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) يعني: الصلاة في حال الخوف، ولهذا قال)فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ (سورة النساء (103) وقال تعالى في ذكر صلاة الجمعة (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) سورة الجمعة: (10)، فأمر بالجمع بين الابتغاء من فضله، وكثرة ذكره.

قال النووي - رحمه الله -: (اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى)، كذا قاله سعيد بن جبير رحمه الله وغيره من العلماء.

وسئل أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله - عن القدر الذي يصير به المرء من الذاكرين الله كثيرا، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا [12] كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، والله أعلم.

وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسا في موضع استقبل القبلة، وجلس متذللا متخشعا بسكينة

---

[11]- نسبه ابن الجوزي لرابعة العدوية في " صفة الصفوة " 4/301.
[12]- يعني أذكار الدخول والخروج واللبس والخلع والنوم والاستيقاظ وأذكار الأكل والشرب.. الخ.

ووقار.ولا شك أن الذكر مأمور به، وهذا الأمـر بـذكره يكـون مطلقا ومقيدا، فهو مطلق بالنسبة للأزمـان، ومقيـد بالنسـبة للعبادات، فكما أنه لا يجوز لأحد أن يقول لا إله إلا اللـه ألـف مرة في السجود أو الركوع لأنه خرج عن رسم الشريعة مـع دخولـه في العمـوم؛ فكـذلك لا يجـوز لـه أن يـأتي بـذكر في موطن جاءت السنة بالذكر فيـه على نحـو معين، بخلاف مـا جاءت به السنة.

*** *** ***

الفصل الأول

بيان فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم والسنة المشرفة

المبحث الأول: فضـائل الباقيـات الصـالحات في القـرآن الكريم.

المبحث الثـاني: فضـائل الباقيـات الصـالحات في السـنة المشرفة.

المبحث الأول: فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم

وردت فضـائل الباقيـات الصـالحات في القـرآن مجملـة ومفصـلة، وأعـني بالمفصـلة الآيـات الـتي تحث على الحمـد على حدته أو التهليل على حدته ونحوها وسـيأتي ذكرهـا في مواضعها، إن شاء الله تعالى.

وأما فضائلها مجملة فقد وردت في آيتين إحداهما في سورة الكهف والأخرى في سورة مريم وهما موضع حديثنا في هذا المطلب:

فقد بيَّن الله تعالى فضلها وأثنى عليها قائلًا: (الْمَالُ وَالْبَنُـونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَـاتُ الصَّـالِحَاتُ خَيْـرٌ عِنـدَ رَبِّكَ ثَوَابًـا وَخَيْرٌ أَمَلًا) سورة الكهف (46)،

قال جمهور المفسرين: هي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [13].

---

[13]- كذا قال القرطـبي وانظـر تفسـير الجلالين وتفسـير ابن كثـير ونَسـب هـذا القول إلى عطاء ومجاهد، وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: وأقوال العلمـاء في الباقيـات الصـالحات كلهـا راجعـة إلى شـيء واحـد، وهـو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصـلوات الخمس، كمـا هـو مـروي عن جماعـة من السـلف. منهم ابن عبـاس، وسـعيد ابن جبـير، وأبـو ميسـرة، وعمرو بن شرحبيل. أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكـبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعلى هذا القول جمهور العلماء.

وروى ابن جرير الطبري عن عمارة بن صياد قال: (سألني سعيد بن المسيب رحمه الله عن الباقيات الصالحات، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

وأثر ابن المسيب هذا يوهم أن الباقيات الصالحات محصورة في هؤلاء الكلمات الخمس، والذي عليه المحققون من أهل العلم أن الباقيات الصالحات هن جميع أعمال الخير، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (والباقيات الصالحات) قال: (هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض) [14].

وأثنى الله تعالى عليها ثناءً آخر فقال جل في علاه: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) سورة مريم(76).

قال السعدي رحمه الله تعالى: ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات-والله أعلم- أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

---

[14]- رسالة الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية – للدكتور البدر – ص (69) نسخة إلكترونية في المكتبة الشاملة الحديثة.

*** *** ***

ولنعلم مكانة الباقيات الصالحات تعالوا بنا نستمتع بهذا الكلام الرائع [15]:

لما بين تعالى أن الدنيا - المتمثلة في المال والبنين والشهوات - سريعة الانقراض والانقضاء، مشرفة على الزوال والبوار والفناء، بيَّن تعالى أن ما كان كذلك، فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنا، فهذا برهان باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد، ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الأغنياء، فقال: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) وتقرير هذا الدليل على أن خيرات الدنيا منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية، والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي، وهذا معلوم بالضرورة، لا سيما إذا ثبت أن خيرات الدنيا خسيسة حقيرة.

وأقول: خلاصة القول أن هذه الكلمات المباركة ذوات النفع العميم في الدنيا والآخرة وعظيم فضلها سماها الله تعالى في كتابه بالباقيات الصالحات.

ولحجة الإسلام الغزالي - رحمه الله - في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف [16]، فقال: روي أن من قال: سبحان

---

[15]- تفسير الفخر الرازي – باختصار وتصرف.

[16]- نقلا عن تفسير الرازي. ولم أجد حديثا فيه الفضل المذكور ولكن وجدت حديثا آخر يقرب منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال سبحان الله، كُتبت له عشرون حسنة وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر، فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله، فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله

الله حصل له من الثواب عشر مرات، فإذا قال: والحمد لله صارت عشرين، فإذا قال: ولا إله إلا الله صارت ثلاثين، فإذا قال: والله أكبر صارت أربعين.

قال: وتحقيق القول فيه: أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته، فإذا قال: سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن كل ما لا ينبغي، فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة.

فإذا قال مع ذلك: والحمد لله فقد أقرَّ بأن الحق سبحانه مع كونه منزَّها عن كل ما لا ينبغي، فهو المبدأ لإفادة كل ما ينبغي ولإفاضة كل خير وكمال، فقد تضاعفت درجات المعرفة، فلا جرم قلنا: تضاعف الثواب.

فإذا قال مع ذلك: لا إله إلا الله، فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي، فهو المبدأ لكل ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا إلا الواحد، فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة، فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة.

فإذا قال: والله أكبر معناه أنه أكبر وأعظم من أن يصل العقل إلى كنه كبريائه وجلاله، فقد صارت مراتب المعرفة أربعة، لا جرم صارت درجات الثواب أربعة.

وللعلامة الساحلي كلام قريب من هذا حيث يقول [17]:

جاء صلى الله عليه وسلم بذكر التنزيه إشعارًا بأن الله تعالى منزّه عن التغيير والتبديل، حفظًا للنفس من طوارق

رب العالمين مِن قِبَل نفسه كُتبت له ثلاثون حسنة وحُطّت عنه ثلاثون سيئة).
قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي واللفظ له، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم. والحديث صححه الألباني.

[17]- بغية السالك – ص (43-44).

التشبيه، وصونًا لها م لحـوق كيـد الأوهـام، ومن هـذا القبيـل هي مشروعية استعمال التسبيح للساهي افي الصـلاة، فـإن ذكر التسبيح أخص الأذكار بهذا الحال وما يضارعها.

-ومن ذلك ما شرَّعه - صلوات الله وسلامه عليه - لأمتـه من الـذكر في أيـام الأعيـاد نفيًـا للعلـل الطارئـة عليهم فيهـا، الطارقة لنفوسهم بسببها.

*** *** ***

قلت: ومن العلل الخطيرة التي تطرأ على النفس الإعجـاب بعد انتهائه من الصوم والحج وهمـا عملان عظيمـان شـاقان فأمر اللـه تعـالى العبـد بـالتكبير لكي يزيـل عن نفسـه ذلـك الإعجاب المتمثـل في ظنـه أنـه هـو الفاعـل اسـتقلالا ناسـيا توفيق الله تعالى له وفضله عليه، قال تعـالى: (وَلَـوْلَا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ مَـا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَـدٍ أَبَـدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) النور (21).

فـ (لا إلــه إلا الله): نفي لعلــة ســكون النفس إلى البســط المشروع في الأعياد،والميل ألى متاع الدنيا.

و(الله أكـبر): طـرد لعلـة اسـتكثار النفس عـدد الخلـق عنـد بروزهم، واستكبارها بإظهار التجمل.

و(سبحان الله): إخماد لعلة النفي في انفعالها لما ظهر على الخلـق من تحـولهم من حـال إلى حـال.و(الحمـد لله): محـو لعلة النفي في نسيان المنعم بالنعم، لتقـوم بحـق المحسـن المنان.و(لا حول ولا قـوة إلا باللـه): إخـراج النفس من علـة الركون إلى تدبيرها في ركونها.

*** *** ***

وفي بيان التلازم بين الكلمات الأربع[18]:

قال الدكتور عبد الرزاق البدر: هؤلاء الكلمات كما أوضح أهل العلم شطران، فالتسبيح قرين التحميد، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). أخرجاه في الصحيحين.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي ذر: (أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده).

وفي القرآن يقول الله تعالى - حكاية عن الملائكة -: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) سورة البقرة (30)، وقال: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ سورة النصر، الآية (3)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)، يتأول القرآن.كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [19].

فجعل قوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) تأويلا للآية الكريمة: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) سورة النصر (3)، وقد قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة غافر (55)، وقال: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) سورة الروم، (17، 18) والآثار في اقترانهما كثيرة.

---

[18]- خاتمة رسالة دراسات في الباقيات الصالحات.

[19]- صحيح البخاري (رقم:817)، وصحيح مسلم (رقم:484).

وأما التهليل فهو قرين التكبير كما في كلمات الأذان: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله، ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فهو مشتمل على التكبير والتشهد في أوله وآخره، وهو ذكر لله تعالى، وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة والفلاح، فالصلاة هي العمل، والفلاح هو ثواب العمل، لكن جعل التكبير شفعا والتشهد وترا، فمع كل تكبيرتين شهادة، وجعل أوله مضاعفا على آخره، ففي أول الأذان يكبر أربعا، ويتشهد مرتين، والشهادتان جميعا باسم الشهادة، وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة.

وكما جمع بين التكبير والتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبير الإشراف، فكان على الصفا والمروة، وإذا علا شرفا في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثا ويقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده) يفعل ذلك ثلاثا، وهذا في الصحاح [20]، وكذلك على الدابة كبر ثلاثا وهلل ثلاثا فجمع بين التكبير والتهليل، وكذلك حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله إلا الله؟ يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: الله أكبر فهل من شيء أكبر من الله" فقرن النبي صلى الله عليه وسلم بين التهليل والتكبير.

*** *** ***

[20]- صحيح البخاري (رقم:1797) وصحيح مسلم (رقم:1344).

المبحث الثاني

فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة

1/ الباقيات الصالحات جُنَّة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(خُذوا جنَّتَكم) قُلْنا: يا رسولَ اللهِ مِن عدوٍّ حضَر؟ فقال: (خُذوا جنَّتَكم مِنَ النَّارِ، قولوا سبحانَ اللهِ، و الحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) [21].

قوله صلى الله عليه وسلم (فإنَّهُنَّ)، أي: فإنَّ هذه الكَلِماتِ، (يَأْتينَ يومَ القيامَةِ مُقدِّماتٍ) أي: يَتقدَّمْنَ صاحبَها يومَ القِيامةِ، (ومُعَقِّباتٍ)، أي: هُنَّ كلِماتٌ يَأْتي بعْضُها عقِبَ بعْضٍ، (ومُجَنِّباتٍ)، أي: هي التي تكونُ في المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، فكأنَّهن جَيْشٌ من جِهَةِ قائِلِهِنَّ تَسْتُرْنَهُ عن النارِ.

(وهُنَّ الباقياتُ الصَّالِحاتُ)، أي: باقياتٌ لصاحِبِها وصالحاتٌ لجَزيلِ ثَوابِها في المعادِ وحينَ الحاجَةِ [22].

2/ الباقيات الصالحات تغرس لقائلها غرسًا في الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قلت غراسا لي قال: (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟) قال: بلى يا رسول الله قال: (قل سبحان الله

---

[21]- رواه النسائي واللفظ له والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (3214).
[22]- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكـل واحـدة شجرة في الجنة) [23].

و هذه رسالة الخليل ابراهيم عليـه السـلام لنـا معاشـر أمـة محمد صلى اللـه عليـه و سـلم، فعن ابن مسـعود قـال قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (لَقيتُ إبـراهيمَ ليلـةَ أُسْريَ بي فقالَ: يا محمَّدُ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعـانٌ، وأنَّ غِراسَـها سُـبحانَ اللَّهِ والحمـدُ للَّهِ ولا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكْـبرُ) [24]رواه الترمذي و حسنه الشيخ الألبـاني،و رواه الطـبراني و زاد فيـه: (و لا حول و لا قوة إلا بالله).

3/ الباقيات الصالحات سبب لزيادة للحسنات:

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنَّ اللهَ اصطفى مِنَ الكلامِ أربعًـا: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فمَن قال: سبحانَ اللهِ كُتِبَ له عشـرون حسـنةً وحُطَّتْ عنـه عشـرون سيِّئةً ومَن قال اللهُ أكبَرُ فمِثْلُ ذلك ومَن قـال لا إلـهَ إلَّا اللـهُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ مِن قِبَلِ نفسِـه كُتِبَتْ له ثلاثون حسنةً وحُطَّتْ عنه ثلاثون سيِّئةً) [25].

---

[23]- رواه ابن ماجه و صححه الشيخ الألباني.

[24]- قوله صلى الله عليه وسلم: "**وأخبِرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربـةِ عَذبـةُ المـاءِ**"، أي: وأبلِغْهم أيضًـا أنَّ الجنَّةَ تُربتُهـا طيِّبـةٌ وماؤُهـا عَـذبٌ، "**وأنَّهـا قِيعانٌ**"، أي: وأخبِرْهم أنَّ تُربـةَ الجنَّةِ قِيعـانٌ، جمـعُ قـاعٍ، أي: أرضٌ مُسـتويةٌ مُتساويَةٌ، "**وأنَّ غِراسَها سُـبحانَ اللـهِ والحَمـدُ للـهِ ولا إلـهَ إلَّا اللـهُ واللـهُ أكبَـرُ**"، أي: وأخبِـرْهم أنَّ الَّذي يُغـرَسُ بـه في تُربـةِ الجنَّةِ التَّسـبيحُ والتَّحميدُ والتَّهليلُ والتَّكبيرُ، وهـذا مِثـلُ قولِـه صلَّى اللـه عليـه وسـلَّم: "**مَن قال: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمـدِهِ، غُرِسَـت لـه نَخلـةٌ في الجنَّةِ**"؛ فالإكثارُ مِن ذكرِ اللهِ عزَّ وجـلَّ مِن أجَـلِّ الطَّاعـاتِ، ومِن أوسَـعِ أبـوابِ إكثـارِ الحَسَناتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، وسَببٌ في دُخولِ الجَنَّاتِ.(الموسـوعة الحديثيـة - الدرر السنية).

[25]- رواه أحمد وصححه محقق المسند العلامة أحمد شاكر – (15/227).

*** *** ***

4/ الباقيات الصالحات سبب لحط الخطايا:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها) [26].

وفي رواية للترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصا فتناثر ورقها فقال: (إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة).

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: (ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) رواه أحمد وغيره. فزاد في هذه الرواية (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

5/ الباقيات الصالحات هي الأثقل في الميزان:

عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بخ بخ وأشار بيده (لخمس ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه) [27].

---

[26]- رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

[27]- رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم.

*** *** ***

6/ الباقيات الصالحات لها دوي كدوي النحل حول عرش الرحمن:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِمَّا تَذكُرون مِن جلالِ اللهِ؛ التَّسبيحَ والتَّهليلَ والتَّحميدَ، ينعطفْنَ حولَ العرشِ، لهنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ، تُذَكِّرُ بصاحبِها.أمَّا يحبُّ أحدُكُم أن يكون لهُ أو لا يَزالُ لهُ مَن يُذكِّرُ بهِ)[28].

لذِكْرُ اللهِ تعالى بقلْبٍ خاشعٍ له فضْلٌ كَبيرٌ، وقد حَثَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على تَرطيبِ الألْسِنةِ بذِكْرِ اللهِ، وتَعميرِ القُلوبِ به.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (إنَّ ممَّا تذكُرونَ مِن جَلالِ اللهِ)، أي: تَعظيمِه (التَّسبيحَ)، وهو قولُ: سُبحانَ اللهِ، وما شابَه ذلك.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (يَنْعَطِفْنَ حَولَ العرْشِ)، أي: هؤلاء الكلماتُ والجُمَلُ الأربعُ يَمِلْنَ ويَدُرْنَ حولَه، والمُرادُ طَوافُهنَّ حَولَ العرشِ، (ولهنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ)، أي: صَوتٌ يُشْبِهُ صَوتَ النَّحلِ؛ مِن كثرةِ تَكرارِ هذه الكلماتِ وتَرديدِها.

[28]- رواه ابن أبي الدنيا وابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (تُـذَكِّرُ بصـاحبِها)، أي: تـذكُرُ أنَّ قائلَهـا فلانٌ، في المَقـامِ الأعلى، وفي هـذا أعظَمُ حَضٍّ على الذِّكْرِ بهذه الألفاظِ.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أَمَا يُحِبُّ أحدُكم أنْ يكـونَ لـه- أو لا يزالَ لـه- مَن يُـذَكِّرُ بـه)، أي: عنـدَ اللـهِ وحَـولَ عرْشِـه. وهذا مِن الحَثِّ على الاستكثارِ مِن هذا الذِّكْرِ [29].

*** *** ***

7/ الباقيـات الصـالحات أحب الكلام إلى اللــه تعـالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم: عن سـمرة بن جنـدب رضـي الله عنه قال:قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم:(أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد للـه ولا إلـه إلا اللـه والله أكبر ولا يضر بأيهن بدأت) رواه مسلم.

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: (لأن أقـول سـبحان اللـه والحمـد للـه ولا إلـه إلا اللـه واللـه أكـبر أحب إلي ممـا طلعت عليه الشمس).

قال بعض العلماء: المراد بقوله (مـا طلعت عليـه الشـمس) منذ أن خلقها الله تعالى، ونقـول انظـر إلى مـا طلعت عليـه الشـمس في يومـك هـذا من البنـوك والسـيارات والمـزارع والمصانع.. إلخ فهل يستطيع أحد أن يحصي ذلك؟ فالباقيات الصالحات خير من ذلك لأنها باقية وما عداها كله إلى زوال.

8/ الباقيات الصالحات تعدل عتق الرقاب والجهاد في سبيل الله بالجياد من الخيل والجمال: عن أم هانئ بنت أبي طالب

29- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.

قالت: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة. قال: (سبِّحي اللهَ مائةَ تسبيحةٍ فإنها تعدلُ لك مائةَ رقبةٍ تعتقينها من ولدِ إسماعيلَ واحمدي اللهَ مائةَ تحميدةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ فرسٍ مُسرجةٍ مُلجمةٍ تحملين عليها في سبيلِ اللهِ وكبري اللهَ مائةَ تكبيرةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ بدنةٍ مُقلدةٍ متقبلةٍ وهللي اللهَ مائةَ تهليلةٍ، قال ابن خلف - الراوي عن عاصم -أحسبه قال: تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ولا يرفعُ يومئذٍ لأحدٍ عملٌ أفضلُ مما يرفعُ لكِ إلا أنْ يأتيَ بمثلِ ما أتيتِ) [30].

وفي رواية (من قال: (سبحان اللهِ) مئةَ مرةٍ قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غروبِها؛ كان أفضلَ من مئةِ بدنةٍ، ومن قال: (الحمدُ لله) مئةَ مرةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها؛ كان أفضلَ من مئةِ فرسٍ يُحمَلُ عليها في سبيلِ اللهِ، ومن قال: (اللهُ أكبرُ) مئةَ مرةٍ، قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها، كان أفضلَ من عتقِ مئةِ رقبةٍ، ومن قال: (لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ) مئةَ مرةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبها، لم يَجيءْ يومَ القيامةِ أحَدٌ بعملٍ أفضلَ من عملِه، إلا من قال مثلَ قوْلِه، أو زاد عليه) [31].

*** *** ***

---

[30]- هذا الحديث حسنه جمع من أهل العلم ولا حرج في العمل به، فقد حسنه المنذري والهيثمي فقال فيه المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد حسن. اهـ. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفي الأوسط وأسانيدهم حسنة. كما حسنه الدمياطي في المتجر الرابح –(217).

[31]- أخرجه النسائي في الكبرى وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – رقم (658).

9/ الباقيـات الصـالحات من أطيب الكلام وخـير الكلام: فعن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم: (إذا حَـدَّثتُكَ حـديثًا، فلا تَزيـدَنَّ عليَّ، وقـال: أربـعٌ مِن أطيَبِ الكَلامِ، وهنَّ مِن القُرآنِ، لا يَضُرُّكَ بأيِّهنَّ بَدَأتَ: سُبحانَ اللـهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ) أخرجه مسلم (2137).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه صـلى الله عليه وسـلم: (خـير الكلام أربـع، لا تبـالي بـأيتهن بـدأت: سبحان الله والحمد للـه ولا إلـه إلا اللـه واللـه أكـبر)؛ أخرجـه مسلم.

10/ الباقيـات الصـالحات سـبب في إجابـة الـدعاء وقبـول الصلاة: عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنـه - عن النـبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من تعارَّ منَ الليلِ فقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لـه، لـه الملـكُ ولـه الحمـدُ، وهـو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. الحمدُ للهِ وسبحانَ اللهِ ولا إلهَ إلا اللـهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، ثم قال: اللَّهم اغفِر لي، أو دعا استُجيب له، فإن توضَّأ وصـلَّى، قُبلت صـلاتُه)؛ أخرجـه البخاري رقم: (1103).

*** *** ***

11/ الباقيات الصالحات يعدِلْن الإنفاق والجهاد وقيام الليل:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: (إن اللـه قسَّـم بينكم أخلاقَكم، كمـا قسَّـم بينكم أرزاقَّكم، وإنَّ اللـه يُعطي الـدنيا مَن يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمـــان إلا مَن أحبَّ، فمن ضـــن بالمال أن ينفقه، وخاف العـدو أن يجاهـده، وهـاب الليـل أن

يكابده، فليُكثِر من قول: سبحان الله [والحمد لله] ولا إله إلا الله والله أكبر)[32].

12/ الباقيات الصالحات تعطي صاحبها قوة بدنية لأداء الأعمال الدينية والدنيوية:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَبْىٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِىءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ (عَلَى مَكَانِكُمَا)، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِى وَقَالَ (أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِى إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ). رواه البخاري ومسلم.وفي الصحيحين قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه (مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم). قِيلَ لَهُ وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ قَالَ: (وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينِ).

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى: وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك، كذا أفاده بن تيمية وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن

---

[32]- أخرجه الإسماعيلي في المعجم (114 /ـ 1)، وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح، رجاله على شرط مسلم كلهم، إلا الجوهري - وهو عياش بن محمد بن عيسى أبو الفضل - وقد وثقه الخطيب في التاريخ (12/279)، وتابعه جمع عند الحاكم (1/33)؛ الصحيحة (6/482) رقم: (2714). (نقلا عن مقال: فضائل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وثمارها العظام – بكر البعداني – شبكة ألأوكة الشرعية).

يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشـق عليـه ولو حصل له التعب والله اعلم [33].

13/ الباقيات الصالحات يسبق قائلهن غيره بالمواظبــة على بعضها بعد الصلوات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: جَـاءَ الفُقَـرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَـالُوا: ذَهَبَ أَهْـلُ الـدُّثُورِ - أصـحاب المال الكثـير - مِنَ الأَمْـوَالِ بِالـدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَـلِّي، وَيَصُـومُونَ كَمَـا نَصُـومُ، وَلَهُمْ فَضْـلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَـدَّقُونَ، قَـالَ: (أَلاَ أُحَـدِّثُكُمْ بِـأَمر إِنْ أَخَـذْتُمْ بِــه أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَـبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْـهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَـلاَةٍ ثَلاَثًـا وَثَلاَثِينَ)، فَاخْتَلَفْنَـا بَيْنَنَـا، فَقَـالَ بَعْضُـنَا: نُسَـبِّحُ ثَلاَثًـا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُـولُ: (سُـبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْـدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَـرُ، حَتَّى يَكُـونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ). رواه الشيخان وغيرها.

14/ الباقيات الصالحات تقوم مقام الصدقة بالمال:

عَنْ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ ناسًا قالوا: يَا رسُـولَ اللَّهِ، ذَهَب أَهْلُ الدُّثُور بالأجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بَفُضُـولِ أمْـوَالِهِمْ قـال: (أَوَ لَيْس قَـدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟! إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدقَةً، وكُلِّ تَكبِيرةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَحْمِيدةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تِهْلِيلَةٍ صَدقَةً، وأمـرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْىٌ عنِ المُنْكر صدقةٌ وفي بُضْعِ أحـدِكُمْ

[33]- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر.

صدقةٌ) قالوا: يَا رسولَ اللَّهِ أيَأتِي أحدُنَا شَهْوَتَه، ويكُونُ لَه فِيهَا أجْر؟ قَالَ: (أرأيْتُمْ لَوْ وضَعهَا في حرامٍ أكَانَ عليهِ وِزْرٌ؟ فكذلكَ إِذَا وضَعهَا في الحلاَلِ كانَ لَهُ أجْرٌ) رواه مسلم.

15/ الباقيات الصالحات تقوم مقام شكر الله على نعمة عافية البدن:

عن أَبِي هريرةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ، فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أوْ ترْفَعُ لَهُ علَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إِلَى الصَّلاَةِ صدقَةٌ، وَتُميطُ الأذَى عَن الطرِيق صَدَقةٌ) متفق عليه.

وعن عائشة رَضي اللَّه عنها قالت: قالَ رسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: (إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْ بني آدم علَى سِتِّينَ وثلاثمائَةِ مَفْصِلٍ، فَمنْ كَبَّر اللَّه، وحمِدَ اللَّه، وَهَلَّلَ اللَّه، وسبَّحَ اللَّه واستَغْفَر اللَّه، وعَزلَ حَجرًا عنْ طَرِيقِ النَّاسِ أوْ شَوْكَةً أوْ عظْمًا عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ أمَرَ بمعرُوفٍ أوْ نهى عنْ مُنْكَرٍ، عَددَ السِّتِّينَ والثَّلاَثمائة، فَإِنَّهُ يُمْسي يَوْمئِذٍ وَقَد زَحزحَ نفْسَهُ عنِ النَّارِ) رواه مسلم.

قال ابن علان رحمه الله: قوله (كل يوم تطلع فيه الشمس) أتى به دفعًا لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكرًا لسلامتها فيه.

قوله:(فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح) أي: باعد (نفسه عن النار) بالتقرّب لمولاه بأنواع الطاعات، وشكر ما أنعم به عليه من إيجاد تلك الأعضاء سالمة.

ويلزم من ذلـك القيـام بالواجبـات وتـرك جميـع المحرمـات، وهـذا هـو الشـكر الـواجب وهـو كـاف في شـكر هـذه النعم وغيرها.

أما الشكر المستحبّ فبالزيـادة على ذلـك بنوافـل العبـادات القاصرة كالأذكار، والمتعدية كالبذل والإعانـة، وليس المـراد من الحديث حصر أنواع الصدقة بالمعنى الأعم فيما ذُكِرَ فيه بل التنبيه به على مـا بقي منهـا، ويجمعهـا كـل مـا فيـه نفـع للنفس أو للغير.

فائـدة: في هـذا الحـديث إعجـاز طـبي حيث وافـق عـدد المفاصل (360) التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم ما توصل إليه الطب الحديث [34].

*** *** ***

16/ الباقيات الصالحات يصدِّقُ الله تعالى قائلهن:

عن أبي سـعيد وأبي هريـرة رَضـي اللَّه عنهمـا قـال: قـالَ رسُول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم (من قـالَ لا إلـهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ صدَّقهُ ربُّهُ فقالَ لا إلهَ إلَّا أنا وأنا أكـبرُ وإذا قـالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ قالَ يقولُ لا إلـهَ إلَّا أنـا وحـدي وإذا قـالَ لا

[34]- اسـتدل محمـد السـيد أرنـاؤوط، في كتابـه (الإعجـاز العلمي في القـرآن الكريم) ص (21) بحديث عائشـة، واسـتدل الـدكتور/ حامـد أحمـد حامـد، في كتابه (رحلة الإيمان...) ص (22)، بحديثها وحديث بريدة؛ على الإعجاز العلمي للسنة؛ لأن عدد المفاصل المذكورة في الحديث النبوي، هو نفس العدد الـذي توصل إليه علم الطب الحديث.
وبوب له الأرناؤوط فقال: "إعجاز تشريحي في قول الرسول صلى الله عليـه وسلم..."، وذكر الحديث، ثم قال: "وبعد أربعة عشـر قرنـاً من الزمـان، أثبت العلم الحديث في التشريح للأعضاء، أن جسـم الإنسـان يحتـوي على (360). مفصلاً، موزعة على جميع منـاطق الجسـم في الإنسـان البـالغ، كمـا ورد في الحديث الشريف".

إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شـريكَ لـهُ يقـول لا إلـهَ إلَّا أنـا وحـدي لا شريكَ لي وإذا قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ قـالَ لا إلهَ إلَّا أنـا ليَ الملـكُ وليَ الحمـدُ وإذا قـالَ لا إلـهَ إلَّا اللَّهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ قالَ لا إلـهَ إلَّا أنـا ولا حـولَ ولا قـوَّةَ إلَّا بي وكـانَ يقـولُ من قالَهـا في مرضِـهِ ثمَّ مـاتَ لم تطعمْـهُ النَّارُ) [35].

*** *** ***

الفصل الثاني: حقيقة لا إله إلا الله وفضائلها وفوائدها وروحانياتها

المبحث الأول: حقيقة لا إله إلا الله وبيان درجات الموحدين.

المطلب الأول: حقيقة لا إله إلا الله.

المطلب الثاني: درجات الموحدين.

[35]/ رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: 3430

المبحث الثاني: فضائل لا إله إلا الله في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: فضائل لا إله إلا الله في الكتاب العزيز.

المطلب الثاني: فضائل لا إله إلا الله في السنة المشرفة.

المبحث الثالث: فوائد لا إله إلا الله وروحانياتها.

المطلب الأول: بعض فوائد لا إله إلا الله من الكتاب والسنة.

المحور الأول: فوائد جليلة من قوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ).

المحور الثاني: فوائد لا إله إلا الله من الحديث الشريف: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شعبة).

المطلب الثاني: روحانيات لا إله إلا الله.

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يستحب فيها قول لا إله إلا الله.

المبحث الأول: حقيقة لا إله إلا الله ودرجات الموحدين

المطلب الأول: حقيقة لا إله إلا الله.

المطلب الثاني: درجات الموحدين.

المطلب الأول: حقيقة لا إله إلا الله

درج الكُتَّاب في موضـوع التوحيـد – العقيـدة – على حصـر تعريف هـذه الكلمـة العظيمـة بأنهـا تشـير إلى أنـه لا معبـود بحق إلا الله وهو معنى صحيح، ولكنه قد يؤدي – لدى البعض - إلى أن يجعل علاقته بلا إله إلا الله أن يوحِّده ويقـوم بـأداء الشعائر التعبدية فقط،والسر في هذا القصور في هذا الفهم هو أن العبادة فُهمت أيضـا فهمـا ناقصـا، وهـو قصـر معناهـا على القيام بالعبادات الظاهرة من صوم وصـلاة وحج وزكـاة وذكر - بينما لو تأملنا في القرآن الكـريم لوجـدنا أن مفهـوم العبادة يشمل ما هو أبعد من ذلك فأول آية خاطب الله فيها الناس جميعا آمرًا إياهم بعبادته في سورة البقرة (21) وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَـا النَّاسُ اعْبُـدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ) نجـد أن المفسـرين فسـروا كلمـة (اعبدوا) بأنها تشمل الدين كله ولم يقصـروا معاهـا على مـا سبق ذكره.

فهذا الطبري رحمه الله تعالى يقول: معنى العبادة: الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة.

قلت: والطاعة هنـا عامـة ويـدخل فيهـا فعـل الأوامـر وتـرك النواهي، وأشار بقوله (والتـذلل لـه بالسـتكانة) إلى ضـرورة الانتباه إلى أعمال القلوب المحبوبة لله تعـالى وعلى رأسـها الذل له سبحانه وتعالى.

وهذاالقرطبي رحمه الله تعالى: يقول: قوله تعالى: (اعْبُـدُوا) أمـر بالعبـادة لـه. والعبـادة هنـا عبـارة عن توحيـده والـتزام شرائع دينه. وأصل العبادة الخضوع والتذلل.

*** *** ***

ويقول السعدي رحمه الله تعالى: هذا أمر عـام لكـل النـاس بأمر عام وهو العبادة الجامعة، لامتثال أوامـر اللـه واجتنـاب نواهيه وتصـديق خـبره فـأمرهم تعـالى بمـا خلقهم لـه، قـال تعالى: ﴿ وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ ﴾ ثم اسـتدل على وجوب عبادتـه وحـده بأنـه ربكم الـذي ربـاكم بأصـناف النعم فخلقكم بعــد العــدم وخلــق الــذين من قبلكم وأنعم عليكم بـالنعم الظـاهرة والباطنـة فجعـل لكم الأرض فراشـا تسـتقرون عليهـا وتنتفعـون بالأبنيــة، والزراعــة، والحراثــة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلـك من أنـواع الانتفـاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع مـا هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس والقمر والنجوم.

إذن فأنت ترى – أخي القارئ الكريم – من خلال كلام هـؤلاء الأئمة الأعلام أن كلمة لا إله إلا الله تشـير إلى التوحيـد كمـا تشير إلى وجوب طاعته لكونه تعالى هو المطاع وحــده دون ما سواه، فلا بد من ربط لا إله إلا الله بالحياة كلها.

*** *** ***

وقد يقول قائل أول ورود لكلمة العبـادة في سـورة الفاتحـة الآية (5): (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ونقول هذه الآية خاصـة بـالمؤمنين حيث يخـبرون عن أنفسـهم بـأنهم يعبـدون اللـه تعـالى أمـا آيـة البقـرة فهي تخـاطب جميـع النـاس وفيهم المؤمنون والمنافقون والكافرون بأنواعهم من يهود ونصارى وعبـاد أوثـان، ومن هنـا كـان اسـتدلالي بهـا على أن كلمـة التوحيد لا تعني التوحيد فحسب.

وبين افتتـاح الآيـة (يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ) وختمهـا (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ) وتذكيرهم بأنه سبحانه هو خالقهم وخالق مَن مضى بين ذلك

(الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) ملحظ هام أشار إليه صاحب تفسير المنار رحمه الله تعالى بقوله:

هكذا أمر الله تعالى عباده أجمعين بأن يعبدوه وحده مخلصين له الدين، وأرشدهم بإعلامه إياهم أنه ساوى بينهم وبين مَن قبلهم في المواهب الخَلقية إلى الاستقلال بالعمل، ليعلموا أن كل النعم التي تكتسب بالشكر - وهي ما عدا النبوة - مقدورة لهم، كما كانت مقدورة لمن قبلهم، وأنهم إذا زادوا على سلفهم شكرا يزادون نعما، وما الشكر إلا استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لأجله.

فالذين يقولون: إننا لا نقدر على فهم الدين بأنفسنا من الكتاب والسنة لأن عقولنا وأفهامنا ضعيفة، وإنما علينا أن نأخذ بقول مَن قبلنا من آبائنا؛ لأن عقولهم كانت أقوى، وكانوا على فهم الدين أقدر، بل لا يمكن أن يفهمه غيرهم، أولئك كافرون بنعمة العقل، وغير مهتدين بهذه الآية الناطقة بالمساواة في المواهب وسعة الرحمة والفضل.

وكذلك الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى لأجل التقريب إليه زلفى بغير ما شرعه لهم من الدين، وما جاء به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وهم الوسائل في الهداية والإرشاد، أو لأجل الشفاعة لهم عنده لينالوا جزاء ما شرعه من الدين، من غير طريق العمل به واتباع المرسلين - قد احتقروا نعم الله تعالى ولم يهتدوا بهذه الآية، لأنهم قد جعلوا لله أندادا يبغون أن ينالوا بأشخاصهم ما حكم الله بأن يطلبه الناس بإيمانهم وأعمالهم، فجعلوا هؤلاء الأنداد شركاء لله يغنونهم عن شريعته، شعروا بذلك أم لم يشعروا.

يقول تعالى لجميع عباده ما معناه: اعبدوني ملاحظين معنى الربوبية والمساواة في المواهب الخَلقية التي تؤهلكم

للسعادة الحقيقية (لعلكم تتقون) فإن العبادة على هذا الوجه هي التي تعدكم للتقوى، ويرجى بها بلوغ درجة الكمال القصوى. انتهى.

*** *** ***

وأختم الكلام حول حقيقة التوحيد بكلام مهم جدا وسنتبين من خلاله جلال التوحيد وعظمته وأهميته في الدنيا والآخرة وهو كلام قيم لابن القيم حيث يقول رحمه الله تعالى[36]:

إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ف (الحمد لله) توحيد، (رب العالمين) توحيد، (الرحمن الرحيم) توحيد، (مالك يوم الدين) توحيد، (إياك نعبد) توحيد، (وإياك نستعين) توحيد، (اهدنا الصراط المستقيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الذين فارقوا التوحيد.

36- مدارج السالكين – منزلة التوحيد وهي آخر باب في الكتاب.

*** *** ***

المطلب الثاني: درجات الموحدين

تبين مما سبق أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبودية، وهذا المعنى لا يتفاوت في ذاته ولكن التفاوت يقع في نفوس الموحدين وذلك من حيث قوة اليقين وضعفه وزيادة الإيمان ونقصه وفي القرآن ما يشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) سورة مريم (76).

قال السعدي رحمه الله تعالى: كل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أمورا أخر، لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) [المدثر: 31] وقوله تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [الأنفال: 2].

ويدل عليه أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تفاوت. اهـ.

فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب، وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه، فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة، وذكر للجنة والنار، يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخف هذا اليقين في قلبه.

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول، فإن من ذكر الله عشر مرات، ليس كمن ذكر الله مئة مرة، فالثاني أزيد بكثير،

وكذلك أيضًا من أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص [37].

*** *** ***

والآن إليك ما قاله بعض أهل العلم في درجات الموحدين:

قال ابن جزي رحمه الله: في تفسير قوله تعالى (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) [البقرة:163]، فصَّل بها مقام التوحيد الذي هو حق الله على عباده، وميثاقه الذي أخذ عليهم، وأول المسالك للسالكين، وغايتها للواصلين.

ثم قال رحمه الله: واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

[37]- كلام الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم في هذا المعنى كثير أيضًا: قال أبو الدرداء: "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟".
وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول في دعائه: "اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا"، وكان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - يقول لرجل: "اجلس بنا نؤمن ساعة"، وصح عن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - أنه قال: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، إنصاف من نفسه، والإنفاق من اقتار، وبذل السلام للعالم" وقال جندب بن عبد الله - رضي الله عنه -: "كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن غلمان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا". وقال عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -: "إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدودًا، وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"، وقال الشافعي - رحمه الله -: "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"،وقال البخاري - رحمه الله -: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص". (زيادة الإيمان ونقصانه عند أهل السنة والجماعة - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – شبكة الألوكة).

الأولى: توحيد عامة المسلمين: وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصة: وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وإنما مقام الخاصة في التوحيد يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدا سواه؛ إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة. وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده: أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مبينا مصطلح الفناء بقوله: الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية يفسَّر بثلاثة أمور[38]:

[38]- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - الجزء العاشر. (نقلا عن موقع طريق الإسلام) ثم ذكر المفهومين الآخرين للفناء وهما باختصار: الأمر الثاني : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، والثالث : فناء عن وجود السوى، ولم أعول على ذكرهما لأنهما غير صحيحين كما بين ذلك ابن تيمية في الموضع المذكور.

أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الـرب، والتوكـل عليـه وعبادته، وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهـو محض التوحيـد والإخلاص، وهـو في الحقيقـة عبـادة القلب، وتوكلـه، واستعانته، وتألهه وإنابته، وتوجهـه إلى اللّـه وحـده لا شـريك له، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال. وليس لأحـد خـروج عن هذا.

وهذا هو القلب السليم الذي قال اللّـه فيـه: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 89] وهو سلامة القلب عن الاعتقـادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة، وما يتبع ذلك .

قلت: وهذا هو المراد بتوحيد خاصة الخاصة الذي أشـار إليـه ابن جـزي وهـو الدرجـة العليـا من الإيمـان بـل هـو مرتبـة الإحسان.

*** *** ***

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: وكـان التوحيـد عندهم - يعني السلف - عبـارة عن أمـر آخـر لا يفهمـه أكـثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به:

وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراتـه التوكـل، ومن ثمراتـه أيضـا تـرك شـكاية الخلـق وتـرك الغضـب عليهم والرضـا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال (الطبيب أمرضني)[39].

[39]- هذا الأثر ذكره ابن كثـير في تفسـير سـورة الواقعـة من كلام ابن مسـعود رضي الله عنه ونسبه لابن عساكر. وورد عن أم المؤمنين عائشة رضـي اللـه

والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية:

فالقشر الأول: هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره.

والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون - أي المتخصصون في العقيدة - هم حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة.

والثالث وهو اللباب: أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره.

*** *** ***

ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) الجاثية (23) وقال صلى الله عليه وسلم (أبغض إله عبدٍ في الأرض عند الله تعالى هو

عنها: أول ما بدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يومًا باردًا، فحمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه، ولما اشتد به المرض قيل له: ألا تدعو لك الطبيب؟ فقال: (**قد رآني فقال: إني فعال لما أريد**). (نقلا عن صفة الصفوة لابن الجوزي، 1/ 264 - 266. أصحاب الرسول لمحمود المصري: 1/104).

الهوى) [40]. وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى.

ويخرج عن هذا التوحيد: التسخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره.

فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي.

وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة - ليصلي الصبح - ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار.

وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة

---

[40]- قال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني (8/123) مع اختلاف يسير.

التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحـد ولا يوجـه وجهـه إلا إليـه وهـو امتثـال قولـه تعـالى (قُـلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُـونَ) سـورة الأنعـام (91)ـ وليس المـراد بـه القـول باللسان فإنما اللسان ترجمـان يصـدق مـرة ويكـذب أخـرى وإنما موقع نظـر اللـه تعـالى المـترجم عنـه هـو القلب وهـو معدن التوحيد ومنبعه.

*** *** ***

المبحث الثاني: فضائل لا إله إلا الله في الكتاب العزيز والسنة المشرفة

المطلب الأول: فضائل لا إله إلا الله في الكتاب العزيز.

المطلب الثاني: فضائل لا إله إلا الله في السنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل لا إله إلا الله في الكتاب العزيز

اعلم أخي القارئ الكريم بارك الله فيك ليس المقصود بيان فضائلها بل الأمر أوسع من ذلك لأنه سيتبين من خلال ذكر تلك الفضائل بيان عظمة هذه الكلمة وقدسيتها وضرورتها في الدنيا والآخرة، لأن المتتبع لفضائلها قد لا يكون مبالغا إن قال إنها لا يكاد يحصرها العاد، وذلك لأن النصوص مع كثرتها فهي عميقة المعاني وكل قارئ يفيد منها ويغترف من بحارها ويقبس من أنوارها كل بحسب ما أوتي من علم وذوق، ولكن لما كان المجال لا يحتمل التوسع أحببت أن أشير إلى عدد يسير مما ورد في فضلها.

لقد وردت أن كلمة التوحيد (لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ) في القرآن الكريم بلفظها وبمعناها:

أما بلفظها: فقد وردت في سبعة وثلاثين موضعا [41].

[41]- وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة الآية: 163
- ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ البقرة الآية:255
- ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آل عمران الآية:2
- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران الآية:6
- ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّه لا إله إلا هو ﴾ آل عمران الآية:18
- ﴿لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران الآية: 18
- ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً ﴾ النساء الآية:87
- ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام الآية:102
- ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾الأنعام الآية:106
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ ﴾الأعراف الآية:

وأما بمعناها: فقد وردت في آيات قرآنية كثـيرة تتحـدث عن لا إله إلا الله، ونحن نقتبس هنا ما أشار إليه الإمـام الـبيهقي رحمه الله في كتابه الأسماء والصـفات فـق أثبت فيـه عـددا من الكلمـات الـواردة في بعض الآيـات الـتي فسـرها أكـابر الصـحابة والتـابعون بـأن المـراد منهـا لا إلـه إلا اللـه مـع أن القارئ لها لأول وهلة قد يظن أنها ليس لها علاقـة بلا إلـه إلا الله، فنقلت كلامه رحمه الله تعالى مع إضافتين:

158

- ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِـداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ سُـبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة الآية:31
- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ التوبة الآية:129
- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْـرَ فَـأَتْبَعَهُمْ فِرْعَـوْنُ وَجُنُـودُهُ بَغْيـاً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَـرَقُ قَـالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس الآية:90
- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ هود الآية:14
- ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعدالآية: 30
- ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِـالْرُّوحِ مِنْ أَمْـرِهِ عَلَى مَن يَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾ النحل الآية:2
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ طه الآية:8
- ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ لِـذِكْرِي ﴾ طه الآية:14
- ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَـيْءٍ عِلْمـاً ﴾ طـه الآية: 98
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾الأنبياء الآية: 25
- ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَـاتِ أَن لَّا إِلَـهَ إِلَّا أَنتَ سُـبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾الأنبياء الآية:87
- ﴿فَتَعَـالَى اللَّهُ الْمَلِـكُ الْحَـقُّ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْكَـرِيمِ ﴾المؤمنون الآية: 116
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ النمل الآية: 26
- ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَـهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾القصص الآية: 70
- ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص الآية:88

الأولى: زيـادة آيـات أخـر مـع تفسـيرها بـالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة.

الثانيـة: وضـع أسـماء وإن شـئت قـل ألقـاب تُفهم من تلـك الآيات فمثلا لا إله إلا الله يمكن أن نسميها بــ كلمـة التقـوى والقول الثابت.. إلخ.

*** *** ***

- ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾فاطر الآية:3
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيـلَ لَهُمْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْـتَكْبِرُونَ ﴾ الصـافات الآية:35
- ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـاتِكُمْ خَلْقـاً مِن بَعْـدِ خَلْـقٍ فِي ظُلُمَـاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الزمر الآية: 6
- ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَـدِيدِ الْعِقَـابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ غافر الآية:3
- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُـوَ فَـأَنَّى تُؤْفَكُـونَ ﴾ غافرالآية:62
- ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ غافر الآية:65
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الـدخان الآية:8
- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ سورة محمد الآية:19
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ هُـوَ الـرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ الحشر22
- ﴿هُـوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْمَلِـكُ الْقُـدُّوسُ السَّـلَامُ الْمُـؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر الآية:23
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ التغابن الآية: 13
- ﴿رَبُّ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْـرِبِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ فَاتَّخِـذْهُ وَكِيلاً ﴾ المزمل الآية:9
- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَـةٍ وَمَـا مِنْ إِلَــهٍ إِلاَّ إِلَــهٌ وَاحِدٌ ﴾ المائدة الآية:73

والآن إليك تفصيل ذلك بعون الله وتوفيقه: [42]

1/ كلمة التقوى هي لا إله إلا الله: قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الفتح: 26].

عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ) قال: لا إله إلا الله والله أكبر.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ) قال: شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تقوى، وكذا روي عن ابن عمر رضي الله عنهما[43].

2/ الحسنة عند الإطلاق هي لا إله إلا الله: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) [النمل: 89] قال: الحسنة: لا إله إلا الله.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا) [النمل: 89]ـ يقول: من جاء بلا إله إلا

[42]- الأسماء والصفات – للبيهقي - باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله.

[43]- عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أنزل الله تعالى في كتابه فذكر قوما استكبروا فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) [الصافات: 35] وقال تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) [الفتح: 26].

وكلمة التقوى هي لا إله إلا الله محمد رسول الله التي استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضية المدة. (الأسماء والصفات – للبيهقي).

الله فمنها وصل إليه الخير (وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) وهـو الشـرك يقول: (وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَـلْ تُجْـزَوْنَ إِلَّا مَـا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ) [النمل: 90].

3/ لا إلـه إلا اللـه هي الإحسـان: وردت بالاسـم: كمـا قـال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) الرحمن (60)؛ قـال القرطبي: قال عكرمة رحمه الله: أي هـل جـزاء من قـال لا إله إلا الله إلا الجنة. وعن ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا: مـا جزاء من قال لا إله إلا اله وعمل بمـا جـاء بـه محمـد صـلى الله عليه وسلم إلا الجنة.

ووردت بالفعل في قولـه: (لِّلَّذِينَ أَحْسَـنُوا الْحُسْـنَىٰ وَزِيَـادَةٌ) [يونس: 26] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقول للذين شهدوا أن لا إله إلا الله الجنة.

4/ دعوة الحق هي لا إله إلا الله: عن ابن عباس رضـي اللـه عنهما قال: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) [الرعد: 14] قال: لا إله إلا الله.

5/ شهادة الحق هي لا إله إلا الله: كما في قولـه تعـالى: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [الزخرف: 86].

قال القرطـبي رحمـه اللـه تعـالى: (الْمَعْنَى وَلَا يَمْلِـكُ هَـؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَآمَنَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِـيرَةٍ، قَالَـهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُ. قَالَ: وَشَهَادَةُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

*** *** ***

6/ القـول السـديد هـو قـول لا إلـه إلا اللـه: عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: (يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [الأحزاب: 70] قول لا إله إلا الله.

7/ كلمة التزكية هي لا إله إلا الله: في قوله عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى) [الأعلى: 14]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أفلح مَن قال لا إله إلا الله.

وفي قول موسى عليه السلام لفرعون: (هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى) [النازعات: 18] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إلى أن تقول لا إله إلا الله.

8/ كلمة الزكاة هي لا إله إلا الله: في قوله تعالى: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [فصلت: 6-7] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذين لا يقولون لا إله إلا الله.

9/ كلمة الاستقامة هي لا إله إلا الله: في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصلت: 30] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استقاموا على شهادة لا إله إلا الله.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصلت: 30] أي لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا [44].

[44]- وفي الآية أقوال أخر: وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَخْطُبُ: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا [فصلت: 30]، فَقَالَ: اسْتَقَامُوا وَاللَّهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِطَاعَتِهِ ثُمَّ لَمْ يَروغُوَا رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ.
وَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ.
وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ أَدَّوُا الْفَرَائِضَ، وَأَقْوَالُ التَّابِعِينَ بِمَعْنَاهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَقَتَادَةُ: اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ. الْحَسَنُ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ رحمهما الله تعالى: اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى مَاتُوا.

10/ القول الصواب هو قول لا إله إلا الله: في قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) [النبأ: 38] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إلا من أذن له الرب بشهادة أن لا إله إلا الله وهي منتهى الصواب.

11/ القول الذي يحط الذنوب هو لا إله إلا الله: في قوله جل وعلا: (وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) [البقرة: 58] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا إله إلا الله.

12/ القول الرشيد هو قول لا إله إلا لله: في قول لوط عليه السلام لقومه: (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) [هود: 78]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أليس منكم رجل يقول: لا إله إلا الله؟.

*** *** ***

13/ العمل الصالح قول لا إله إلا لله: في قوله: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) [المؤمنون: 89-99] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أَعْمَلُ صَالِحًا) أقول لا إله إلا الله.

14/ الأمر بالمعروف هو الأمر بلا إله إلا الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) [آل عمران: 110] يقول: تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله والإقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رحمه الله تعالى: عَمِلُوا عَلَى وِفَاقِ مَا قَالُوا.
وَقَالَ الرَّبِيعُ رحمه الله تعالى: أَعْرَضُوا عَمَّا سِوَى اللَّهِ، وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: زَهِدُوا فِي الْفَانِيَةِ وَرَغِبُوا فِي الْبَاقِيَةِ. وَقِيلَ: اسْتَقَامُوا إِسْرَارًا كَمَا اسْتَقَامُوا إِقْرَارًا، وَقِيلَ: اسْتَقَامُوا فِعْلًا كَمَا اسْتَقَامُوا قَوْلًا).

15/ الكلمة العليا هي لا إلـه إلا الله: في قولـه: (وَكَلِمَـةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ) [التوبة: 40]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: هي لا إلـه إلا اللـه، و (كَلِمَـةَ الَّذِينَ كَفَـرُوا السُّـفْلَىٰ) [التوبة: 40] وهي الشرك بالله.

16/ كلمة العدل هي لا إله إلا الله: في قولـه: (إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالْإِحْسَـانِ وَإِيتَـاءِ ذِي الْقُـرْبَىٰ) [النحـل: 90]ـ عن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا قـال: العـدل: شـهادة أن لا إلـه إلا الله.

17/ العهـد المـأخوذ لـدخول الجنـة: في قولـه: (لَا يَمْلِكُـونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْـدًا) [مـريم: 87] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العهد شهادة أن لا إلـه إلا اللـه ويبرأ من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

18/ كلمة الشفاعة المرضـية هي لا إلـه إلا اللـه: في قولـه: (وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَـىٰ) [الأنبيـاء: 28] عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: الذين ارتضـاهم بشـهادة أن لا إلـه إلا الله.

19/ كلمة الصدق هي لا إلـه إلا الله: في قولـه: (وَالَّذِي جَـاءَ بِالصِّدْقِ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء بلا إله إلا الله (وَصَدَّقَ بِهِ) يعني: برسوله صلى الله عليه وسلم (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [الزمر: 33] يقول: اتقوا الشرك.

20/ الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله: في قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْـفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) [إبراهيم: 24] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهادة أن لا إله إلا اللـه كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَـةٍ وهو المؤمن: أَصْلُهَا ثَابِتٌ ،يقـول لا إلـه إلا اللـه ثـابت في

قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: 24] يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

ثم قال سبحانه: (ومثل كلمة خبيثة) يقول: الشرك (كشجرة خبيثة) [إبراهيم: 26] يعني: الكافر، (اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملا.

*** *** ***

21/ النعمة السابغة هي لا إله إلا الله: هي لا إله إلا الله: عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [القمان: 20] قال: لا إله إلا الله.

22/ الكلمة الباقية هي لا إله إلا الله: عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذرية من يقولها من بعده: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 28] قال: يتوبون أو يذكرون.

23/ العروة الوثقى هي لا إله إلا الله: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256].

قال ابن عباس وسعيد ابن جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ رحمهم الله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذِهِ عِبَارَاتٌ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ. ثُمَّ قَالَ: (لَا انْفِصامَ لَها) [45].

---

[45]- وفي الآية أقوال أخر: قال القرطبي رحمه الله تعالى: (قَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله تعالى: الْعُرْوَةُ الْإِيمَانُ. وَقَالَ السدى رحمه الله تعالى: الإسلام. وقَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله تعالى: أَيْ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، أَيْ لَا يُزِيلُ عَنْهُمُ اسْمَ الْإِيمَان حَتَّى يَكْفُرُوا).

24/ القول الثابت هو لا إلـه إلا الله: قـال تعـالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِـالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الْآخِـرَةِ ﴾ [إبراهيم: 27].

قال القرطبي رحمـه الله تعـالى: (قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا بِـالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قَـالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضـي اللـه عنهما: هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)[46].

25/ القسط الذي أمر به هو لا إله إلا الله: قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْـجِدٍ وَادْعُـوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ سورة الأعراف (29).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال ابن عبـاس رضـي اللـه عنهما: لا إله إلا اللـه، ونقـل قولـه الـرازي ثم قـال: والـدليل عليه قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: 18) وذلك القسط ليس إلا شهادة أن لا إله إلا الله.

*** *** ***

المطلب الثاني: فضائل لا إله إلا الله في السنة المشرفة

بعـد أن ذكرنـا مـا للتهليـل من فضـائل في القـرآن الكـريم سنذكر هنا بعون الله تعالى ما ورد من فضائله في الأحاديث النبوية الـتي حثت عليـه وبيَّنت الأجـور العظيمـة والحسـنات

[46]- وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ قَـالَ: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [إبراهيم: 27]، نَزَلَتْ فِي عَـذَابِ الْقَبْرِ، يُقَالُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ، فَـذَلِكَ قَوْلُـهُ:(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [إبراهيم: 27].

المضاعفة، ولن نكرر ما سبق ذكره من فضائل التهليل المقترنة بالباقيات الصالحات آنفة الذكر في الفصل الأول فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول [47]:

1/ كلمة التوحيد أفضل قول قاله الأنبياء: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (رواه الإمام مالك في موطئه والترمذي في سننه.

2/ لا إله إلا الله سبب لمغفرة الذنوب: جاء في مسند الإمام أحمد بسنده عن يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟) يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ. فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: (ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ثُمَّ قَالَ:(أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ).

*** *** ***

[47]- مقتبس من مقالين: فضل لا إله إلا الله - يوسف المطردي – شبكة الالوكة، مقالاتي: لا إله إلا الله معناها وحقيقتها وشروطها وفضلها ونواقضها - الموقع الرسم للأستاذ الدكتور حسين صالح الرقب (بتصرف).

3/ لا إلـه إلا اللـه أفضـل الحسـنات وماحيـة للسـيئات: روى الإمام أحمد في مسنده بسـنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضـي اللـه عنـه قَالَ: قُلْتُ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، أَوْصِـنِي. قَـالَ: (إِذَا عَمِلْتَ سَـيِّئَةً فَأَتْبِعْهَـا حَسَـنَةً تَمْحُهَا). قَـالَ: قُلْتُ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: (هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ).

4/ لا إله إلا الله أثقل عمل يوضع في الميزان: ففي الحديث أن كليم الله موسى عليه السلام سـأل ربـه أن يعلمـه ذكـرا يخصه به، فأمره أن يقول (لا إله إلا الله)، وإليـك الحـديث، روى النسائي وغـيره بسـنده عن أبي سـعيد الخـدريّ رضـي اللّه عنه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليـه وسـلّم قـال: (قَـالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُـوكَ بِـهِ، قَـالَ: يَـا مُوسَى: قل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ مُوسَـى: يَـا رَبِّ: كُلُّ عِبَـادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَـا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصَّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْـرِي، وَالْأَرَضِـينَ السَّـبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

وجاء هذا المعنى في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن نوحًا عليه السلام قال لابنه عنـد موتـه:آمـرك بلا إلـه إلا اللـه فـإن السـماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفـة رجحت بهن لا إلـه إلا اللـه ولـو أن السـماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مهملـة قصـمتهن لا إلـه إلا الله) رواه أحمد بسند جيد ورواه البخاري في 'الأدب المفرد' وصححه الشيخ الألباني.

5/ لا إله إلا الله بها يُعصم دم العبد وماله: قـال النـبي صـلى الله عليه وسلم:(من قال:لا إله إلا اللـه وكفـر بمـا يُعبَـد من

دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) رواه مسلم.

*** *** ***

6/ لا إله إلا الله بها يدخل العبد الجنة دار السلام: قال النبي صلى الله عليه وسلم:(أشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة) رواه مسلم.

7/ من فضائلها أنه من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة: فعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)؛ رواه أبو داود بسند صحيح.

8/ لا إله إلا الله من قالها بإخلاص حصلت له شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم: ففي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحق الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه).

9/ لا إله إلا الله إذا رسخت في قلب العبد بددت ضباب الذنوب وغيومها:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، بإسناد صالح [48].

10/ لا إله إلا الله سبب لتفريج الكربات:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ) رواه البخاري.

ولذا لما كان يونس عليه السلام في بطن الحوت، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الأنبياء:(87)

---

[48]- هذا الحديث ليس قاعدة مطردة لكل الناس: فهذا الرجل داخل تحت مشيئة الله ورحمته، وإلا فكم من أهل الكبائر من يعذب في النار على قدر جرمه، ثم يخرج منها، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة ومنها الحديث المشهور في آخر من يخرج من النار.

فلا يغتر مقصر أو مفرط أو تائه عن الله – تعالى- بأنه يقول كلمة التوحيد، ثم بعد ذلك لا يضره ما فعل، كما هي أفعال وممارسات كثير من المسلمين في تركهم الصلاة والجمع والجماعات، وفعل المنكرات التي تهتز لها الجبال.

يقول ابن القيم – رحمه الله -: (الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات فلا يعذب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات: لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزان) – مدارج السالكين (1/ 331)– موقع إمام المسجد.

وقال الله تعـالى: (فَلَـوْلا أَنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُسَـبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)، ولهذا قال هنا: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـاهُ مِنَ الْغَمِّ)، أي الشدة التي وقع فيها فاستجاب الله له وفـرج كربته.

*** *** ***

وعَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنـه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُـوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَـطُّ إِلَّا اسْـتَجَابَ اللَّهُ لَهُ) [49].

11/ لا إلـه إلا اللـه أعلى شـعب الإيمـان: روى مسـلم في صحيحه بسـنده عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضـي اللـه عنـه قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْـعٌ وَسِـتُّونَ - شُـعْبَةً، فَأَفْضَـلُهَا قَـوْلُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيـقِ، وَالْحَيَـاءُ شُـعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ).

12/ لا إلـه إلا اللـه أنهـا تحـرم على النـار من قالهـا صـادقًا مخلصًا: في الصـحيحين من حـديث عثمـان رضـي اللـه عنـه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم:(إن اللـه حـرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

وأختم بما قاله ابن عيينـة - رحمـه اللـه - مـا أنعم اللـه على عبد من العباد نعمة أفضل من أن عرَّفَهُ لا إلـه إلا اللـه، وإنَّ

[49]- رواه الترمذي (3505)، والإمام أحمـد في "المسـند" (3 / 65)، وحسـنه محققو المسند، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (2 / 282).(موقع الإسلام سؤال وجواب).

لاَ إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ولأجلها أعدت دار الثواب، ودار العقاب ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد.

المبحث الثالث: فوائد لا إله إلا الله وروحانياتها

المطلب الأول: بعض فوائد لا إله إلا الله من الكتاب والسنة.

المحور الأول: فوائد جليلة من قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ).

المحور الثاني: فوائد لا إله إلا الله من الحديث الشريف: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شعبة).

المطلب الثاني: روحانيات لا إله إلا الله.

المطلب الأول: بعض فوائد لا إله إلا الله من الكتاب والسنة

لعله مما لا يخفى أن جميع فضائل لا إله إلا الله الواردة في الآيات والأحاديث والتي سبق ذكرها تشتمل على فوائد جمة وثمرات كثيرة ونعني بذلك أن المؤمن يجد في حياته فوائد تلك الفضائل واقعًا معيشًا وتغيرًا ملموسًا، وما سأذكره هنا من الفوائد مأخوذ من آية واحدة وحديث واحد مما سبق ذكره في المطلب السابق فأحببت ي هذا المطلب أن أتوسع في ذكر فوائدها من كلام المفسرين وشراح حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، في محورين:

المحور الأول: فوائد جليلة من قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) سورة إبراهيم (24-25).

هذه الآية تبين لنا فوائد عظيمة لـ (لا إله إلا الله)، ومنها [50]:

الفائدة الأولى: قوله تعالى (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هذه شجرة موصوفة بأربع صفات:

الصفة الأولى لتلك الشجرة: كونها طيبة، وذلك يحتمل أمورًا:

أحدها: كونها طيبة المنظر والصورة والشكل.

وثانيها: كونها طيبة الرائحة.

وثالثها: كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة.

ورابعها: كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرة طيبة، على مجموع هذه الوجوه؛ لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب.

*** *** ***

الصفة الثانية: أَصْلُهَا ثَابِتٌ: أي راسخ باق آمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء؛ وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان

---

[50]- ملخصة من تفسير الفخر الرازي للآية الكريمة.

في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفـرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخـوف من زوالـه وانقضائه.

أما إذا علم من حاله أنه بـاق دائم لا يـزول ولا ينقضـي فإنـه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به.

والصفة الثالثة: وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ: وهذا الوصف يـدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين:

الأول: أن ارتفـاع الأغصـان وقوتهـا في التصـاعد يـدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق.

والثاني: أنها متى كانت متصـاعدة مرتفعـة كـانت بعيـدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية فكانت ثمراتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

والصفة الرابعة: تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا: والمــراد: أن الشـجرة المـذكورة كـانت موصـوفة بهـذه الصـفة، وهي أن ثمرتها لا بـد أن تكـون حاضـرة دائمـة في كـل الأوقـات، ولا تكـون مثـل الأشـجار الـتي يكـون ثمارهـا حاضـرا في بعض الأوقات دون بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم.

ومن المعلـوم بالضـرورة أن الرغبـة في تحصـيل مثـل هـذه الشـجرة يجب أن تكـون عظيمـة، وأن العاقـل مـتى أمكنـه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنهـا أو يتسـاهل في الفوز بها.

*** *** ***

الفائدة الثانية: معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته، تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات الأربع، وبيانه كالتالي:

أما الصفة الأولى: وهي كونها طيبة فهي حاصلة: بل نقول: لا طيِّب ولا لذيذ في الحقيقة إلا هذه المعرفة؛ وذلك لأن اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة المعيَّنة إنما حصلت لأن إدراك تلك الفاكهة أمر ملائم لمزاج البدن، فلأجل حصول تلك الملاءمة والمناسبة حصلت تلك اللذة العظيمة، وههنا الملائم لجوهر النفس والروح ليس إلا معرفة الله تعالى ومحبته والاستغراق في الابتهاج به، فوجب أن تكون هذه المعرفة لذيذة جدا، بل نقول: اللذة الحاصلة من إدراك الفاكهة يجب أن تكون أقل حالا من اللذة الحاصلة بسبب إشراق جوهر النفس بمعرفة الله.

الصفة الثانية: هذه الشجرة ثابتة الأصل: فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل؛ وذلك لأن عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية، وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء، وأيضا مدد هذا الرسوخ إنما هو من تجلي جلال الله تعالى، وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور النور ومبدأ الظهور، وذلك مما يمتنع عقلا زواله لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته، وواجب الوجود في جميع صفاته، والتغير والفناء والتبدل والزوال والبخل والمنع محال في حقه، فثبت أن الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الأصل ليست إلا هذه الشجرة.

الصفة الثالثة: الشجرة الجسمانية فرعها في السماء: اعلم أن شجرة المعرفة لها أغصان كثيرة ويجمعها أصلان

عظيمان وهما: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله تعالى.

أما التعظيم لأمر الله: فيدخل فيه: التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الأرواح، وفي عالم الأجسام، وفي أحوال عالم الأفلاك والكواكب، وفي أحوال العالم السفلي.

ويدخل فيه: محبة الله تعالى والشوق إلى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى، والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى، والاستقصاء في ذكر هذه الأقسام غير مطموع فيه لأنها أحوال غير متناهية.

وأما الشفقة على خلق الله: فيدخل فيه: الرحمة والرأفة والصفح والتجاوز عن الذنوب، والسعي في إيصال الخير إليهم، ودفع الشر عنهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان. وهذه الأقسام أيضا غير متناهية، وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فإن الإنسان كلما كان أكثر توغلا في معرفة الله تعالى كانت هذه الأحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل.

* * * * * * * * *

وأما الصفة الرابعة: فهي قوله تعالى: (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا): فشجرة المعرفة أولى بهذه الصفة من الأشجار الجسمانية؛ لأن شجرة المعرفة موجبة لهذه الأحوال ومؤثرة في حصولها، والسبب لا ينفك عن المسبب.

فأثر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبرة كما قال: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) [الحشر: 2]،

وأن يكـون سـماعه بالحكمـة كمـا قـال: (الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَـنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَـدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر: 18]، ونطقه بالصدق والصواب كما قال: (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا كُونُـوا قَـوَّامِينَ بِالْقِسْـطِ شُـهَدَاءَ لِلَّهِ) [النساء: 135].

وهذا الإنسان العارف بالله كلما كان رسوخ شجرة المعرفـة في أرض قلبه أقـوى وأكمـل، كـان ظهـور هـذه الآثـار عنـده أكثر، وربما توغل في هـذا البـاب فيصـير بحيث كلمـا لاحـظ شيئا لاحظ الحقَّ فيه، وربما عظُمَ ترقِّيه فيـه فيصـير لا يـرى شيئا إلا وقد كان قد رأى الله تعالى قبله.

فهذا هو المراد من قوله سـبحانه وتعـالى: (تُـؤْتِي أُكُلَهَـا كُـلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا) وأيضـا فمـا ذكرنـاه إشـارة إلى الإلهامـات النفسـانية والملكـات الروحانيـة الـتي تحصـل في جـواهر الأرواح.

ثم لا يـزال يصـعد من تلـك المعرفـة في كـل حين ولحظـة ولمحـة كلام طيب وعمـل صـالح وخضـوع وخشـوع وبكـاء وتذلل، كثمرة هذه الشجرة.

*** *** ***

وأما قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهَا) ففيه دقيقـة عجيبـة: وذلـك لأنـه عنـد حصـول هـذه الأحـوال السـنية والـدرجات العاليـة قـد يفـرح الإنسان بها من حيث هي هي، وقد يترقى فلا يفـرح بهـا من حيث هي هي، وإنمـا يفـرح بهـا من حيث إنهـا من المـولى، وعنـد ذلـك فيكـون فرحـه في الحقيقـة بـالمولى لا بهـذه الأحوال.

ولذلك قال بعض المحققين: مَن آثر العرفـان للعرفـان فقـد قال بالفاني، ومَنْ آثر العرفان لا للعرفان، بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول.

هي أجمل الكلمات قُلْها كلما ضَجَّ الفؤادُ وضاقت الأزمان

وقال بعضهم في تقرير هذا المثال كلامـا لا بـأس بـه فقـال: إنما مثَّل الله سبحانه وتعالى الإيمان بالشجرة، لأن الشـجرة لا تستحق أن تسمى شجرة، إلا بثلاثـة أشـياء: عـرق راسـخ، وأصل قائم، وأغصـان عاليـة. كـذلك الإيمـان لا يتم إلا بثلاثـة أشياء: معرفة في القلب، وقـول باللسـان، وعمـل بالأبـدان. والله أعلم.

الفائدة الثالثة: شبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشـجرة الطيبـة لأن الكلمـة الطيبـة تثمـر العمـل الصـالح والشـجرة الطيبـة تثمـر الثمـر النـافع وهـذا ظـاهر على قـول جمهـور المفسرين الذين يقولـون: الكلمـة الطيبـة هي شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه فإنهـا تثمـر جميـع الأعمـال الصـالحة الظـاهرة والباطنـة، وفي تفسـير علي بن أبي طلحـة عن ابن عبـاس قال: «كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن أصـلها ثـابت قـول لا إلـه إلا اللـه في قلب المـؤمن وفرعهـا في السـماء يقـول يرفـع بهـا عمـل المـؤمن إلى السماء».

*** *** ***

الفائدة الرابعة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وإذا تـأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشـجرة التوحيـد الثابتـة الراسـخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصـالحة الصـاعدة إلى السماء ولا تزال هـذه الشـجرة تثمـر الأعمـال الصالحة كـل

وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها.

الفائدة الخامسة: حكمة تشبيه المؤمن بالشجرة: وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لابد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به والاعتقاد، مطابقًا لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدي والدل والسمت مشابه لهذه الأصول، مناسب لها - علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب، إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ومنها: أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسـلم: (إنَّ الإيمـانَ ليَخلَـقُ في جـوفِ أحـدِكم كمـا يَخْلَـقُ الثوبُ، فاسألوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم) [51].

وبالجملـة فـالغرس إن لم يتعاهـده صـاحبه أوشـك أن يهلـك ومن هنـا تعلم شـدة حاجـة العبـاد إلى مـا أمـر اللـه بـه من العبادات على تعاقب الأوقـات وعظيم رحمتـه وتمـام نعمتـه وإحسانه إلى عباده بأن وظفهـا عليهـا وجعلهـا مـادة لسـقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لابد أن يخالطه دغـل ونبت غـريب ليس من جنسـه فـإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغـرس والـزرع واسـتوى وتم نباته وكان أوفر لثمرتـه وأطيب وأزكى وإن تركـه أوشـك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمـة ناقصـة بحسـب كثرتـه وقلتـه ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة بـه فإنـه يفوتـه ربح كثـير وهو لا يشعر فـالمؤمن دائمـا سـعيه في شـيئين سـقي هـذه الشجرة وتنقية ما حولهـا فبسـقيها تبقى وتـدوم وبتنقيـة مـا حولها تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان[52].

*** *** ***

الفائدة السادسة: ذكر بعض البـاحثين أن لــ (لا إلـه إلا اللـه) فوائد تحصل للمجتمع ومن أهمها [53]:

---

[51]- قال الألباني: رجاله رجال مسلم غير عبـدالرحمن بن ميسـرة وهـو حسـن الحديث - السلسلة الصحيحة – حديث رقم (1585).

[52] - الفائدتان (4-5) ملخصتان من تفسير ابن القيم للآية - الحاوي في تفسير القرآن الكريم – موقع نداء الإيمان.

[53]- مقال: لا إله إلا الله فضلها وآثارها – لسعد البريك – طريق الإسلام.

1- اجتماع الكلمة التي تثمر القوة للمسلمين؛ لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [النساء:103]. وقال تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال:62-63].

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:159]، وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:58]، فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هي مدلول "لا إله إلا الله".

2- ومن آثار هذه الكلمة العظيمة: شيوع الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضى "لا إله إلا الله" لأن كلًا من أفراده يأخذ ما أحل الله له ويترك ما حرم الله عليه تفاعلًا مع عقيدته التي تملي عليه ذلك. فيكف عن الاعتداء والظلم والعدوان، ويحل محل ذلك التعاون والمحبة والموالاة في الله عملًا بقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات:10].

ومن تأمل حال العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وحالهم بعدما دانوا بها يتضح له ذلك جليًا، فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين يفتخرون بالقتل والنهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا أخوة متحابين، كما قال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح:29].

وقال تعالى: (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) [النساء:103].

*** *** ***

المحور الثاني: فوائد لا إله إلا الله من قوله صلى الله عليه وسلم: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)؛ رواه مسلم.

فمن فوائده ما يأتي: [54]

1/ الشعبة هي في الأصل غصن الشجر وفرع كل أصل، وأريد بها هنا الخصلة الحميدة: أي: الإيمان ذو خصال متعددة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله أي: هذا الذكر فوضع القول موضعه، ويؤيده ما ورد عن الحبيب صلى الله عليه وسلم: (أفضلُ الذِّكرِ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأفضلُ الدُّعاءِ الحمدُ للهِ) [55].

2/ كلما علت هذه الكلمة وعظم قدرها في القلب عظمت محارم الله في نفسه: ولهذا جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

[54]- ملخصة من كتاب فتح المنعم شرح صحيح مسلم – تأليف العلامة موسى شاهين لاشين – من موقع جامع السنة وشروحها، وكتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان – موقع إسلام ويب، ومقال شرح حديث شعب الإيمان - الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الزامل – شبكة الألوكة – بتصرف.

[55]- أخرجه الترمذي (3383)، وابن ماجه (3800)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10667) وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: (1104).

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ) أخرجه البخاري برقم (99).وهذا هو المراد من قولها أن تكون بالإخلاص والصدق.

3/ الإيمان كالشجرة تطلق على الجذر والجـذع: كمـا تطلـق عليهمـا مـع الفـروع والأغصـان والأوراق والأزهـار والثمـار، كـذلك يطلـق الإيمـان على التصـديق بـالقلب، وعليـه مـع الأعمـال الصـالحة، وإذا كـانت الشـجرة لا تـؤتي أكلهـا، ولا يكمل نفعها إلا بما حمل جذرها وجذعها فإن الإيمـان كـذلك، لا يكون منجيا من النار، إلا بمـا أوجبـه واسـتلزمه من صـالح الأعمال.

وإذا كانت الشجرة تتشعب شعبا مختلفـة، بعضـها أغلـظ من بعض، وبعضها أساس لغيره وبعضها أهم وأنفـع من الشـعب الأخرى، فإن الإيمان الكامل كذلك، يبدأ بشهادة أن لا إلــه إلا الله وأن محمدا رسـول اللـه، وتتـدرج أوامـره ومطالبـه من الأهم إلى المهم، ومن المهم إلى مـا هـو دونـه، حـتى ينتهي بإزاحة الشوك من طريق المسلمين.

*** *** ***

4/ هذه الكلمة العظيمة من قالها استحق أخوة الإيمان: وإن كان من أبعـد النـاس، ومن أباهـا اسـتحق العـداوة وإن كـان أقـرب النـاس، لأن ذاك علا بإيمانـه على كـل شـيء فكـان أقرب من كل قريب.

وكلمة التوحيد فيها نفي وإثبـات فلا إله معبـود بحـق إلا اللـه سـبحانه وتعـالى وهـذا هـو الإثبـات والنفي لجميـع الآلهـة المعبودة سوى الله عز وجل وأنها باطلة.

ثم انظر كيف ذكر صلى الله عليه وسلم في أعلا الشعب (لا إله إلا الله) لا يمكن أن ينوب أحدٌ عن أحد بها ولا تقبل الحوالة ولا الوكالة بل لا يصلح أن يقولها إلا كل شخص عن نفسه، وهو الذي يؤمن بها ويوحد الله بها سبحانه وتعالى وهي عمل لازم للعبد.

*** *** ***

5/ إحصاء شعب الإيمان وتعدادها: حاول العلماء عد تلك الشعب و قام الحافظ بتلخيص ما أوردوه فقال رحمه الله: إن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة، وهي:

الإيمان بالله - ويدخل فيه الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده وبأن ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه - والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر - ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض في الله، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد تعظيمه - ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته- والإخلاص - ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق - والتوبة، والخوف والرجاء والشكر، والوفاء والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع - ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب - وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأما أعمال اللسان فتشتمل على سبع خصال وهي: التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر - ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو -.

وأما أعمال البدن فتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة وهي على أقسام:

منها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما - ويدخل فيه اجتناب النجاسات - وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود (ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف) والصيام فرضا ونفلا، والحج والعمرة كذلك، والطواف والاعتكاف والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين - وتدخل فيه الهجرة من دار الشرك-والوفاء بالنذر والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين - ويدخل فيه اجتناب العقوق - وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة والرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس - ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة - والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وإقامة الحدود، والجهاد - ومنه المرابطة - وأداء الأمانة -ومنه أداء الخمس والقرض مع وفائه - وإكرام الجار، وحسن المعاملة - وفيه جمع المال من حله- وإنفاق المال في حقه - ومنه ترك التبذير والإسراف - ورد السلام، وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

* * *   * * *   * * *

المطلب الثاني: روحانيات لا إله إلا الله

بين يدي هذه الروحانيات لا بد من إثبات حقيقـة مهمـة وهي أن الناس في شعورهم بهذه الكلمة على قسمين:

فمنهم مَنْ ينطق بها وهو صِدِّيق وهذا هو الذي جاءت الأخبار بالثناء على قائلها بأن يكون صادقًا ومخلصًا في قوله بها.

ومنهم مَنْ ينطـق بهـا وهـو بين بين أي يقولهـا قـولًا لكنهـا لا تحجزه عن المعاصي ولا تحمله على الصبر والرضا والشـكر ومقامات الإيمان العليا؛ لأن الكلمـة وإن قالهـا بلسـانه وهي عليا وفضلى لكنه لم يعلُ قلبه بها فلم تزكُ نفسـه ولم يـزكُ عمله.

وعلى ضوء ذلك نقول ومن الله نرجو العون والقبول [56]:

من روحانيات لا إله إلا الله: زوال الحيرة والتردد عند الإنسان: فكلما كان الإنسان موحدًا، مخلصًا لله، منيبًا إليه؛ كان أكثر اطمئنانًا، وراحة، وسعادة. وكلما كان الإنسان بعيدًا عن الله كان أكثر حيرة وضلالًا وترددًا، واقرأ إن شئت قول الحق عز وجل:(قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة الأنعام (71). فأهل التوحيد أكثر الناس طمأنينة وإيمانًا، وأبعدهم عن الحيرة، والانفراد، والتخبط، والتنافر، وليس ذلك إلا بتوحيد الله؛ بالتوحيد الخالص لله؛ تعرف من أنت؟ من أين أتيت؟ لماذا أتيت؟ ماذا يريد الله منك؟ ولولا الله ما كنتَ موجودًا في الوجود.

ومن روحانيات لا إله إلا الله: أنها تخرج من قلب قائلها الخوف والجزع مما يتوقعه من أحداث مستقبلية، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) وعقد الراوي بيده التسعين.

قال الساحلي رحمه الله: جاء صلوات الله وسلامه عليه في هذه الحالة ب (ذكر التهليل) بين يدي كلامه مشعرًا بنفي ما يردُ على النفس من الجزع والخوف بتوقع خروج يأجوج ومأجوج؛ ليردَّ وارد الجزع على نفس قد تمكن فيها معنى التوحيد بنفي ما سوى الله تعالى، فلاً يجد الجزع إليها سبيلاً.

---

[56]- هذه الروحانيات ملخصة من كتاب بغية السالك - للساحلي – (42) ومحاضرة أثر التوحيد في تزكية النفوس - دروس الشيخ حسن أبو الأشبال – المكتبة الحديثة الشاملة، ومحاضرة أثر التوحيد في النفوس - للشيخ إبراهيم الدويش – محاضرات مفرغة – موقع إسلام ويب.

واختصاصه صلى الله عليه وسلم (ذكر التهليل) بهذا الموضع دون غيره من تسبيح وتكبير، وشكر تحميد وغير ذلك يؤذن بأن التهليل أخص الأذكار بهذا الحال وما يضارعها فهو الإمام الأعظم والطبيب الأكبر صلى الله عليه وسلم.

*** *** ***

ومن روحانيات لا إله إلا الله: ذهاب الهم والغم والكرب من نفس المؤمن بعد وقوعها، قال الساحلي رحمه الله - بغية السالك ص (42)ـ -: جعل الله فيه - التهليل - اختصاصًا بنفي الهموم بما فيه من إمحاض معنى التوحيد، يُفهم ذلك من قوله تعالى - بعد أن ذكر أحوال المنافقين، وما كانوا عليه من إبطان المكائد وإضمار الحيل للنبي صلى الله عليه وسلم: (فَاعْلَمْ) يا محمد (أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ) [محمد:19]؛ أي: استصحب معنى التوحيد حتى لا تكترث بأمرِ مَنْ سواه.

قال بعض حذاق المفسرين: (هذا خطاب عام للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته فظهر بذلك أن ذكر التهليل له اختصاص بطرد الهموم، وتصييرها همًّا واحدًا للواحد الحق، فلذا كان هم الرزق والتعب والمرض يؤجر عليها المسلم الموحد الصادق إذا كانت في رضا الله عز وجل، ألم يقل الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)؛ متفق عليه، فلا إله إلا الله ما أحلاها في حياتنا قولًا وعملًا.

ومن الأدلة على ذلك قصة يونس عليه السلام، قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) بماذا نادى بماذا استغاث؟ بكلمة التوحيد (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ) سورة الأنبياء (87) فماذا كانت النتيجة؟ (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ).

قال ابن القيم رحمه الله: فما دُفعتْ شدائدُ الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب في التوحيد، ودعوة المؤمن التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّجَ الله كربَه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشركُ، ولا يُنجي منها إلا التوحيدُ، فهذا مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها، وبياتها وبالله التوفيق.

*** *** ***

ومن روحانيات لا إله إلا الله: اليقين بأن الله وحده هو القادر على تزكية نفسك وأعانتها على القيام بالطاعات وترك المخالفات كما قال الله عز وجل: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [النور:21]، لتعلم أن تزكية النفس إنما هي من الله عز وجل، ولكن ليس معنى ذلك أنك تترك أسباب هذه التزكية، بل إذا علم الله تبارك وتعالى منك الحرص والرغبة الصادقة في زكاة نفسك أعانك على ذلك.

فكانت هذه التزكية مخلوقة لله عز وجل، ولكنك كنت سببًا في جلبها، أي: في جلب هذه التزكية وهذه المنفعة من الله عز وجل.

فنقول: إذا صح عندك أنك تتمنى الولد دون زواج، أو تتمنى المال دون عمل، لو صح عندك هذا فإن الجنون قد أصابك، إذ كيف تتمنى أن يكون لك ولد ولم تسع للزواج ولم يكن لك زوجة؟! لا يقول بذلك إلا إنسان مجنون.

وقال سبحانه: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْـرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ)[البقرة:257]. هذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولـوه فلا يبغون عنه بدلًا ولا يشركون بـه أحـدًا، قـد اتخـذوه حبيبًـا ووليًّا، ووالوا أوليـاءه وعـادوا أعـداءه، فتـولاهم بلطفـه ومنَّ عليهم بإحسـانه، فـأخرجهم من ظلمـات الكفـر والمعاصـي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هـذا أن سـلمهم من ظلمـات القـبر والحشـر والقيامـة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور[57].

ومن روحانيـــات لا إلـــه إلا اللـــه: راحـــة النفس الموحِّدة واطمئنانها وسعادتها: فهي لا تقبل الأوامـر إلا من واحـد، ولا تمتثل للنـواهي إلا من واحـد، ولـذلك ترتـاح النفس وتطمئن ويسكن القلب، ويهدأ.

قال ابن القيم رحمـه اللـه: وكمـا أن السـماوات والأرض لـو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسـدتا كمـا قـال تعـالى:(لَـوْ كَانَ فِيهِمَـا ءَالِهَـةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَـدَتَا) سـورة الأنبيـاء(22)،ـ فكـذلك القلب إذا كان فيـه معبـود غـير اللـه تعـالى، فسـد فسـادًا لا يُرجى صلاحه إلا بأن يخـرج ذلـك المعبـود منـه، ويكـون اللـه تعـالى وحـده إلهـه ومعبـوده، الـذي يحبـه ويرجـوه، ويخافـه ويتوكل عليه، وينيب إليه.

إذًا فالموحد لا يحب إلا للـه، ولا يغضـب إلا للـه، ولا يكـره إلا للـه، وهنـا يشـعر القلب بالراحـة والسـعادة، فهـو مطـالب بإرضاء الله ولـو غضـب عليـه أهـل الأرض قاطبـة، هـذه هي حقيقة التوحيد، بل هذا هو الإخلاص لله في كـل شـيءٍ قـال تعـالى (قُـلْ إِنَّ صَـلاَتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَـايَ وَمَمَـاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِـذَلِكَ أُمِـرْتُ وَأَنَـا أَوَّلُ الْمُسْـلِمِينَ) سورة الأنعام (162-163).

---

[57]- تفسير السعدي.

قال الساحلي رحمه الله: إذًا لا بد من الإعـراض عن الخلـق تعويلا على الواحد الحق وذلك بالإكثار من التهليل.

ورحم الله القحطاني حيث يقول في نونيته:

أنتَ الذي صوَّرتَني وخـلقتَني   وهَديتَني لشرائعِ الإيمانِ

أنتَ الذي علمتَني ورحِمتَني   وجعلتَ صدري واعيَ القرآنِ

أنتَ الـذي أطعمتَني وسقيتَني   مِنْ غير كسبِ يدٍ ولا دكانِ

وجبرتَني وسترتَني ونصرتَني   وغَمرْتَني بالفَضْلِ والإحسانِ

أنتَ الذي آويتَني وحبوتَني   وهديتَني من حيرةِ الخذلانِ

وزرعتَ لي بين القلوبِ مودةً   والعطفَ منك برحمةٍ وحنانِ

ونشرتَ لي في العالمين محـاسنًا وسترت عن أبصارهم عصياني

وجعلتَ ذكري في البرية شائعًا   حتى جعلتَ جميعَهم إِخواني

واللهِ لو عـلموا قبيحَ سريرتِي   لأَبى السلامَ عليَّ مَنْ يَلقاني

ولأَعرضوا عنِّي ومـلوا صُحبتي   ولبؤتُ بعدَ كرامةٍ بهوانِ

لكن سترتَ معايبي ومثالبي   وحلمت عن سقطي وعن طغياني

فلك المحامدُ والمدائحُ كلُّها   بِخواطري وجوارحي ولساني

ولقد مننتَ عليَّ ربي بأنعُمٍ   مالي بشكرِ أقلِّهن يدانِ

*** *** ***

ومن روحانيــات لا إلــه إلا اللــه: تواضــع النفس الموحــدة وخوفها وانكسارها لخالقها وافتقارها إليه لشـعورها أنهـا في حاجة إليه تعالى في كل لحظة؛ فهو مالكها، ومـدبرها، وهـذا مما يزيد العبد افتقارًا والتجاء إليه عـز وجـل، ويزيـده ترفعًـا عن المخلوقين ومـا في أيـديهم، فـالمخلوق ضـعيف، فقـير، عاجز أمام قدرة الحق عز وجل الذي إذا أراد شيئًا قـال لـه: كن فيكون.

إذن فالموحـد يشـعر بأنـه يـأوي إلى ركن شـديد، وأنـه في سـعادة عظيمــة، كيــف لا؟ وهــو يشــعر بذلــه، وانكســاره، وافتقاره، وعبوديته لملـك الملـوك. وهـذه الثمـرة من أعظم ثمـرات التوحيـد على النفـوس، حُرِمَهَـا الكثـير منـا، فراحـة النفس، وسعادة القلب في الذل، والافتقار إليــه، والانكســار بين يديه سبحانه، فلنلجأ إلى الله.. لنعلن ضعف أنفسنا للــه، وهنا سيشعر الموحد بالقوة العجيبـة وبالصـبر والثبـات؛ لأنـه يعلم أنه يـأوي إلى الـذي بيـده ملكـوت السـماوات والأرض، الذي يحوطه، ويحفظه.

ومن روحانيات لا إله إلا الله: اليقين والثقة باللــه عـز وجـل: فصاحب التوحيـد على يقين من ربـه، مصـدق بآياتـه، مـؤمن بوعده ووعيده كأنه يراه رأي العين، فهو واثق بالله، متوكــل عليه، راض بقضـائه وقـدره، محتسـب الأجـر والثـواب منـه. والنفس الموحدة تمتلئ بالطمأنينة والسكينة حـتى في أشـد المواقف وأصعبها، ألم نقـرأ في القـرآن:(الَّذِينَ ءَامَنُـوا وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَـدُونَ) سـورة الأنعام(82).

يقـول ابن تيميـه رحمـه اللـه: والنـاس وإن كـانوا يقولـون بألسنتهم لا إله إلا الله، فقول العبد لها مخلصًـا من قلبـه لـه حقيقة أخرى، ما هذه الحقيقـة؟ يخـبر تلميـذه ابن القيم عن شيخ الإسلام بتلك الحقيقة الـذي ذاقهـا - كمـا نحسـبه واللـه حسيبه - فيقول: وعلم الله ما رأيت أحـدًا أطيب عيشًـا منـه قـط مـع مـا كـان فيـه من ضـيق العيش، وخلاف الرفاهيـة والنعيم،، بل ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد، والإرهاق، وهـو مـع ذلـك من أطيب النـاس عيشًـا، وأشـرحهم صـدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهـه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منـا الظنـون، وضـاقت بنـا الأرض؛ أتيناه فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه؛ فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقـوة ويقينًـا وطمأنينـة، فسـبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل؛ فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبهـا والمسابقة إليها.

* * *   * * *   * * *

ومن روحانيات لا إله إلا الله: شعور النفس الموحـدة بمعيـة الله عز وجل:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى - في الفوائد -: فإن قُلْتَ: بأي شـيء أسـتعين على التجـرد من الطمـع ومن الفـزع؟ قُلْتُ: بالتوحيد، والتوكل على الله، والثقة بالله، وعلمك بأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، وأن الأمـر كلـه لله ليس لأحد مع الله شيء.

قال عز وجل:(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ) سورة الحج (38)، وقال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) سورة الزمر (36)، وقـال تعـالى: (ذَلِـكَ بِـأَنَّ اللَّهَ مَـوْلَى الَّذِينَ آمَنُـوا وَأَنَّ

الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) سورة محمد (11)، وقال تعالى: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة يونس(64).

وفي الحديث القدسي: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)؛ رواه البخاري، فما أعظمه من فضل يناله صاحب التوحيد! فالله معه يحفظه، وينصره، ويدافع عنه؛ مما يزيده قوة وشجاعة وإقبالًا على الله عز وجل.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في رسالته الإخلاص: من صدق في قول لا إله إلا الله؛ لم يحب سواه، ولم يرج سواه، ولم يخش أحدًا إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه، ومع هذا فلا تظن أن المحب مطالب بالعصمة وإنما هو مطالب كلما ذل أن يتلافى تلك الوصمة.

ومن روحانيات لا إله إلا الله: تُكسب العبد الحزم والجد في الأمور: فإن الموحد جاد حازم؛ لأنه عرف هدفه، وعرف لماذا خُلِق، وما المطلوب منه، وهو توحيد الله عز وجل والدعوة إليه؛ فلذلك حرص على عمره، فاستغل كل ساعة في عمره، فلا يفوت فرصة للعمل الصالح، ولا يفوت شيئًا فيه رجاء الله، ولا يرى موقع الإثم إلا وابتعد عنه خوفًا من العقاب؛ لأنه يعلم أنَّ مِنْ أُسُسِ التوحيد الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال، والله عز وجل يقول:(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) سورة الأنعام(132).

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الحزم والجد والقوة، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد.
فيا أيها الموحد كن جادًا حازمًا، فأنت صاحب عقيدة تحمل همها في الليل والنهار، وفي اليقظة والمنام، وهكذا المسلم إن حزن أو ابتسم فلتوحيده، وإن أحب أو أبغض فلعقيدته..حياته كلها جد وعمل، فهي وقف لله تعالى.

*** *** ***

ومن روحانيات لا إله إلا الله: أنها تسهل على النفوس فعل الخيرات وترك المنكرات لأن المخلص في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجوه من الثواب ويهون عليه ترك المنكرات، وما تهواه نفسه من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله، وأليم عقابه. وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: لا إله إلا الله صرف عنه الكثير من الذنوب والمعاصي، ألم يقل الحق عز وجل:(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) سورة يوسف(24) فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه (مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ).

ويقول الحق عز وجل: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) سورة الكهف (110)، فالمسلم بقدر ما في نفسه من التوحيد يكون إقدامه وحرصه على فعل الخيرات والعكس بالعكس.

وأقـول لأولئـك العـاجزين، أسـرى الـذنوب والشـهوات والمعاصـي، الـذين إذا ذكـروا بالأعمـال الصـالحة؛ تعللـوا بالمشـقة والعجـز، فـإذا قيـل لأحـدهم: اتـرك يـا أخي تلـك المعصية، قال: والله ما استطعت. أقـول لأولئـك كمـا يقـول ابن القيم رحمه الله:' إنما يجد المشقة في ترك المألوفـات والعوائد من تركها لغير الله أما من تركها صادقًا مخلصًـا من قلبـه للـه؛ فإنـه لا يجـد من تركهـا مشـقة إلا في أول وهلـة؛ ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب؟'.

*** *** ***

ومن روحانيات لا إله إلا الله: أنها تنير القلب وتشرح الصـدر وتجعل للحياة معنى وحلاوة بل إن لا إله إلا اللـه إذا خـرجت من قلبٍ صادق؛ تقلب الحياة رأسًا على عقب،فهذا بلال عبد حبشي - رضي اله عنه - ليس له من الأمر شـيء فأصـبح بـ لا إله إلا الله المؤذن الأول، ورجل من أهل الجنة، وسيد من سادات الإسلام، تهتز له القلوب، سـبحان اللـه! كـان مـولى من المـوالي، فلمـا آمن باللـه؛ وقـف في وجـه أسـياد مكـة يتحداهم بـلا إله إلا الله إنها شمس التوحيد لامسـت شـغاف القلوب، فتجلت بها ظلمات النفس والطبـع، وحـركت الهمم والعزائم.

ومن روحانيات لا إله إلا الله: جود نفوس الموحـدين بالمـال والنفس في سـبيل اللـه ونصـرة للـدين: فأمـة التوحيـد أمـة قوية، تبذل كل غال ونفيس من أجل دينها وعقيـدتها وتثـبيت دعائمه، غير مباليـة بمـا يصـيبها في سـبيل ذلـك، يقـول عـز وجـل:(إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ ءَامَنُـوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) سورة الحجرات(15)، لم يدخلهم شك، ولا خوف، ولا

يـأس، ولا قنـوط في حقيقـة توحيـدهم وعقيـدتهم، بـل في حقيقة نصرة الله لهم.

أيهـا الموحـد.. أيتهـا الموحـدة، هـل جعلت نفسـك، ومالـك، وولدك، وكل ما تملك في خدمـة هـذه العقيـدة في سـبيل لا إله إلا الله؟

إذًا: فكل فعل وقول وحركة وسـكون في حياتـك هي عبـادة للـه عـز وجـل بشـرط: أن يحبهـا اللـه ويرضـاها، وأن تكـون خالصة لله، وكمـا جـاءت عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم، هذا هو هدف المسلم في الحياة، هدف المســلم في الحياة رضا الله عز وجل في كل صـغيرة وكبـيرة، وفي كـل حركة وسكون.

*** *** ***

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يستحب فيها قول لا إله إلا الله

لا شك عندي أن ما سبق ذكره مما يتعلق بفضـائل لا إلـه إلا اللـــه وروحانيتهـــا ســـيدفع المـــؤمن والمؤمنـــة إلى الإكثـــار منها،ومما هو معلوم أن ذلك ليس مرتبطا بزمان أو مكان أو حال ولكن مع ذلك وردت نصوص في السنة المشـرفة تحث على قولها في أحـوال أو أوقـات مخصوصـة، وبتتبعهـا بلغت أربع عشرة موطنًا، وهي:

1- التهليل بعد الوضوء: عن عقبـة بن عـامر رضـي اللـه عنه قال: قال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم: (مَـا مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ

يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) رواه مسلم (234).

2- التهليل بعد صلاتي الصبح والمغرب عشر مرات: عَن أبي أيوب الأنصَاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ـ عشر مرات ـ كتب الله له بهن عشر حسنات، ومحا بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له عدل عتاقة أربع رقاب، وكن له حرسًا حتى يمسي. ومن قالهن إذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح) [58].

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قالَ لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عشْر مرَّاتٍ: كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أرْبعةَ أنفُسٍ مِن وَلِد إسْماعِيلَ)؛ متفقٌ عليهِ، وهذه الرواية لم يذكر وقتا محددًا.

3- التهليل خلال اليوم مائة مرة: ثبت الترغيب في الإتيان به مائة مرة في اليوم غير مقيد بوقت، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ

[58]- قال المنذري: رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه وهذا لفظه. اهـ. وحسنه الحافظ ابن حجر والألباني. وفي رواية لأحمد لهذا الحديث: فإن قال حين يمسي فمثل ذلك بدل: ومن قالهن إذا صلى المغرب.

مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ).

قال النووي رحمه الله: وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور في هذا الحديث من قال هذا التهليل مائة مرة في يومه، سواء قالها متوالية أو متفرقة، في مجالس، أو بعضها أول النهار، وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره؛ اهـ.

* * * * * * * * *

4- التهليل عند الاستيقاظ من النوم أثناء الليل: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ)؛ رواه البخاري (1154).

* * * * * * * * *

5- عند سماع الأذان: عن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (مَن قال حينَ يَسمعُ المؤذِّنَ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيتُ باللهِ ربًّا، وبمحمَّدٍ رسولًا، وبالإسلامِ دِينًا؛ غُفِرَ له ذنبُه)؛ رواه مسلم (386) [59].

[59]- قال القاري: (أي: صَوْتَه أو أذانَه أو قَوْلَه، وهو الأظهَرُ، وهو يحتمل أن يكون المراد به حين يسمَعُ تشهُّدَه الأوَّلَ أو الأخيرَ، وهو قولُه آخِرَ الأذان: لا إله إلا الله، وهو أنسَبُ). (مرقاة المفاتيح) (2/562).

فائدة: المطلوب بعد الأذان أربعة أذكار:

التهليل وقول: رضيتُ باللـهِ ربًّا، وبمحمَّدٍ رسـولًا، وبالإسـلامِ دِينًا، وهاتـان وردتـا في الحـديث السـابق وبقي الصـلاة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وسـؤال الوسـيلة والفضـيلة والمقام المحمود للنبي صلى الله عليه وسلم، ودليله ما ورد عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بن العـاصِ رَضِـيَ اللـهُ عَنْهمـا، قـال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (إذا سَـمِعتُم المـؤذِّنَ فقولـوا مِثـلَ مـا يقـولُ، ثم صَـلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَن صـلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عَشرًا، ثم سَـلُوا اللـهَ لي الوسـيلةَ؛ فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لا تَنبغي إلَّا لعبدٍ من عبادِ اللـهِ، وأرجـو أن أكونَ أنا هو؛ فمَن سألَ لي الوسيلةَ حَلَّتْ لـه الشَّـفاعةُ)؛ رواه مسلم (384).

6- التهليل بعـد السـلام من الصـلاة: عَن المُغِـيرةِ بن شُـعْبَةَ رضي اللَّه عَنْهُ أنَّ رَسُول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم كـان إذا فَرغَ مِنَ الصَّلاة وسلَّم قـالَ: (لا إلـهَ إلاَّ اللَّه وحْـدَهُ لا شَـريكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَـيءٍ قَـديرٌ. اللَّهُمَّ لا مـانِعَ لمـا أعْطَيْتَ، وَلا مُعْطيَ لمـا مَنَعْتَ، ولا ينْفَـعُ ذا الجَـدِّ مِنْكَ الجدُّ)؛ متفقٌ عليهِ.

وقال السنديُّ: (قوله: ((من قال حين يسمَعُ المؤذِّن)). الظاهرُ حين يَفْرُغ مِن سماعِ أذانه، وإلَّا فالجمعُ بينَه وبين مثلِ ما يقولُ المؤذِّن حالـةَ الأذانِ مُشْـكِلٌ، ومثله حديث: («من قـال حينَ يسـمعُ النِّداءَ اللهمَّ ربَّ هـذه الـدعوةِ...» إلخ). ((حاشـية السـندي على سـنن ابن ماجـه)) (1/245). لكن قـال النـوويُّ: (يستحبُّ أن يقول بعدَ قوله: وأنا أشهد أنَّ محمدًا رسـولُ اللـهِ: رضـيتُ باللـه ربًّا، وبمحمَّد رسـولًا، وبالإسـلام دينًـا). (شـرح النـووي على مسـلم - (4/87)، وعند أبي عَوانةَ (995) من حديث سعدِ بن أبي وقاص قال: قال رسـولُ اللـه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (مَنْ سَمِعَ المؤذِّنَ قال- وقال ابنُ عامر: من قـال حين يسمَعُ المؤذِّنَ- أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ؛ قال: أشـهَدُ أنْ لا إلـه إلا اللـه، رضـيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا).(الدرر السنية - الموسوعة الفقهية).

7- التهليل عند النوم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (من قال حين يأوي إلى فراشِه: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لاحولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ، سبحان اللهِ وبحمده، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ؛ غُفِرَتْ له ذنوبُه ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ) [60].

*** *** ***

8- التهليل يوم عرفة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [61].

وفي رواية: (أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) [62].

9- التهليل عند السعي بين الصفا والمروة: جاء في حديث جابر الطويل (فلما دنا صلى الله عليه وسلم من الصفا قرأ: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ ﴾ " أبدأ بما بدأ الله به

---

[60]- أخرجه ابن حبان (5528)، وابن السني في عمل اليوم والليلة - (722) وصححه الألباني في صحيح الترغيب – رقم (607).(نقلا عن الدرر السنية – الموسوعة الحديثية).

[61]-وروى الترمذي (3585) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي - (نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب).

[62]- رواه الإمام مالك في "الموطأ "(726)، والبيهقي في "السنن" (8391) وقال ابن عبد البر رحمه الله:" جَاءَ مُسْنَدًا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص ".انتهى من "التمهيد" (6/ـ 39). وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (1102). (نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب).

" فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره وقال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ، لهُ الملك ولهُ الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده " ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات، " الحديث وفيه " ففعل على المروة كما فعل على الصفا)؛ رواه مسلم.

*** *** ***

10- التهليل عند الكرب والضيق: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)؛ رواه البخاري (6345)، ومسلم (2730).

11- التهليل عند دخول السوق: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (من دخل سوقًا من الأسواق فقال: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ كَتبَ الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة)[63].

والحكمة في حصول هذا الأجر العظيم؛ كأنه لما كان أهل السوق مشتغلين بالتجارات والمكاسب، وهم في غفلة عن ذكر ربهم، بل أكثرهم مبتلون بالأيمان الفاجرة والكذب في أسعار السلع، وكان هذا بينهم ممن ذكر الله تعالى، واشتغل بأمر الآخرة مخالفة لهم، وتعظيمًا لربه عز وجل لا جرم

[63]- أخرجه الترمذي (3428)، وابن ماجه (2235)، وأحمد (327) باختلاف يسير، والبزار (125) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (2/21)، وفي صحيح الترمذي (3/152). (ق)..

حصل له هذا الأجر العظيم، وما ذلك على الله بعزيز، ويختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وباعتبار أن هذه الكلمات مشتملة على التهليل والتوحيد والثناء على الله تعالى بالصفات الجميلة [64].

12- التهليل عند الرجوع من السفر: لما في الموطأ والصحيحين عن عبد الله بن عمر أيضا: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده).

13- التهليل عند الشعور بضعف الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [65].

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها) [66].

*** *** ***

---

[64]- موقع الكلم الطيب.

[65]- مسند أحمد - (2/359) وصححه الحاكم في المستدرك - (4/285)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب - (2/342)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة - (رقم/896). (نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب).

[66]- رواه أبو يعلى في مسنده - (11/8)، قال الحافظ ابن حجر – كما في الفتوحات الربانية - (4/110): حسن غريب. وحسنه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة - (رقم/467). (نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب).

14- التهليل عند الموت: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دَخلَ الجنَّةَ)[67].

وللحديث رويات أخر عند مسلم وفي رواية عنه - صلى الله عليه وسلم -: من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة وعنه - صلى الله عليه وسلم -: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار ونحوه في حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك وزاد في حديث عبادة (على ما كان من عمل).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ).

فائدة: قال النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم:

ويجوز في حديث: (من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دَخلَ الجنَّةَ) أن يكون خصوصا لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه، وإن كان قبل مخلِّطًا – جمع بين أداء الطاعات وارتكاب الكبائر - فيكون سببا لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأسا من النار، وتحريمه عليها بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين.

وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا ودخوله من أي أبواب الجنة شاء يكون خصوصا لمن قال ما ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه فيكون له من الأجر ما يرجح

---

[67]- أخرجه أبو داود (3116) واللفظ له، وأحمد (22034) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (3116).

على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

قلت: وفي هذه الرواية دلالة على عدم اشتراط النطق بها قبل الموت لأنه قال عليه الصلاة والسلام (وهو يعلم) فيكون هذا الحديث بشارة للأحياء بأنَّ مَن مات مِن أقاربهم في حالة النوم أو الإغماء ونحوهما بأنهم ماتوا على التوحيد، والله أعلم.

*** *** ***

الفصل الثالث: حقيقة الحمد لله وفضائلها وفوائدها وروحانياتها

المبحث الأول: حقيقة الحمد وتفاوت الناس فيه.

المطلب الأول: حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر.

المطلب الثاني: تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى.

المبحث الثاني: فضائل الحمد في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: فضائل الحمد في الكتاب العزيز.

المحور الأول: حمْدُ الله تعالى نفسه بنفسه في القرآن الكريم.

المحور الثاني: حمد الأنبياء وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم.

المحور الثالث: حمد الصالحين وثنائهم على اللــه تعـالى في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل الحمد في السنة المشرفة.

المبحث الثالث: فوائد الحمد وروحانياته.

المطلب الأول: فوائد الحمد.

المطلب الثاني: روحانيات الحمد.

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها الحمد.

المبحث الخامس: قصص الذين حمدوا الله فى السراء والضراء.

المبحث الأول: حقيقة الحمد وتفاوت الناس فيه

المطلب الأول: حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر والمدح.

الطلب الثاني: تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى.

المطلب الأول: حقيقة الحمد وعلاقته بالشكر والمدح

الحمد في اللغة: مصدر حَمِدَ وهو ضد الـذم ومنـه المحمـدة خلاف المذمـة. وعُـرِّف بأنه: الثنـاء باللسـان على الجميـل الاختيـاري. فيقـال: حمـدت الرجـل أي أثـنيت عليـه بفعلـه الجميل الصادر عن اختياره [68].

هذا ولقـد كـثرت مشـتقاته الـتي ارتبـط أكثرهـا بحمـد اللـه تعالى خاصة:

ومنها: التحميد وهو أبلغ من الحمد، والمراد به حمد الله مرة بعد مرة. ومنها: رجل حمدة وحماد ومحمد، وذلك بأنه يحمـد الله مرة بعد مرة، أو أنه كثير الحمد. إلى غير ذلك.

68- لسان العرب – مادة حمد.

حقيقة الحمد اصطلاحًا: الثناء على المحمود، بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة، واللام ها هنا للجنس، ومقتضاها الاستغراق والشمول؛ فجميع المحامد لله سبحانه إمَّا وصفًا: أعني بذلك الثناء على الله بأوصاف جماله جلاله وكماله فهو الغني الحميد وهو الرؤوف الرحيم وهو صاحب الكبرياء والعظمة.

وإمَّا خَلْقًا: أعني بذلك الثناء على الله بإيجاده للخلق فأحكم إيجادهم وبما أمدهم به من أسباب بقائهم.

فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه.

*** *** ***

والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله، فحمده سبحانه له هو من صفات كماله وحَوْله، وحمد الخَلْق له على إنعامه وطوْلِه، وجلاله وجماله استحقاقه لصفات العلو، واستيجابه لنعوت العز والسمو، فله الوجود القديم، وله الجود الكريم، وله الثبوت الأحدي، والكون الصمدي، والبقاء الأزلي، والبهاء الأبدي، والثناء الديمومي، وله السمع والبصر، والقضاء والقدر، والكلام والقول، والعزة والطوْل، والرحمة والجود، والعين والوجه والجمال، والقدرة والجلال، وهو الواحد المتعال، كبرياؤه رداؤه، وعلاؤه سناؤه، ومجده عزه، وكونه ذاته، وأزله أبده، وقدمه سرمده، وهو الملك بجبروته، والأحد في ملكوته. تبارك الله سبحانه!! فسبحانه ما أعظم شأنه [69].

وأقول لما كثرت أسباب حمده تعالى عجز الخلق عن حمده، ولهذا قال القشيري رحمه الله تعالى: عَلمَ الحق

[69]- لطائف الإشارات – للقشيري – تفسير سورة الفاتحة.

سبحانه وتعالى شدة إرادة أوليائه بحمده وثنائه، وعجزَهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه حَمِد نفسه بما افتتح به خطابه بقوله: (ﭐلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) فانتعشوا بعد الذِّلة، وعاشوا بعد الخمود، واستقلت أسرارهم لكمال التعزز حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بخطاب الحق، فنطقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال. وقالوا:

ولوجهها من وجهها قمر ولعينها من عينها كحل

* * * * * * * * *

هذا خطيب الأولين والآخرين، سيد الفصحاء، وإمام البلغاء، لمَّا سمع حمده لنفسه، ومدحه سبحانه لحقِّه، علم النبي صلى االله عليه وسلم أن تقاصر اللسان أليق به في هذه الحالة فقال: " لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك ".[70]

وبناءً على ما سبق بيانه فإن قول القائل: (الحمد لله) يعني الثناء على الله ــ تعالى ــ بصفاته الذاتية الكاملة التي لا يشوبها نقص؛ وبنعمه التي لا تعد ولاتحصى.

- ولهذا فإن (أل) التعريف في (الحمد) هي لاستغراق جميع أفراده، واللام في (لله) لام الملك والاختصاص أو الاستحقاق، فجميع أفراد الحمد مختصة بالله تعالى؛ إذ هو المنعم الكامل في صفاته؛ وحمد غيره لا اعتداد به؛ لأن ما صدر منه من نعمة فإنما مرجعها حقيقة إلى الله تعالى، وهو

---

[70]- السابق.

سبحانه الذي أجراها على يديه. فالحمد الكامل الخالص لايكون إلا لله تعالى وهو المستحق له دون سواه [71].

وقال العلامة ابن القيم في فوائده:

وحمده يتضمن أصلين الإخبار بمحامده وصفات كماله والمحبة له عليها فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامدا، ومن أحبه من غير إخبار بمحاسنه لم يكن حامدا حتى يجمع الأمرين، وهو سبحانه يحمد نفسه بنفسه ويحمد نفسه بما يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا فإن حمدهم له بمشيئته وإذنه وتكوينه فإنه هو الذي جعل الحامد حامدا والمسلم مسلما والمصلي مصليا والتائب تائبا فمنه ابتدأت النعم واليه انتهت فابتدأت بحمده وانتهت إلى حمده.

وهو سبحانه غني عن كل ما سواه بكل وجه وما سواه فقير إليه بكل وجه والعبد مفتقر إليه لذاته في الأسباب والغايات فإن مالا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع.

*** *** ***

الفرق بين الحمد والمدح: فرق العلماء بين الحمد والمدح بأمور [72]:

---

[71]- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة – تأليف عماد بن زهير حافظ – التمهيد – موقع المكتبة الشاملة الحديثة.
[72]- تفسير الرازي والآلوسي لسورة الفاتحة (بتصرف).

أولًا: أن الحمـــد يختص بالثنـــاء على الفعـــل الاختيـــاري للعقلاء،والمدح يكون في الاختياري وغـيره وللعقلاء وغـيرهم كما يقال مدحت اللؤلؤة على صفائها.

ثانيًا: أن المدح يختص بنـوع من أنـواع الفضـائل،وأمـا الحمد فإنه يختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الإنعام والإحسان.

ثالثًـا: أن الحمد يشـترط صـدوره عن علم لا ظن وأن كـون الصفات المحمودة صفات كمال والمـدح قـد يكـون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما.

رابعًـــا: أن في الحمد من التعظيم والفخامـــة مـــا ليس في المدح وهو أخص بالعقلاء والعظماء وأكـثر إطلاقـا على اللـه تعالى.

خامسًـــا: أن الحمد إخبـــار عن محاســـن الغـــير مـــع المحبـــة والإجلال والمدح إخبار عن المحاسن ولذا كان الحمـد إخبـارا يتضمن إنشاء والمدح خبرا محضا.

سادسًـــا: أن المـدح قـد يكـون منهيـا عنه قـال عليـه الصـلاة والسلام: (احثوا في وجـوه المـداحين) أخرجـه مسـلم، وأمـا الحمد فإنه مأمور به مطلقا.

سابعًا: أن الحمد: الإخبار بمحاسن المحمود مـع المحبـة لهـا والرضا بها، والمدح: الإخبار بمحاسنه فقط.

ثامنًا: أن المدح لا يكـون إلا باللسـان، والحمد يكـون بـالقلب بناء على أنه الرضا.

* * *   * * *   * * *

العلاقة بين الحمد والشكر:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: "اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على الصفات المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان.

ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه.

والحمد أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليَّ.

هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين، ولله المثل الأعلى فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه، والله تعالى أعلم".

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله تعالى: (الفرق بين الحمد والشكر: الحمد هو الثناء باللسان على الجميل، سواء تعلق بالفضائل كالعلم، أم بالفواضل كالبر، والشكر: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النعمة، سواء أكان نعتا باللسان، أو اعتقادا، أو محبة بالجنان، أو عملا وخدمة بالأركان.

فالحمد أعم مطلقًا، لانه يعم النعمة وغيرها، وأخص موردا إذ هو باللسان فقط، والشكر بالعكس، إذ متعلقه النعمة فقط، ومورده اللسان وغيره. فبينهما عموم وخصوص من وجه.

فهما يتصادقان في الثناء باللسان على الإحسان، ويتفارقان في صِدق الحمد فقط على النعت بالعلم مثلا، وصدق الشكر فقط على المحبة بالجنان لأجل الإحسان) [73].

*** *** ***

فائدة: قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله تعالى ما حاصله [74]:

نذكر تقسيما جامعا لهذه المعاني الأربعة؛ أعني الحمد والمدح والثناء والمجد؛ فنقول:

الإخبار عن محاسن الغير له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث المُخبَر به، واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر، واعتبار من حيث حال المخبر:

1- فمن حيث الاعتبار الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد، فإن المُخبَر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد، وإن كان الثاني فهو الحمد؛ وهذا لأن لفظ م ج د في لغتهم يدور على معنى الاتساع والكثرة؛ فمنه قولهم: أمجدَ الدابةَ علفا؛ أي أوسعها علفا، ومنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس...

[73]- الفروق اللغوية – للعلامة الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري– ص (201-202).
[74]- بدائع الفوائد - لابن القيم – بتصرف.

2- ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد؛ فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا، فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد،فإن الثناء مأخوذ من الثَّنْيِ؛ وهو العطف وردُّ الشيء بعضه على بعض...فالمثنى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة.

3- ومن جهة اعتبار حال المخبر: ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد؛فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حبٌّ له وإجلال، أو لا،فإن اقترن به الحب [والإجلال]؛ فهو الحمد، وإلا فهو المدح.

فحصِّلْ هذه الأقسام وميُّزْها؛ ثم تأمّلْ تنزيل قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول العبد: "الحمد لله رب العالمين" فيقول الله: "حمدني عبدي"، فإذا قال: "الرحمن الرحيم"؛ قال: "أثنى علي عبدي"؛ -لأنه كرر حمده-، فإذا قال: "مالك يوم الدين"، قال "مَجَّدَني عبدي"، -فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال.

*** *** ***

المطلب الثاني: تفاوت الناس في حمدهم لله تعالى

قــال القشــيري رحمــه اللــه تعــالى [75]: وتتفــاوت طبقــات الحامدين لتباينهم في أحوالهم:

1/ طائفــة حمــدوه على مــا نــالوا من إنعامــه وإكرامــه من نوعي صفة نفعِه ودفعِه، وإزاحته وإتاحته، وما عقلوا عنه من إحسـانه بهم أكـثره مـا عرفـوا من أفضـاله معهم قـال جـل ذكره:(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا) [النحل: 18].

وقوله: (نفعه) أي إيصال المنـافع لعبيـده من الـرزق والخـير والصــحةوالعافية ونحوهــا وقولــه: (دفعــه) أي يــدفع عنهم الأمراض والمضار والشرور ونحوها.

2/ وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجــائب لطائفه، وأودع سرائرهم من مكنونات بره، وكاشف أسرارهم به من خفي غيبه، وأفرد أرواحهم به من بواده مواجده.

قوله (بَوادِهْ مَواجِدِه) أي الأمور البدهية التي يجدها العبد في قلبه من الإيمانيات والأشواق إلى الآخرة ونحوها.

3/ وقوم حمدوه عند شهود أثار أفعاله وحكمته وتصـرفه في الكــون، ولم يــردوا من ملاحظــة العــز والكــرم إلى تصــفح أقســام النعم، وتأمــل خصــائص القِسَــم، و(فــرق بين) من يمدحه بعز جلاله وبين من يشكره على وجـود أفضـاله، كمـا قال قائلهم:

وما الفقر عن أرض العشيرة ساقنا ولكننا جئنا بلقياك نسعد

4/ قوم حمدوه مُسْتَهْلَكِين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده، بما امتلأ به أسـرارهم من حقـائق توحيـده، فهم بـه

[75]- لطائف الإشارات – تفسير سوة الفاتحة – بتصرف.

منــه يعبِّرون، ومنــه إليــه يشــيرون، يُجــري عليهم أحكــام التصــريف، وظــواهرهم بنعت التفرقــة مرعيــة، وأســرارهم مأخوذه بحكم جمع الجمع.

قوله:(بحكم جمع الجمع) يعني بـه انجمـاع القلب على اللـه تعالى وهو امتلاؤه بالخشوع لجلال الله وعظمته.

*** *** ***

وقــال رحمــه اللــه في قولــه تعــالى: (ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِـدُونَ ٱلْحَامِــدُونَ ٱلسَّــائِحُونَ ٱلرَّاكِعُــونَ ٱلسَّــاجِدونَ ٱلآمِــرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـافِظُونَ لِحُـدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) سورة التوبة (112).

قوله جلّ ذكره: (ٱلْحَامِدُونَ) هم الشـاكرون لـه على وجـود أفضاله، المُثْنُونَ عليه عند شهود جلاله وجماله.

ويقال: الحامـدون بلا اعـتراضٍ على مـا يحصـل بقدرتـه، وبلا انقباضٍ عما يجب من طاعته.

ويقال الحامدون له على منعه وبلائه كما يحمدونه على نفعه وعطائــه.ويقــال الحامــدون إذا اشــتكى مَنْ لا فُتُــوَّة لــه المادحون إذا بكى مَنْ لا مروءةَ له.ويقـال الشـاكرون لـه إنْ أدناهم، الحامدون له إن أقصاهم.

*** *** ***

وقال السلمي رحمه الله تعالى: (الْحَامِدُونَ) العـارفون نعم الله عليهم في كل خطوة وطرفة عين.

وقيل في تفسيرها: الشاكرون، الصارفون ما أعطاهم الحـق من النعم إلى ما أمرهم من المصارف.

وقال الرازي رحمه الله تعالى:

قوله: (الْحَامِدُونَ) وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه دينًا ودنيـا ويجعلـون إظهـار ذلـك عـادة لهم، وقـد ذكرنا التسبيح والتهليل والتحميد صـفة الـذين كـانوا يعبـدون الله قبل خلق الـدنيا، وهم الملائكـة، لأنـه تعـالى أخـبر عنهم أنهم قـالوا قبـل خلـق آدم ونحن نسـبح بحمـدك، وهـو صـفة الذين يعبدون الله بعد خراب الدنيا. لأنه تعالى أخبر عن أهل الجنة بـأنهم يحمـدون اللـه تعـالى، وهـو (وآخـر دعـواهم أن الحمدللـه رب العـالمين) [يـونس: 10] وهم المـرادون بقولـه: (الْحَامِدُونَ).

* * *   * * *   * * *

المبحث الثاني: فضائل الحمد في الكتاب والسنة المشرفة

المطلب الأول: فضائل الحمد في الكتاب العزيز.

المحـور الأول: حمْـدُ اللـه تعـالى نفسـه بنفسـه في القـرآن الكريم.

المحـور الثـاني: حمـد الأنبيـاء وثنـائهم على اللـه تعـالى في القرآن الكريم.

المحور الثالث: حمد الصالحين وثنائهم على اللــه تعـالى في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل الحمد في السنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل الحمد في الكتاب العزيز

لا يخفى عليـك - أخي القـارئ الكـريم - أن جميـع مـا سـبق ذكره في التمهيد من فضائل الباقيات الصالحات فإن الحمـد

داخل فيه ولكن ما سأذكره هنا هـو عـدد من الفضـائل الـتي اختص بها الحمد دون غيره من الأذكار.

ومن ناحية أخـرى نجـد أن للحمـد في القـرآن والسـنة ذكـر واسع وفي صـور متعـددة ولا يمكن الإحاطـة بهـا في مطلب فقد أفرده البعض بالتأليف ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ولهذا سأشير إلى مـا ورد في فضـائل الحمـد في القـرآن[76]. فأقول ومن الله أرجو العون والقبول: ها هنا ثلاثة محاور:

المحـور الأول: حمْـدُ اللـه تعـالى نفسـه بنفسـه في القـرآن الكريم:

---

[76]- تكرر ذكر الحمد في القرآن في (42) منها:
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢ الفاتحة﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿١ الأنعام﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴿٤٣ الأعراف﴾
وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠ يونس﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿٣٩ ابراهيم﴾
هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥ النحل﴾
وَقُـلِ الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَـدًا وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَـرِيكٌ فِي الْمُلْـكِ ﴿١١١ الإسراء﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١ الكهف﴾
فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨ المؤمنون﴾
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥ النمل﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴿٥٩ النمل﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴿٩٣ النمل﴾
لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠ القصص﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣ العنكبوت﴾
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨ الروم﴾
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥ لقمان﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١ سبأ﴾
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١ سبأ﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴿١ فاطر﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴿٣٤ فاطر﴾
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩ الزمر﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴿٧٤ الزمر﴾

من اللافت لقارئ القرآن أنـه يجـد أن أول كلمـة قالهـا اللـه تعالى - بعد البسملة - من أنواع ذكر الله تعـالى هي (الحمـد لله) مستفتحا بهـا كتابـه بـل وتكـرر ذلـك في خمس عشـرة موضعا من القرآن الكريم كما تتبعها بعضهم.

وهذا من أكبر الدلائل على فضل الحمـد وتقدمـه على غـيره من الأذكار ولهذا بحث العلماء في سبب حمده سبحانه لذاته تعالى فقيل:

إنه لما علم عجز عباده عن القيـام بـواجب حمـده مـع عظم نعمه وآلائه حمد نفسه بنفسـه في الأزل، وليـدل على كونـه محمـودا أزلا وأبـدا بحمـده سـواء حمـد أو لم يحمـد، فهـو مستغن بذلك عن حمد الحامـدين، وليـومئ ــ أيضـا ــ أنـه لا يليق بذاته إلا حمده الصادر عنه سبحانه[77].

هذه على سبيل العمـوم وأمـا كـون ذلـك الحمـد الـوارد في سورة الفاتحة على وجه الخصوص فله دلالتان:

الأولى: أن نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلائل صفاته تعـالى وكمالهـا؛ خاصـة وأنـه قـد اشـتمل القرآن الكـريم على كمـال المعـنى واللفـظ والغايـة؛ فكـان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته.

وهو في ذات الوقت أمرٌ لعباده بحمـده وتـذكيرٌ لهم بعظمـة وجمال صفات منزله - سبحانه - وجزيل نعمته عليهم بـإنزال كتابه عليهم وحفظـه وتـوفيقهم لتلاوتـه وسـماعه وفهمـه؛ إذ فيه سعادتهم في الدارين.

77- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة – المقدمة.

الثانية: كذلك ـ أنه لما كانت سورة الفاتحة منزلة من القرآن منزلة الديباجة من الكتاب، أو المقدمة للخطبة، جعل افتتاحها بالحمد لله؛ وليكون سنة ماضية من بعد في افتتاح كل كلام مهم وعظيم [78].

*** *** ***

المحور الثاني: حمد الأنبياء وثنائهم على الله تعالى في القرآن الكريم [79]:

لقد نوه الله تعالى بحمد الصالحين له سبحانه وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله تعالى وتسليماته في مواضع كثيرة من كتابه، ولكن لما كان البحث لا يحتمل التطويل أحببت أن أذكر نماذج مختصرة تدل على المطلوب وترفع الهمم للاقتداء بأولئك القمم.

1- حمد نوح عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه:

لقد وصفه الله تعالى بالشكر، ومن شكره لربه سبحانه كثرة ثنائه عليه (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: 3].

عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّمَا سُمِّيَ نُوحٌ عَبْدًا شَكُورًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ حَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الطبراني.

---

[78]- السابق – الفصل الأول.
[79]- مقال: ثناء الأنبياء على الله تعالى (ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه) - إبراهيم بن محمد الحقيل - مجلة البيان -الأحد - عدد 12 ذو الحجة 1441 هـ ومقال:حمد الصالحين لله في ضوء القرآن الكريم - حمزة شواهنة – مجلة البيان عدد (317) - بتصرف

فمن ثنائه على ربه سبحانه: إعلانه بربوبية الله تعالى للعالمين، وإقراره لقومه بأنه رسول ناصح يبلغ رسالته، وعنده من العلم بالله تعالى وبعظمته وقدرته وقوته ما لا يعلمه قومه (قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: 61- 62].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه: نفيه علمه للغيب، وإقراره بأن الله تعالى يعلمه ويعلم ما في أنفس الناس، وإثباته الإرادة الكونية لله تعالى، فلا يقع شيء في الكون إلا بأمره حتى الاهتداء والضلال (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) [هود: 31]. إلى أن قال (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[هود: 34].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه: وصفه إياه عز وجل بالمغفرة لمن استغفره، وتعداده نعمه سبحانه على خلقه، مع بيان جملة من مظاهر قدرته تعالى؛ كإنزال المطر، وإنبات الزرع، والإمداد بالأموال والبنين، وخلق السموات والأرضين، والبعث والنشور، وغير ذلك من مظاهر قدرة الله تعالى ونعمته على خلقه (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [نوح: 10 - 20].

ومن ثناء نوح عليه السلام على ربه سبحانه: أنه حمد الله تعالى على نجاته والمؤمنين معه من شر الظالمين، وسأله نزولا مباركا، مثنيا عليه بأنه سبحانه خير المنزلين؛ وذلك لأن كل من ينزل ضيفا منزلا فإنما ينزله على قدر جوده وكرمه، والله تعالى هو الغني الكريم (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) [المؤمنون: 28- 29].

فحري بكل مؤمن أن يكثر من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، وأن يلهج بحمده وشكره على آلائه ونعمه ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: 36- 37].

*** *** ***

2- حمد موسى عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه:

لَمَّا جَمَعَ فِرْعَوْنُ سَحَرَتَهُ لِمُبَارَزَةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ بَارَزَهُمْ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مُثْنِيًا عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِأَنَّهُ مُبْطِلٌ سِحْرَهُمْ، مُزْهِقٌ بَاطِلَهُمْ، وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِقُدْرَتِهِ -سُبْحَانَهُ- (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)[يُونُسَ: 81- 82].

وَأَثْنَى مُوسَى عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فِي مَوَاقِفَ عِدَّةٍ: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[الْأَعْرَافِ: 151]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ: (أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) [الْأَعْرَافِ: 155].

وَأَثْنَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِنِعَمِهِ الَّتِي تَابَعَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا، مُبَيِّنًا لَهُمْ زِيَادَتَهُ -سُبْحَانَهُ- لِلشَّاكِرِينَ، وَغِنَاهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الْعَالَمِينَ (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)[إِبْرَاهِيمَ: 6 – 8].

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَثْنَى مُوسَى عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ- بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ شُكْرَهُ -سُبْحَانَهُ-، وَاتِّبَاعَ رُسُلِهِ وَطَاعَتَهُمْ، وَتَنْفِيذَ أَوَامِرِ اللَّهِ -تَعَالَى- إِلَيْهِمْ (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)[الْمَائِدَةِ: 20]، وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَكَلُوا عَنْ ذَلِكَ، وَكَفَرُوا النِّعْمَةَ، وَخَالَفُوا الْأَمْرَ الرَّبَّانِيَّ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِالتِّيهِ فِي الْأَرْضِ.

وَمِمَّا قَصَّهُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَيْنَا مِنْ سِيرَةِ مُوسَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَتَعَلَّمُ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِمَا هُوَ أَهْلُهُ فِي مَوَاطِنِ تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُنَاظَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وَفِي مَوَاطِنِ تَرَادُفِ النِّعَمِ لِتَحْقِيقِ الشُّكْرِ، وَفِي مَوَاطِنِ تَتَابُعِ الْمِحَنِ لِالْتِزَامِ الصَّبْرِ، وَفِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا. عَسَى أَنْ نَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ.

*** *** ***

3- حمد إبراهيم الخليل عليه السلام وثنائه على ربه سبحانه:

سِيرَةُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِيرَةٌ حَافِلَةٌ بِالْأَحْدَاثِ، مَمْلُوءَةٌ بِالْمُنَاظَرَاتِ وَالْمُحَاوَرَاتِ؛ فَقَدْ نَاظَرَ الْمَلِكَ الْبَابِلِيَّ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَنَاظَرَ الصَّابِئَةَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْكَوَاكِبِ، كَمَا نَاظَرَ قَوْمَهُ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ، وَحَاوَرَ أَبَاهُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ.

فَفِي دُعَاءِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -وَهُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ الْحَرَامَ- أَثْنَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّمْعِ وَالْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الْبَقَرَةِ: 127 - 129].

وَفِي مَقَامٍ آخَرَ دَعَا الْخَلِيلُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَبِالرَّحْمَةِ وَبِعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ: وَبِسَمَاعِهِ سُبْحَانَهُ لِلدُّعَاءِ وَاسْتِجَابَتِهِ، وَحَمِدَ الْخَلِيلُ رَبَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ الْوَلَدِ فِي كِبَرِهِ قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [إِبْرَاهِيمَ: 35- 36]. إِلَى أَنْ قَالَ فِي دُعَائِهِ: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) [إِبْرَاهِيمَ: 38].

ومما عرَضه القرآن الكريم عن حمْد الخليل عليه السلام لربِّه عز وجل، وذلك في مَعرِض ثنائه - عليه السلام - على الله عز وجل على هِبَة الولد الصالح، فقال إبراهيم - عليه السلام -: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم: 39].

*** *** ***

المحور الثالث: حمد الصالحين وثنائهم على اللـه تعـالى في القرآن الكريم:

الغرض من هذا الفصل كله بيان حمـد الصـالحين لـربهم في الدنيا وما يتعلق به من حكم وأحكام، وأما سـاذكره في هـذا المحور فهو حمدهم لربهم في الآخرة، وبالتأمـل في القـرآن تجد للحمد أسباب، منها:

1- يشير القرآن الكريم إلى حمْد المؤمنين لربهم عـز وجـل عنـد خـروجهم من القبـور، كمـا في قولـه عـز وجـل:(يَـوْمَ يَـــدْعُوكُمْ فَتَسْـــتَجِيبُونَ بِحَمْـــدِهِ وَتَظُنُّونَ إن لَّبِثْتُمْ إلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: 52].

قال الـرازي رحمـه اللـه: قولـه: (يَـوْمَ يَـدْعُوكُمْ فَتَسْـتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فهو خطاب مـع المؤمـنين لا مـع الكـافرين لأن هـذا الكلام هـو اللائـق بـالمؤمنين لأنهم يسـتجيبون للـه بحمـده، ويحمدونه على إحسانه إليهم.

وقـال القرطـبي رحمـه اللـه: قولـه تعـالى: (يَـوْمَ يَـدْعُوكُمْ) الدعاء: النداء إلى المحشر بكلام تسـمعه الخلائـق، يـدعوهم الله تعـالى فيـه بـالخروج. وقيـل: بالصـيحة الـتي يسـمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة.

قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إنكم تُـدْعون يـوم القيامـة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم).

(فَتَسْـتَجِيبُونَ بِحَمْـدِهِ) أي باسـتحقاقه الحمـد على الإحيـاء. وقال أبو سهل: أي والحمد لله كما قال:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبِسْتُ، ولا من غَدْرة أتقنّع

وقيل: حامدين لله تعالى بألسنتكم [80].

وقال بعض العلماء: فيوم القيامة يوم يُبدأ بالحمد ويُختم به قال الله تعالى:(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) وقال في آخره(وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الزمر: 75].ـ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا . يعني بين النفختين وذلك أن العذاب يُكفّ عن المعذَّبين بين النفختين [81].

2- حمْد المؤمنين لربهم عز وجل على ما يَسَّر لهم من الإيمان والأعمال الصالحة التي صيَّرتهم إلى دخول الجنان، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف: 43].

قال السعدي: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن اللّه يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين. قال تعالى: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

[80]- في الآية أقوال أخر أشار إليها القرطبي بقوله: قال سعيد بن جُبير: تخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (بحمده) بأمره أي تقرّون بأنه خالقكم. وقال قتادة: بمعرفته وطاعته، وقيل: المعنى بقدرته، وقيل: بدعائه إياكم.

[81]- تفسير القرطبي.

مُتَقَابِلِينَ) ويخلق اللّه لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) بأن منَّ علينا وأوحى إلى قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ اللّه علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون.

وجاء في التفسير الوسيط: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا اللَّهُ) أى: قالوا شاكرين لله أنعمه ومننه: الحمد لله الذي هدانا في الدنيا إلى الإيمان والعمل الصالح، وأعطانا في الآخرة هذا النعيم الجزيل، وما كنا لنهتدي إلى ما نحن فيه من نعيم لولا أن هدانا الله إليه بفضله وتوفيقه.

وقال بعضهم: جاء التعبير عن الحمد بالماضي في الآيات الكريمة التي توضح حمْد المؤمنين مِن أهل الجنة؛ وذلك للتنبيه على تحقُّق وقوعه.

*** *** ***

3- حمْد المؤمنين لربهم في الجنةعلى ما يأتيهم من طعامها: حيث أخبر - عز وجل - عن دعائهم فيها بحمْده بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ

فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [يونس: 9، 10].

قوله تعالى (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أي دعاؤهم؛ والدعوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو؛ أي دعاؤهم في الجنة أن يقولوا سبحانك اللهم وقيل: إذا أرادوا أن يسألوا شيئا أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد. وقيل: نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاءوا ثم سبحوا.

وقيل: إن الدعاء هنا بمعنى التمني قال الله تعالى ولكم فيها ما تدعون أي ما تتمنون. والله أعلم.

قوله تعالى (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ) أي تحية الله لهم أو تحية الملك أو تحية بعضهم لبعض.(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أن أهل الجنة إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما ـ قالوا سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال.فإذا فرغوا قالوا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [82].

---

[82]- قال القرطبي: قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فيه أربع مسائل:
الأولى: قيل: إن أهل الجنة إذا مر بهم الطير واشتهوه قالوا: سبحانك اللهم ; فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فإذا أكلوا حمدوا الله فسؤالهم بلفظ التسبيح والختم بلفظ الحمد،والمعنى أنه الحمد لله. قال محمد بن يزيد: ويجوز " أن الحمد لله ".
الثانية: التسبيح والحمد والتهليل قد يسمى دعاء ; روى مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم.** قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب. وقال ابن عيينة وقد سئل عن هذا فقال: أما علمت أن الله تعالى يقول " إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ".
والذي يقطع النزاع وأن هذا يسمى دعاء وإن لم يكن فيه من معنى الدعاء شيء وإنما هو تعظيم لله تعالى وثناء عليه ما رواه النسائي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من**

*** *** ***

4- حمْـد المؤمـنين لـربهم في الجنـة على إذهـاب الحــزن والخوف وعلى كل ما كانوا يعانون منه في الدنيا: وذلك بعـد زوال جميع أنواع المخاوف عنهم برحمته، كما في قولـه عـز وجـل: (وَقَـالُوا الْـحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْـحَزَنَ إنَّ رَبَّنَـا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْـمُقَامَةِ مِن فَضْـلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) [فاطر: 34، 35].

قوله تعـالى: (وَقَـالُوا الْـحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْـحَزَنَ) قــال بعض المفســرين: حـــزن زوال النعم وتقليب القلب، وخوف العاقبة، وقيل: حزن أهـوال يـوم القيامـة. وقيـل: مـا كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة.[83].

وقال السعدي: وهذا يشمل كل حزن، فلا حــزن يعــرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لـذاتهم ولا في أجسـادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد.

الظالمين فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء إلا استجيب له.

الثالثة: من السنة لمن بدأ بالأكل أن يسمي الله عنـد أكلـه وشـربه ويحمـده عند فراغه اقتداء بأهل الجنـة ; وفي صـحيح مسـلم عن أنس بن مالـك قـال: قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: **إن الله ليرضـى عن العبـد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها.**

الرابعة: يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنـة: وآخـر دعواهم أن الحمد لله رب العـالمين ; وحسـن أن يقـرأ آخـر والصـافات فإنهـا جمعت تنزيه البارئ تعالى عما نسب إليه، والتسـليم على المرسـلين، والختم بالحمد لله رب العالمين.(باختصار).

[83]- وفي الآية أقوال أخر أشارإليها البغوي رحمه الله بقولـه: قـال ابن عبـاس: أي حزن النار. وقال قتادة: حزن المـوت. وقـال مقاتـل: حزنـوا لأنهم كـانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمـة: حـزن الـذنوب والسـيئات وخـوف رد الطاعات وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا. وقيل: هم المعيشة. وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد.

*** *** ***

المطلب الثاني: فضائل الحمد في السنة المشرفة

بعـد أن ذكرنـا مـا للحمـد من فضـائل في القـرآن الكـريم سنذكر هنا بعون الله تعالى ما ورد من فضائله في الأحاديث النبوية الـتي حثت عليـه وبيَّنت الأجـور العظيمـة والحسـنات المضاعفة الكثيرة المترتبة عليه، بل جاء في بعض الأحاديث أن العبد قد يصل بالحمد إلى محبة الله تعالى وإلى رضوانه، وتلـك غايـة الغايـات وأمنيـة الأمنيـات الـتي يصـبو إليهـا كـل مؤمن، فلبيان ذلك أقول ومن الله أرجو السداد والقبول:

1/ الحمد لله وحدها تملأ الميزان وإذا قُـرنت بالتسـبيح ملأتـا مـا بين السـموات والأرض: الاسـتعداد للمـيزان هـو أول اهتمامات المؤمن الذي يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قـال: قـال رسـول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (الطُّهُورُ شطرُ الإيمـانِ. والحمـدُ للهِ تملأُ الميزانَ. وسبحان اللهِ والحمـدُ للـهِ تملآنِ - أو تملأُ - ما بين السماواتِ والأرضِ. والصـلاةُ نـورٌ. والصـدقةُ برهـانٌ. والصبرُ ضياءٌ. والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ. كـل النـاسِ يغـدُو. فبايِعٌ نفسَه. فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها) (مسلم:223).

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (والحمدُ للـهِ تملأُ المـيزانَ) تملأ الميزان لعظم فضلها ووفرة معناها ودلالتها على ثنـاء العبـد على الله بأسمائه الحسـنى وصـفاته العلى وأفعالـه الجميلـة وافتقاره للغـني الحميـد كمـا قـال تعـالى: (وَقُـلِ الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)ـ فهي كلمـة جليلـة لا يوفـق لهـا في سائر الأحوال إلا من تأله قلبه لله واسـتكان لـه وشـاهد جميل آلائه وحسن عادته بعبـاده وأدرك عجـز نفسـه وفقـره إلى الله [84].

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ - أو تملأُ - ما بين السماواتِ والأرضِ) المـراد أنهمـا لـو كانـا أجساما لملآ المساحة الشـائعة الـتي تكـون مـا بين السـماء والأرض وذلك لما اشـتملا عليـه من معـاني التألـه والإفتقـار والثناء والتنزيه والتعظيم للجليل والتبري من الحـول والقـوة وهما من أعظم كلمات الذكر وكثيرا ما ينبه الشــارع الحكيم على فضل بعض الكلام بربط الأمر المعنـوي بالحسـي وهـذا لــه نظــائر متعــددة في الســنة الصــحيحة ولا يمكن للعقــل القاصر أن يدرك كيفية ذلك وإنمـا عليـه التصـديق والتسـليم من غير اعتراض ولا نجاة وسلامة للمؤمن في هذا البــاب إلا بالإيمان الجازم [85].

ولذا فمن أراد أن يثقل ميزانـه ويكـون من الفـائزين فليكـثر من التسبيح والتحميد.

*** *** ***

---

[84]- شرح حديث: (الطهور شطر الإيمان) -خالد بن سعود البليهد – موقـع صـيد الفوائد.

[85]- السابق.

2/ الحمد لله ذكر يضاعف الأجور أكثر من ذكر الله الليل مع النهار: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أحرك شفتي فقال لي: بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أمامة؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله، فقال: تقولُ: (سبحان اللهِ عدَدَ ما خلق، سبحان اللهِ مِلْءَ ما خلَق، سبحان اللهِ عدَدَ ما في الأرضِ [والسماءِ] سبحان اللهِ مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ، سبحان اللهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، سبحان اللهِ مِلْءَ ما أحصى كتابُه، سبحان اللهِ عددَ كلِّ شيءٍ، سبحانَ اللهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ، الحمدُ للهِ عددَ ما خلق، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمَدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ لله مِلْءَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ، والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ) [86].

3/ الحمد لله أفضل الدعاء: لقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل دعاء يقوله المسلم هو "الحمد لله"، ولذا فهو أكثر السبل تقربا لله سبحانه لنيل المطالب من الله الكريم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: (أفضلُ الذِّكرِ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأفضلُ الدُّعاءِ الحمدُ للهِ) [87].

* * * * * * * * *

[86]- أخرجه أحمد (22198)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9994) مختصراً؛ وابن أبي الدنيا في كما في ((الترغيب والترهيب)) للمنذري (2/287) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – حديث رقم 1575) (نقلا عن الموسوعة الحديثية - الدرر السنية).
[87]- أخرجه الترمذي (3383)، وابن ماجه (3800)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10667) وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: (1104).

4/ الحمـد للـه سـبب لنيـل العبـد رضـا الـرب: فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صـلَّى اللـهُ عليه وسلَّم: (إنَّ اللَّهَ ليرضـى عنِ العبـدِ أن يأكـلَ الأَكْلـةَ، أو يشربَ الشَّربةَ، فيَحمدَهُ عليها) رواه مسلم.

شرح الحديث:

قال العلماء: الرِّضا منه تَعالى يَتَسَـبَّبُ عن حَمْـدِه المُتَسَـبِّبِ عنِ الأَكْلَةِ والشَّرْبَةِ، سُبحانَه ما أَكْرَمَه أَعْطَى المَأْكولَ وأَقْدَرَ على أَكْلِه وجَعَلَه سائغًا وساقَه إلى عَبْدِه، وأَوْجَدَه مِنَ العَدَمِ ثُمَّ أَقْدَرَه على حَمْدِه، وأَلْهَمَه قَولَهُ وعَلَّمَه النُّطْقَ به، ثُمَّ كانَ سَبَبًا لرِضائِه، وهَذا دَليلٌ على أنَّ رِضا اللهِ عزَّ وجلَّ قد يُنـالُ بـأدْنى سَـببٍ؛ فإنَّه يُنـالُ بِهـذا السَّـببِ اليَسـيرِ ولِلـهِ الحَمْـدُ؛ يَرضى اللـهُ عنِ الإنسـانِ إذا انْتَهَى مِنَ الأَكْـلِ، قـال: الحَمْـدُ للهِ، وإذا انْتَهى مِنَ الشُّرْبِ قال: الحَمْدُ لِلهِ.

5/ الحمد لله على نعمة الإسلام سبب في مباهاة الله تعالى بالعبد ملائكته: عن أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنـه قـال: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ علَى حَلْقَةٍ في المَسْـجِدِ، فَقـالَ: مـا أَجْلَسَـكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قالَ آللَّهِ ما أَجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ ما أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قـالَ: أَمـا إنِّي لَمْ أَسْـتَحْلِفْكُمْ تُهْمَـةً لَكُمْ، وَما كانَ أَحَدٌ بمَنْزِلَتي مِن رَسولِ اللـهِ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسلَّمَ أَقَلَّ عنْه حَدِيثًا مِنِّي، وإنَّ رَسولَ اللهِ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسلَّمَ خَـرَجَ علَى حَلْقَـةٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقـالَ: مـا أَجْلَسَـكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ علَى ما هَـدَانَا لِلإِسْـلَامِ، وَمَنَّ بـه عَلَيْنَـا، قـالَ: آللَّهِ مـا أَجْلَسَـكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قـالوا: وَاللَّهِ مـا أَجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أَما إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فأخْبَرَنِي، أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بكُمُ المَلَائِكَةَ) رواه مسلم.

شرح الحديث:

قال الحميدي رحمه الله تعالى: (المباهاة: الـمُفَاخَرَة، وَهِي من الله ثَنَاءٌ وتفضيل) [88].

وقال النووي رحمه الله تعالى: (إن الله عزَّ وجلَّ يبـاهي بكم الملائكـة معنـاه يظهـر فضـلكم لهم ويـريهم حسـن عملكم ويثني عليكم عنـدهم وأصـل البهـاء الحسـن والجمـال وفلان يبـاهي بمالـه أي يفخـر ويتجمـل بهم على غـيرهم ويظهـر حسنهم) [89].

*** *** ***

6/ صـيغة من الحمـد تعـدل محامـد جميـع الخلـق: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: (من قـال إذا أوى إلى فراشِـه: الحمـدُ للـه الـذي كفَـاني وآواني. الحمدُ لله الذي أطعمَني وسقاني. الحمـدُ للـه الـذي منَّ عليَّ وأفضلَ، اللهمَّ! إني أسـألُك بعزَّتِـك أن تُنَجِّيَـني من النارِ؛ فقد حمِدَ اللهَ بجميعِ محامدِ الخَلْقِ كلِّهم) [90].

شـرح الحـديث: (الحمـدُ للـهِ الَّذي كفَـاني)، أي: مِن شَـرِّ المُؤذِياتِ، (وآوانِي) في مَسكَنٍ يَقيني الحَـرَّ والبَـرْدَ، (الحمْـدُ للـهِ الَّذي مَنَّ عليَّ)، أي: أنعَمَ عليَّ، (وأفضَـلَ)، أي: زادَ في المَنِّ والنِّعَمِ، (اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك بعِزَّتِك أنْ تُنجِيَني مِن النَّارِ)،

---

[88]- تفسير غريب ما في الصحيحين – الحميدي - (1/419).
[89]- شرح مسلم – للنووي - (17/23).
[90]- أخرجـه ابن السـني في عمـل اليـوم والليلـة - (720)، والحـاكم (2001)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (4382) وقال الألباني في السلسـلة الصـحيحة – حـديث رقم (3444): إسـناده صـحيح رجالـه ثقـات- (نقلا عن الموسـوعة الحديثية - الدرر السنية).

أي: أسألُك بفَضلِك ورَحمتِك، وأحْتَمِي بك مِن النَّارِ، ومِن كلِّ عِلْمٍ أو عَملٍ أو حالٍ يُقرِّبُ إلى النَّارِ أو يُوجِبُها.

(فقدْ حمِدَ اللهَ بجَميعِ محامِدِ الخلْقِ كلِّهم)، أي: أدَّى الثَّناءَ على اللهِ بجَميعِ أصنافِ المحامِدِ الَّتي يَحمَدُ بها خلْقُ السَّمواتِ والأرضِ.

7/ الحمد أحب شيء إلى الله تعالى: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (التَّأنِّي من اللهِ والعَجَلةُ من الشَّيطانِ وما أحدٌ أكثرُ معاذيرَ من اللهِ وما من شيءٍ أحبُّ إلى اللهِ من الحمدِ) [91].

8/ الحمادون هم أفضل العباد يوم القيامة: عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمادون)[92].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: من أكثر من قول الحمد لله، كثر الداعون له. قيل ومن أين قلت ذلك؟ قال: لأن كل من يصلي يقول سمع لله لمن حمده.

وقال المناوي رحمه الله: (الحمادون) للّه أي الذين يكثرون حمد اللّه أي وصفه بالجميل المستحق له من جميع الخلق على السراء والضراء فهو المستحق للحمد من كافة الأنام حتى في حال الانتقام [93].

*** *** ***

91- أخرجه أبو يعلى (4256)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (4058) وقال في مجمع الزوائد (22/8): رجاله رجال الصحيح نقلا عن الموسوعة الحديثية - الدرر السنية).

92- صححه الألباني في صحيح الجامع (الرقم: 1571).

93- فيض القدير بشرح الجامع الصغير.

فائدتان:

الأولى: الحمد يتضمن التسبيح: ويتبين ذلك بمعرفة وجه افتتاح الفاتحة بالحمد دون التسبيح مع كون التخلية مقدمة على التحلية.

قال الفخر الرازي رحمه الله: (إن التحميد يدل على التسبيح دلالة التضمن، فإن التسبيح يدل على كونه مبرَّأً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والتحميد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا إلى الخلق منعما عليهم رحيما بهم، فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاما والتحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام) [94].

الثانية: إنَّ حمْد العبد لربه أعظم مِن كل نعمة ينعم الله تعالى بها عليه: يقول من القيم رحمه الله تعالى في شرح قول بعضهم (الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده) فإن أريد أن حمد الله والثناء عليه وذكره أجل وأفضل من النعم التي أنعم بها على العبد من رزقه وعافيته وصحته والتوسعة عليه في دنياه فهذا حق يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم (ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فقال الحمدُ للهِ إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ مما أخذ)[95]، فإن حمده لوليِّ الحمد نعمة أخرى هي أفضل وأنفع له وأجدى عائدة من النعمة العاجلة فإن أفضل النعم وأجلها على الإطلاق نعمة معرفته تعالى وحمده وطاعته.

فإن أريد أن فعل العبد يكون كفؤ النعم ومساويا لها بحيث يكون مكافئا للنعم عليه وما قام به من الحمد ثمنا لنعمه

94- السابق.

95-: أخرجه ابن ماجه (3805) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (1357) باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان - (4403) مختصراً، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه حديث رقم: 3082

وقياما منه بشكر ما أنعم عليه به وتوفية له فهـذا من أمحـل المحال فإن العبد لو أقـدره اللـه على عبـاده الثقلين لم يقم بشكر أدنى نعمة عليه بل الأمـر كمـا روى الإمـام أحمـد في كتاب الزهد عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: (قال داود النبي لو أن لكل شـعرة مـني لسـانين تسـبحانك الليـل والنهار والدهر كله ما قضيت حق نعمة واحدة)[96].

ورحم الله القائل:

ولو أنَّ لي بكلِّ شعرةٍ لسانا يبُثُّ الشكر فيك لقصرا

* * * * * * * * *

المبحث الثالث: فوائد الحمد روحانياته

المطلب الأول: فوائد الحمد لله.

المطلب الثاني: روحانيات الحمد لله.

96/ صـيغ الحمـد – لابن القيم – نسـخة إلكترونيـة – موقـع المكتبـة الشـاملة الحديثة.

المطلب الأول: فوائد الحمد لله

إن الشكر سبب لزيادة النعم، ودفع النقم، واستجلاب البركات، وتكثير العطيات من ربنا الواحد رب البريات، يقول ربنا جل في علاه في كتابه الكريم: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) سورة إبراهيم(7).

وقد أنعم الله عز وجل علينا بسائر النعم، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (لقمان:20).

ولا شك أن أعظم الدوافع للشكر هو التعمق في معرفة نعم الله ولا أعني المعرفة السطحية بل معرفة أهميتها وإعطاءها قدرها اللائق بها، ولا شك أن أهم النعم هي تلك النعم التي تذكر المؤمنين بما خصهم الله به من الهداية إلى

الإيمان ومعرفة دينه، وتليها تلك المعرفة الأقرب إلى خلق الإنسان وما يتعلق بوجوده وحياته وأسباب بقائه، والله تعالى حثنا على معرفة تلك النعم في آيات كثيرة وقد اخترت ثلاث فقط للوصول من خلالهما إلى الإحساس بنعمه العظيمة وآلائه الجسيمة

الآية الأولى: قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة:3). تبين هذه الآية من أعظم النعم علينا أن تعالى هدانا سواء السبيل، واختارنا واصطفانا من بين كثير من الأمم أن نكون مسلمين.

* * * * * * * * *

وإليك شيء من تفصيل معاني هذه الآية وما فيها من تكريم [97]:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) إكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضت الحكمة تنجيمه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد، التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحج بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي.

(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم وظاهر العطف يقتضي: أن تمام النعمة منة أخرى غير إكمال الدين، وهي نعمة النصر،

[97]- انظر تفاسير القرطبي والرازي والمنار وابن عاشور والسعدي.

والأخوة، وما نالوه من المغـانم، ومن جملتهـا إكمـال الـدين، فهو عطـف عـام على خـاص. وجـوزوا أن يكـون المـراد من النعمــة الــدين، وإتمامهــا هــو إكمــال الــدين، فيكــون مفــاد الجملتين واحدا.

(وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أي: اخترته واصـطفيته لكم دينـا، كما ارتضيتكم له، فقوموا بـه شـكرا لـربكم، واحمـدوا الـذي مَنَّ عليكم بأفضــل الأديــان وأشــرفها وأكملهــا. والرضــى بالشيء الركون إليه وعدم النفرة منه، ويقابله السخط: فقد يرضى أحد شيئا لنفسـه فيقـول: رضـيت بكـذا، وقـد يرضـى شيئا لغيره، فهو بمعنى اختياره له، واعتقاده مناسبته له.

وقد يدل قوله (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) على أن هذا الدين دين أبدي: لأن الشيء المختار المدخر لا يكـون إلا أنفس مـا أظهــر من الأديــان، والأنفس لا يبطلــه شــيء إذ ليس بعــده غاية، فتكون الآية مشيرة إلى أن نسخ الأحكام قد انتهى.

*** *** ***

الآية الثانية: قوله تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:34).

قال الرازي رحمه الله تعالى [98]:

قولــه تعــالى: (وَإِنْ تَعُــدُّوا نِعْمَــةَ اللَّهِ لَا تُحْصُــوهَا) اعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف الوقوف على أقسام نعم اللــه ممتنع، فعليه أن يتأمل في شيء واحـد ليعـرف عجـز نفسـه عنـه ونحن نـذكر مثـالا لـذلك وهـو: أنـك إذا أخـذت اللقمـة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها:

[98]- من تفسيره للآية باختصار.

أما الأمور التي قبلها: فاعرف أن تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكليته قائما على الوجه الأصوب، لأن الحنطة لا بد منها، وأنها لا تنبت إلا بمعونة الفصول الأربعة، وتركيب الطبائع وظهور الرياح والأمطار، ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلاك، واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات، وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء، ثم بعد أن تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبز، وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال، ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها، ولا بد من انتهائها إلى آلة حديدية هي أول هذه الآلات.

فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة، ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لا بد من اجتماع العناصر الأربعة، وهي الأرض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق. فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة.

وأما النظر فيما بعد حصولها: فتأمل في تركيب بدن الحيوان، وهو أنه تعالى كيف خلق الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة، وأنه كيف يتضرر الحيوان بالأكل وفي أي الأعضاء تحدث تلك المضار، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية، فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة الأمور، والعقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث، فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [99].

[99]- قال الرازي: ثم إنه تعالى قال: (إن الإنسان لظلوم كفار) قيل: يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها. وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع، والمراد من الإنسان ههنا: الجنس ؛ يعني أن عادة هذا الجنس هو هذا الذي ذكرناه، وههنا بحثان:

*** *** ***

وقال السعدي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك.

قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) فضلا عن قيامكم بشكرها (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

البحث الأول: أن الإنسان مجبول على النسيان وعلى الملالة، فإذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها، وإن لم ينسها فإنه في الحال يملها فيقع في كفران النعمة، وأيضا أن نعم الله كثيرة فمتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي.

البحث الثاني: أنه تعالى قال في هذا الموضع: (إن الإنسان لظلوم كفار) وقال في سورة النحل: (إن الله لغفور رحيم) [النحل: 18] ولما تأملت فيه لاحت لي فيه دقيقة كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك عند أخذها وصفان: وهما كونك ظلوما كفارا، ولي وصفان عند إعطائها وهما كوني غفورا رحيما، والمقصود كأنه يقول: إن كنت ظلوما فأنا غفور، وإن كنت كفارا فأنا رحيم أعلم عجزك وقصورك فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء، ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة.

*** *** ***

الآية الثالثة: وهي تشير إلى نعمة اكتمال حواسنا من سمع وبصر وأفئدة: قال تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة النحل (78).

قال الرازي رحمه الله تعالى[100]: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) المعنى: أن النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله، فالله أعطاه هذه الحواس؛ ليستفيد بها المعارف والعلوم، وتقريره أن النفس كانت في مبدأ الخلقة خالية عن جميع العلوم إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر، فإذا أبصر الطفل شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك المبصر، وكذلك إذا سمع شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع، وكذا الطول في سائر الحواس فيصير حصول الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات في النفس والعقل. ثم إن تلك الماهيات على قسمين:

أحد القسمين: ما يكون نفس حضوره موجبا تاما في جزم الذهن بإسناد بعضها إلى بعض بالنفي أو الإثبات، مثل أنه إذا حضر في الذهن أن الواحد ما هو؟ وأن نصف الاثنين ما هو؟ كان حضور هذين التصورين في الذهن علة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم عليه بأنه نصف الاثنين، وهذا القسم هو عين العلوم البديهية.

100- من تفسيره للآية باختصار.

والقسم الثاني: ما لا يكون كذلك وهو العلوم النظرية، مثل أنه إذا حضر في الذهن أن الجسم ما هو؟ وأن المحدث ما هو؟ فإن مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم محدث، بل لا بد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة. والحاصل أن العلوم الكسبية إنما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية، وحدوث هذه العلوم البديهية إنما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها، وحدوث هذه التصورات إنما كان بسبب إعانة هذه الحواس على جزئياتها، فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس؛ فلهذا السبب؛ قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، ليصير حصول هذه الحواس سببًا لانتقال نفوسكم من الجهل إلى العلم بالطريق الذي ذكرناه، وهذه أبحاث شريفة عقلية محضة، مدرجة في هذه الآيات.

*** *** ***

قال السعدي رحمه الله تعالى: (جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة.

*** *** ***

بعض أقوال السلف التي تحث على حمد الله تعالى:

قال رجل لأبي حازم - سلمة بن دينار -: ما شكر العينين؟ فقال: إن رأيت بهما خيرًا، أعلنته، وإن رأيت بهما شرًّا، سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهم خيرًا، وعيته؛ وإن سمعت بهما شرًا، دفنته.

قال: ما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع حقًا لله هو فيهما.

قال: وما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا، وأعلاه علمًا.

قال؟ وما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ).

قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت ميتًا غبطته، استعملت بهما عمله؛ وإن رأيت ميتًا مقته، كففتهما عن عمله؛ وأنت شاكر لله عز وجل؛ فأما من يشكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه؛ فمثله: كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفه، ولم يلبسه؛ فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد، والثلج والمطر [101].

وعن عبد الله بن أبي نوح قال: قال رجل لي في بعض السواحل: كم عاملته ـ تبارك اسمه ـ بما يكره، فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة؛ قال: فهل قصدت إليه

[101]- حلية الأولياء - (3/ 243).

في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله، ولكنه أحسن إلي، وأعانني.

قال: فهل سألته شيئًا قط، فما أعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئًا سألته؟ ما سألته شيئًا قط، إلا أعطاني، ولا استعنت به إلا أعانني.

قال: أرأيت، لو أن بعض بني آدم: فعل بك بعض هذه الخلال، ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة، ولا جزاء.

قال: فربك تعالى أحق وأحرى: أن تدأب نفسك في أداء شكر نعمه عليك، وهو قديمًا وحديثًا يحسن إليك؛ والله، لشكره أيسر من مكافأة عباده؛ إنه تبارك وتعالى: رضي بالحمد من العباد شكرًا [102].

*** *** ***

فائدة: عن عمرو بن السكن قال: كنت عند سفيان بن عيينة، فقام إليه رجل من أهل بغداد؛ فقال: يا أبا محمد، أخبرني عن قول مطرف: لأن أعافى، فأشكر؛ أحب إلي: من أن أبتلى، فأصبر؛ أهو أحب إليك، أم قول أخيه أبي العلاء: اللهم، رضيت لنفسي ما رضيت لي؟ قال: فسكت سكتة؛ ثم قال: قول مطرف: أحب إلي؛ فقال الرجل: كيف، وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟ قال سفيان: إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى؛ فوجدت الشكر قد قام مقام

102- حلية الأولياء– لأبي نعيم الأصبهاني - (6/ 298 – 299).

الصبر؛ فلما اعتدلا: كانت العافية مـع الشـكر، أحب إلي، من البلاء مع الصبر[103].

ومن فوائـد الحمـد أن الشـكر للـه وللنـاس هـو السـبب في استمرار النجاح[104]:

قـال الـدكتور عبـد الـدائم الكحيـل: كنتُ أتأمـل سـيرة بعض الناجحين على مـر التـاريخ ولفت انتبـاهي أمـر مهم ألا وهـو أنهم يستخدمون التقنيات ذاتها في سبيل النجاح وتحقيق مـا يطمحـــون إليـــه بســـهولة. ومن الأشـــياء الملفتـــة أنهم يستخدمون "قوة الشكر" فالشكر والامتنان له سحر غـريب وتأثير عجيب في حياة الإنسان، ولكن كيف؟.

يؤكد الدكتور جون غراي وهو طبيب نفسي وأحـد المبـدعين الذين بيعت ملايين النسخ من كتبه، يؤكد على أهمية الشـكر في حياة الإنسان النـاجح، فالزوجـة مثلًا الـتي تشـكر زوجهـا على ما يقوم به، فإن هذا الشـكر يحفـزه للقيـام بمزيـد من الإبداعات والنجـاح. فالامتنـان يقـدم لـك المزيـد من الـدعم والقوة.

ويوضح الخبير "جيمس راي" هـذه الحقيقـة بقولـه: إن قـوة الشكر كبـيرة جـدًا فأنـا أبـدأ يـومي كلمـا اسـتيقظت صـباحًا بعبارة "الحمد لله" لأنني وجدتها مفيدة جدًا وتمنحـني طاقـة عظيمة! ليس هـذا فحسـب بـل إنـني أشـكر اللـه على كـل صغيرة وكبيرة وهـذا سـرّ نجـاحي أنـني أقـول "الحمـد للـه" وأكررها مرارًا طيلة اليوم!!

103- حلية الأولياء - (2/ 212 – 213).
104- أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل.

للشكر تأثير مذهل في حياة معظم المبدعين، فالامتنان والشكر للآخرين هو أسهل الطرق للنجاح، والشكر طريقة قوية ومؤثرة حتى عندما يقدم لك أحد معروفًا صغيرًا فإنك عندما تشكره تشعر بقوة في داخلك تحفزك للقيام بالمزيد من الأعمال الخيرة. وفي دراسة حديثة تبين أن الامتنان والشكر يؤدي إلى السعادة وتقليل الاكتئاب وزيادة المناعة ضد الأمراض!

لقد قام العلماء بتجارب كثيرة لدراسة تأثير الشكر على الدماغ ونظام المناعة والعمليات الدقيقة في العقل الباطن، ووجدوا أن للشكر تأثيرًا محفزًا لطاقة الدماغ الإيجابية، مما يساعد الإنسان على مزيد من الإبداع وإنجاز الأعمال الجديدة. كما تؤكد بعض الدراسات أن الامتنان للآخرين وممارسة الشكر والإحساس الدائم بفضل الله تعالى يزيد من قدرة النظام المناعي للجسم!

* * *   * * *   * * *

يقوم الدكتور روبرت إمون وفريق البحث في جامعة كاليفورنيا بدراسة الفوائد الصحية للشكر، وقد وجد بنتيجة تجاربه على الطلاب أن الشكر يؤدي إلى السعادة وإلى استقرار الحالة العاطفية وإلى صحة نفسية وجسدية أفضل. فالطلاب الذين يمارسون الشكر كانوا أكثر تفاؤلًا وأكثر تمتعًا بالحياة ومناعتهم أفضل ضد الأمراض. وحتى إن مستوى النوم لديهم أفضل!

الشكر لعلاج المشاكل اليومية: يؤكد الباحثون في علم النفس أن الشكر له قوة هائلة في علاج المشاكل، لأن قدرتك على مواجهة الصعاب وحل المشاكل المستعصية تتعلق بمدى امتنانك وشكرك للآخرين على ما يقدمونه لك.

ولذلك فإن المشاعر السلبية تقف حاجزًا بينك وبين النجـاح، لأنها مثل الجدار الذي يحجب عنك الرؤيا الصـادقة، ويجعلـك تتقاعس على أداء أي عمل ناجح.

عندما تمارس عادة "الشكر" لمن يؤدي إليك معروفًـا فإنـك تعطي دفعة قوية من الطاقة لدماغك ليقـوم بتقـديم المزيـد من الأعمـال النافعـة، لأن الـدماغ مصـمم ليقـارن ويقلّـد ويقتدي بالآخرين وبمن تثق بهم. ولذلك تحفـز لـديك القـدرة على جـذب الشـكر لـك من قبـل الآخـرين، وأسـهل طريقـة لتحقيق ذلك أن تقدم عملًا نافعًا لهم.

فن ممارسة الشكر: الاختصاصي "لي برو" مؤسـس شـركة تفعيـل الطاقـة لإحـراز الـثروة، ينصـح بـأن تمـارس الشـكر والامتنـان باسـتمرار بـل أن تقنـع نفسـك بـذلك من خلال الكلام، أي لا يكفي الاعتقـاد أو الامتنـان إنمـا يجب أن تقـول وتكتب ذلك على ورقة مثلًا: إنني سعيد جـدًا... لأنـني أشـكر النـاس على معـروفهم... وهـذا الشـكر سـيقدم لي النجـاح والإبداع...

ويقول هذا الخبير المتخصص بجمع الـثروات: اجعـل الشـكر عـادة تمارسـها كـل صـباح، أن تبـدأ بشـكر اللـه، ثم تشـكر الناس خلال ممارسة أعمالك اليومية لكل عمـل أو معـروف يقدّم لك... وخلال أيام قليلـة ستشـعر بقـوة غريبـة وجديـدة من نوعها تسهل طريقة النجاح لك.

*** *** ***

آلية عمل الشكر:

بعد دراسات طويلة لعدد من البـاحثين في علم النفس تـبين أن معظم المبدعين والأثرياء كانوا يشكرون النــاس على أي عمل يقدمونه لهم، وكانوا كثيري الامتنان والإحساس بفضـل الآخرين عليهم، ولا ينكرون هذا الفضل حـتى بعـد أن جمعـوا ثروات طائلة.

ولو تساءلنا: كيف يقوم هذا "الشكر" بعمله، وكيف يمكن أن يصبح الإنسان ناجحًـا، ومـا علاقـة ممارسـة الشـكر بالإبـداع مثلًا؟ إن الجواب يكمن في عقلك الباطن!

يؤكد العلماء أن كل تصرف تقوم به أو حركة تعملها أو كلمة تنطق بهـا... إنمـا تصـدر نتيجـة بـرامج معقـدة موجـودة في داخل الدماغ في منطقة تسمى العقل الباطن (وهي منطقة مجهولة حتى الآن). وهناك تفاعلات يقوم عقلك البــاطن في كل لحظة مع الأحداث الـتي تمـر بـك، وعنـد ممارسـتك لأي عمل هناك عمليات معقدة تحدث في دماغك لا تشعر بها.

فكثير منا يحاول حفظ القرآن مثلًا ولا يستطيع، بل يجـد ثقلًا وكأن شيئًا يبعده عن هذا الحفظ. وكثير منا يحـاول أن ينجـز عملًا فلا يجد رغبة في ذلك فيتقاعس وتجده كئيبًـا منعـزلًا لا يجد لذة في هذا العمـل فلا يقـدم عليـه، وكثـير أيضًـا لـديهم طموحات في مجال الدراسة أو العمل أو العاطفــة، ولكن لا ينجزون أي شيء!

هل تعلمون ما هو سبب هذه الظاهرة الخطيرة؟ إنـه عقلـك الباطن الذي امتلأ بالأفكار السـلبية وتمَّ حشـوه بالمعلومـات الخاطئة عن الآخرين وفقد التوجه الصحيح، وبالتالي لابد من إعادة شحنه وبرمجته وتنشيطه.

*** *** ***

المطلب الثاني: روحانيات الحمد لله

إن أجمل شعور يشعور به الإنسان في هذه الحياة هو شعوره بنعم الله التي تغمره وتملأ وجدانه وأجمل من ذلك هو شعوره بأن الله تعالى قد اختصه بتلك النعم دون غيره من الخلائق

وما من شك أن المؤمن لا بد أن يعتريه إحساس بما اختصه به من نعمة الإيمان كما قال تعالي (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) سورة آل عمران (74)ـ وقال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) سورة الجعة (4).

أقول في تلك اللحظات التي تغمره قلبه وتستولي على أحاسيه ومشاعره شعوره لو قال (الحمد لله) سيجد لها طعما لا يمكن أن يعبر عنه بكلمات مهما أوتي من البلاغة والفصاحة ويحق له حينها أن يقول (إنني لا أجد في حروف اللغة العربية ما يكفي للتعبير عما بداخلي). تلك المشاعر والأحاسيس هي لب الحمد وروحه.

فمن روحانيات الحمد: أنني حين أدخل البيت فـأرى أسـرتي تعيش سعادة الحياة معافاة من الأمراض العضوية والنفسية والعقلية؛ وتحيا بروح الإيمـان وأداء الصـلاة وتلاوة القـرآن؛لا بحولي ولا بقوتي فأنا لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فضلا عن أن أملك لغيري شيئا من ذلك.. إن حمدي في تلك الحال هو لب الحمد وروحه.

*** *** ***

ومن روحانيات الحمد: أنني حينمـا أعيش الإحسـاس بعافيـة البدن وشمول الصحة وسلامة العقل فأقول: الحمد للـه رب العالمين.. الحمد لله الـذي عافـاني في بـدني وفي سـمعي وفي بصري.

ومن روحانيات الحمد: إلتفاتي إلى تلك النعم ممـا يحضـرني ومما غاب عني إلى أن اللـه تعـالى قـد خصـني وامتنَّ عليَّ، ذلك الالتفات في حد ذاته عطاء قد يُحرَم منه الكثيرون.

يقول ابن القيم في فوائـده: من الآفـات الخفيـة العامـة أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه واختارهـا لـه فيملَّهـا العبد ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهلـه أنـه خـير لـه منها؛ وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة ويعـذره بجهلـه، وسـوء اختيـاره لنفسـه، حـتى إذا ضـاق ذرعـا بتلـك النعمـة، وسخطها وتبرم بها واستحكم ملله لها سلبه الله إياهـا؛ فـإذا انتقل إلى ما طلبه ورأى التفاوت بين ما كان فيـه ومـا صـار إليه اشتد قلقه وندمه،وطلب العـودة إلى مـا كـان فيـه فـإذا أراد الله بعبده خيرا ورشدا أشهده أن ما هـو فيـه نعمـة من نعمه عليه، ورضَّاه به؛ وأوزعه شكره عليه؛ فإذا حدَّثته نفسه

بالانتقال عنه استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته، عاجز عنها مفوِّضٌ إلى الله طالبٌ منه حسن اختياره له.

*** *** ***

ومن روحانيات الحمد: شهود العبد إنعام الله عليه أثناء تقلباته في ليله ونهاره وفي معيشته الدنيوية وحياته التعبدية.. فلا يفوته فرض ولا يتخلى عن نفل ولا يقع في كبيرة من الكبائر ولا يُصرُّ على صغيرة من الصغائر،فلا ينسب ذلك لنفسه بل لربه تعالى فيقول الحمد لله متذكرا قوله تعالى (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة النور (21).

وفي بيان هذا المعنى وأهمية الشعور به يقول الغزالي رحمه الله تعالى[105]:

واعلم أن تمام هذه المعرفة - بنعمة الله ونسبتها إليه - بنفي الشرك في الأفعال؛ فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء؛ فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزَّع فرحه عليهما؛ فلا يكون موحدا في حق الملك؛ لأن هذا الملك لو خُلِّي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به.

105- إحياء علوم الدين – المجلد الرابع كتاب الصبر والشكر – باختصار.

وبعد أن خلق الله له هـذا الاعتقـاد لا يجـد سـبيلًا إلى تركـه، فهو إذن إنما يعطيـك لغـرض نفسـه لا لغرضـك ولـو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطـاك؛ ولـو لم يعلم أن منفعتـه في منفعتك لما نفعـك؛ فهـو إذن إنمـا يطلب نفـع نفسـه بنفعـك فليس منعِمًا عليك، بل اتخذك وسيلةً إلى نعمـة أخـرى وهـو يرجوها؛ وإنما الذي أنعم عليك هـو الـذي سـخَّره لـك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صـار بـه مضـطرا إلى الإيصال إليك؛ فـإن عـرفت الأمـور كـذلك فقـد عـرفتَ اللـه تعالى وعرفتَ فعلـه وكنت موحـدا وقـدرت على شـكره بـل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكر.

*** *** ***

ومن روحانيات الحمد: أن يكـون همُّ العبـد في الوصـول إلى الحمد الحقيقي الذي يُرضِي ربه فيتقبله منه سبحانه وتعـالى ولعمــري تلــك منزلــة عليــا قــلَّ مَنْ يفطن لهــا فضــلا عن الوصول إليها.

وفي بيان هذا المعنى يقـول أبـو حامـد الغـزالي رحمـه اللـه تعالى[106]:

وإنما الشكر التام هو أن يكون فرح العبد بنعمـة اللـه تعـالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القـرب منـه تعـالى، والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام.

فهذا هو الرتبة العليا وأمارته ان لا يفرح من الدنيا إلا بما هـو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكــر

106- المرجع السابق – باختصار.

الله تعالى وتصده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة.

*** *** ***

الختام بذكر عدد من صيغ الحمد والثناء على الله تعالى:

مر معنا في فضائل الحمد في السنة ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(أولُ من يُدْعَى إلى الجنةِ الحَمَّادُونَ الذين يَحْمَدُونَ اللهَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ)[107].

بناءً على هذا الحديث أحببت أن أقتبس بعض صيغ الحمد الواردة في السنة آثار الصالحين لتكتمل روحانيات الحمد وفي نفس الوقت تصلح تلك الصيغ لاستفتاح الدعاء وهو أدب من آداب الدعاء كما هو معلوم.

(اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ نور السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، أنتَ الحقُّ، وقولُكَ الحقُّ، ووعدك حقٌّ، والجنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنَّبيُّونَ حقٌّ، ومحمَّدٌ حقٌّ، اللَّهمَّ لَكَ أسلمتُ، وبِكَ آمنتُ، وعليْكَ توَكَّلتُ، وإليْكَ أنَبتُ، وبِكَ خاصَمتُ، وإليْكَ حاكمتُ، فاغفِر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلَنتُ، أنتَ إلَهي لاَ إلَهَ إلَّا أنتَ) أخرجه البخاري (7499)، ومسلم (769) باختلاف يسير.

---

[107]- رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وعزاه إلى أبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(سبحان اللهِ عدَدَ ما خلق،سبحان اللهِ مِلْءَ ما خلَق، سبحانَ اللهِ عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ سبحانَ اللهِ مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ، سبحانَ اللهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، سبحان اللَهِ مِلْءَ ما أحصى كتابُه، سبحان اللهِ عددَ كلِّ شيءٍ، سبحانَ اللهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ، الحمدُ للهِ عددَ ما خلق، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ،والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ للَه مِلْءَ ما أحصى كتابُه،والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ،والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ) صحيح الترغيب والترهيب.

اللهم تَمّ نُورك فَهَدَيت فَلَكَ الْحَمْد، وعَظُم حِلمك فَعَفَوْت فَلَكَ الْحَمْد، وَبَسَطْتَ يَدك فأعطيت فَلَكَ الْحَمْد، ربنا وَجهك أكْرمِ الوُجوه، وجَاهك خير الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهنأها، تُطاع ربنا فتَشْكُر، وتُعْصَى ربنا فَتَغْفِر، تُجيب المضطر، وتَكْشِف الضُّرّ، وتَشْفِي السَّقِيم، وتُنَجّي مِن الكَرْب، وتقبل التوبة، وتغفر الذنب لمن شئت، لا يَجزي آلاءك أحد، ولا يُحْصِي نعماءك قول قائل [108].

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِمَا خَلَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَا وَأَنْقَذْتَنَا وَفَرّجَتْ عَنَّا، لَكَ الْحَمْدُ بِالإِسْلامِ وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ، كَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَأَظْهَرْتَ أمنَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتِنَا، وَمِنْ كُلِّ وَاللهِ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ، أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلانِيَةٍ، أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً، أَوْ حَيٍّ أَوَّ

108- موقوف على سيدنا علي رضي الله عنه رواه ابن أبي شيبة.

مَيِّتٍ أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ[109].

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كلُّ شيء، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كلُّ شيء،الحمد لله الذي ذلَّ لعزَّته كلُّ شيء، الحمد لله الذي خضع لملكه كلُّ شيء.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.اللَّهُمَّ أنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وأحَقُّ مَنْ عُبِد، وأنْصَرُ من ابْتُغِي، وأرْأَفُ منْ مَلَك، وأجْوَدُ منْ سُئِل، وأكْرَمُ منْ أعْطَى، وأرْحَمُ من اسْتُرْحِم، وأكْفَى منْ تُوُكِّلَ علَيهِ، وأبَرُّ منْ أجَاب، أنْتَ المَلِكُ لا شَرِيْكَ لك،وأنْتَ الفَرْدُ لا نِدَّ لك كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَك،لا تُطَاعُ إلاَّ بِإِذْنِك، ولا تُعْصَى إلاَّ بِعِلْمِك، تُطَاعُ فَتَشْكُر، وتُعْصَى فَتَغْفِر، أقْرَبُ شَهِيْدٍ، وأدْنَى حَفِيْظٍ، حُلْتَ دُوْنَ النُّفُوسِ، وأخَذْتَ بالنَّوَاصِي، وكَتَبْتَ الآثَارَ ونَسَخْتَ الآجَالَ،القُلُوبُ لكَ مُفْضِيَةٌ والسِّرُّ عِنْدَك عَلانَيِةٌ. الحَلالُ ما أحْلَلْتَ والحَرَامُ ما حَرَّمْتَ، والدِّيْنُ ما شَرَعْتَ والأَمْرُ مَا قَضَيْتَ،والخَلْقُ خَلْقُك، والعَبْدُ عَبْدُكَ، وأنْتَ اللَّهُ، المَلِكُ، الرَّؤُوفُ التَّوَّاب الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ.

*** *** ***

الحمد لله حمداً نتجاوز به ضيق الأرض إلى سعة السماء الحمدلله حمدًا تطيب له النفس حتى ترضى، الحمدلله حمداً كثيرا يشرح به القلب و يُرضيه.

[109]- من كلام الْحَسَنُ البصري - رواه البيهقي في شُعب الإيمان.

الحمدلله حُباً الحمد لله شُكراً الحمدلله يوماً وشهراً وعُمراً الحمد لله في السراء والضراء الحمدلله دائماً وأبدا كلما حمدت ربي وجدت منه مايرضيني لك الحمد ربي حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ أنتَ نُورُ السمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهِنَّ، ولكَ الحَمْدُ، أنتَ قيِّمُ السموات والأرض ومن فيهنَّ، ولكَ الحَمْدُ، أنتَ ملك السموات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنت الحقُّ، ووعدُكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ ولقاؤكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ والسَّاعةُ حقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ ...

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كُلُّهُ، وإلَيْك يَرْجِعُ الأمْرُ كُلُّهُ، عَلانِيَتُهُ وسِرُّهُ. فَحَقٌّ أنْتَ أنْ تُعْبَد، وحَقٌّ أنْتَ أنْ تُحْمَد، وأنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديْر اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كالَّذِي تَقُولُ، وخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ بِجَمِيْعِ المَحَامِد كُلِّهَا..اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كَمَا حَمِدْتَ نَفْسَك في أُمِّ الكِتَابِ والتَّوْرَاةِ والإنْجيْلِ والزَّبُورِ والفُرْقَانِ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ أَكْمَلُهُ، ولك الثَّنَاءُ أجْمَلُهُ، ولك القَوْلُ أبْلَغُهُ، ولك العِلْمُ أحْكَمُهُ، ولك السُّلْطَانُ أقْوَمُهُ، ولك الجَلالُ أعْظَمُهُ.

اللَّهُمَّ لك الحمْدُ حَمْدًا يمْلأُ المِيْزان، ولك الحَمْدُ عَدَدَ ما خَطَّهُ القَلمُ وأحْصَاهُ الكِتَابُ ووَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ اللَّهُمَّ لك الحمْدُ على ما أعْطَيْتَ ومامَنَعْت، وما قَبَضْتَ وما بَسَطْتَ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ على كُلِّ نِعْمَةٍ أنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا في قَدِيْمٍ أوْ حَدِيْثٍ، أوْ خاصَّةٍ أوْ عَامَّةٍ أوْ سِرٍ أوْ عَلانِيَةٍ او حي او ميت او شاهد او غائب.

*** *** ***

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ولك الحمْدُ فِي النَّعْمَـاءِ واللَّأْوَاءِ، ولكِ الحمْدُ في الـشِّدَّةِ والرَّخَـاءِ، ولـكَ الحمْـدُ على حِلْمِك بَعْدَ عِلْمِك، ولك الحمْدُ على عَفْوك بَعْدَ قُـدْرتِك، ولـك الحمْدُ على كُلِّ حَــال.

الحمْدُ لله في الأُوْلى والآخِرَة، الحَمْدُ للـه الَّذِي لا يَنْسَـى منْ ذَكرَهُ، والحَمْدُ للـه الَّذِي لا يَخِيْبُ منْ دَعَـاهُ، ولا يَقْطَـعُ رَجَـاءَ منْ رَجَاهُ.

الحمد لله رب العالمين.. يُحب من دعـاه خفيـا.. ويُجيب من ناداه نجيا.. ويزيـدُ من كـان منـه حيِيـا.. ويكـرم من كـان لـه وفيا.. ويهدى من كان صادق الوعد رضيا.

الحمد للـه رب العـالمين.. الـذي أحصـى كـل شـيء عـددًا.. وجعل لكل شيء أمدا.. ولا يُشرك في حُكمـهِ أحـدا.. وخلـق الجِن وجعلهم طرائِق قِددا.

الحمد لله رب العالمين.. الذي جعل لكل شيء قدرا.. وجعل لكل قدرِ أجلا.. وجعل لكل أجلِ كتابا.

الحمـد للـه رب العـالمين.. حمـدًا لشُـكرهِ أداءا.. ولحقـهِ قضاءا.. ولِحُبهِ رجاءا.. ولفضلهِ نماءا.. ولثوابهِ عطاءا.

الحمد لله رب العالمين.. الذي سبحت له الشـمس والنجـوم الشهاب.. وناجـاه الشـجر والـوحش والـدواب.. والطـير فى أوكارها كلٌ له أواب.. فسبحانك يا من إليه المرجع والمآب.

*** *** ***

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله على نعمه الكثيره التي لا تعد ولا تحصى اللهم لك حتى ترضى ولك الحمد حين الرضا ولك الحمد بعد الرضا.

الحمد لله والشكر له حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا أن يُحمَد ويُشكر ربي لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى ولك الحمد على كل حال.

الحمد لله الذي لا ينسى مَن ذَكره، الحمد لله الذي لا يَخيب من دَعاه الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا، ربي لك الحمد حتى ترضى اصبحنا لك حامدين شاكرين يا الله..

إلهِي تَمَ نُورُكَ فَهَديْتَ فَلَكَ الحَمْد، عَظُمَ حِلْمُكَ فَغَفَرت، بَسَطتَ يَدَكَ فَأَعْطَيتَ فَلَكَ الحَمْد، وَجْهُكَ أَكْرمُ الوُجُوه وَجَاهُكَ أَعْظَمُ الجَاه، وَعَطِيَّتُكَ أَفْضَلُ العَطِيَّة وَأَهْنَاهَا، تُطَاعُ فَتَشْكُر، وَتُعْصَى فَتَغْفِر، وَتُجِيبُ المضطر، وَتَكْشِفُ الضُر، تَشْفِي السَقِيم وَتَغْفِرُ الذَنب وَتَقْبَلُ التَوبْ وَلاَ يَجْزِي بِآلائِكَ أَحْد، وَلاَ يَبْلُغُ مَدْحُكَ قَولُ قَائِل. إلَهي يَا حَسَنْ التَجَاوز يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيل وَسَتَرَ القَبِيحْ يَا مَنْ لاَ يَأْخُذُ بِالجَرِيرَة وَلاَ يَهْتِكُ السِتْر يَا وَاسِعُ المَغْفِرَة يَا بَاسِطَ اليَدينِ بِالرَحمَة، يَا صَاحِبَ كُلِ نَجْوَى وَيَا مُنْتَهَى كُلِ شَكْوَى يَا كَرِيمَ الصَفْح يَا عَظِيمَ المَنِ يَا مُبْتَدئًا بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقَها، يَا ربي وَسَيدي وَمَولاَي وَيَا غَاية رَغْبَتِي، أَسْأَلُكَ يَا الله أَنْ تُحَرِمَ وَجْهِي عَلَى النَاروان ترزقني ووالدي الفردوس الاعلى من الجنة، وَأنتَ الرَءوفُ الرَحِيم.

*** *** ***

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها الحمد

لما كان العبد يتقلب في نعم الله تعـالى في كـل لحظـة في حياته كان لا بـد لـه من حمـد اللـه تعـالى تعـالى، لـذا وردت نصوص كثيرة في السنة المطهرة تحث العبد على حمد الله تعالى وشكره في مواطن كثيرة، وقد ذكر العلامة ابن القيم في رسالته (صيغ الحمـد) نحـوا من عشـرة، وقمت بـالبحث عن بقيتها فبلغت ثمانية عشر موطنا، وهي:

1/ الحمد المطلق: مما لا يخفى أن الحمد شأنه شـأن سـائر الأذكار فهو مطلوب من العبد على كل حـال وفي كـل وقت ومما يدل على ذلك قولـه تعـالى قـال تعـالى (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِـيرًا * وَسَـبِّحُوهُ بُكْـرَةً وَأَصِـيلًا * هُـوَ الَّذِي يُصَـلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُـهُ لِيُخْـرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) سورة الأحزاب (41-43)

وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضـي اللـه عنـه قال جَـاءَ أَعْـرَابِيٌّ إلى رَسـولِ اللـهِ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسـلَّمَ، فَقالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قالَ: (قُلْ: لا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ له، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِـيرًا، وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ كَثِـيرًا، سُـبْحَانَ اللـهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العَزِيـزِ الحَكِيم) قـالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَما لِي؟ قـالَ: (قُـلْ: اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي).

2/ الحمد في الصلاة وبعدها: وهذا يعتبر في الدرجـة الأولى وهي مقدمة على جميع الأذكار المقيدة بمناسـبة معينـة ممـا سيأتي ذكره بعد قليل ولكنـه لمـا كـان مشـهورا معلومـا لم أشأ ذكر النصوص الواردة فيـه فـاكتفيت بالإشـارة إليـه لمـا يقتضيه الحصر.

*** *** ***

3/ الحمد عند الاستيقاظ من النـوم: فعن أبي هريـرة رضـي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسـلّم: (إذا استيقظ أحدُكم فليقل: الحمدُ للهِ الـذي ردَّ عليَّ روحي، وعافـاني في جسـدي، وأذِنَ لي بِـذِكْرِه) أخرجـه ابن السـني في عمل اليوم والليلة وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

4/ الحمـد عنـد النـوم: فعن أنس رضـي اللـه عنـه أن النـبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه؛ قال:(الحمـد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا؛ فكم ممن لا كافي لـه ولا مؤوي)؛ رواه مسلم.

5/ الحمد بعد الانتهاء من تناول الطعام: عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدتـه قال: (الحمدُ للهِ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيهِ، غير مُكْفِي، ولا مُوَدّعٍ، ولا مسْتَغنى عنهُ ربنا)؛ صححه العلامـة شـعيب الأرنـاووط في تخريج شرح السنة - حديث رقم (2828).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال: (الحمـد للـه الـذي أطعمنا وأسقانا وجعلنا مسلمين)؛ رواه أبو داود وغيره.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قـال كـان رسـول اللـه صـلى الله عليـه وسـلم إذا أكـل أو شـرب قـال: (الحَمـدُ للـهِ الَّذي أطعَمَ وسقى، وسوَّغه وجعَل له مَخرَجًا)؛ رواه أبو داود والنسـائي ووصححه النووي في الأذكار.

قوله: وسوَّغه: أي: سهَّل دخولَه إلى الجِسمِ، وجعَل له مَذاقًا في الفَمِ ونفعًا للجِسمِ، "وجعَل له مَخرَجًا.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكل طعامًا فقال (الحمدُ للهِ الَّذي أطعمني هذا ورزقنيه من غيرِ حوْلٍ منِّي ولا قوَّةٍ) غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه) أخرجه أبو داود والترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره - ح رقم (2042).

6/ الحمد بعد الخروج من بيت الخلاء: لما رواه ابن ماجه في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من الخلا قال (الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج قال (الحمدُ للهِ الذي أذاقَنِي لذتَه وأبقى عليَّ قوتَهُ وأذهبَ عنِي أذَاه)؛ أخرجه الطبراني في الدعاء وابن السني في عمل اليوم والليلة السيوطي في الجامع الصغير.

*** *** ***

7/ الحمد عند لبس الثوب الجديد: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَمَ إذا استجدَّ ثوبًا سماه باسمِه عمامةً أو قميصًا أو رداءً ثم يقولُ (اللهمَّ لك الحمدُ أنت كسوَتَنيه أسألُك خيرَه وخيرَ ما صُنِعَ له وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِعَ له)؛ رواه أبو داود والنسائي وإسناده صحيح وقال الترمذي حديث حسن.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ لَبسَ ثوبًا فقالَ: (الحمدُ للهِ الَّذي كَسَانِي هذا ورزقنِيه مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوَّةٍ)؛ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ) [110].

[110]- أخرجه أبو داود والترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره - ح رقم (2042). (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية).

وعن عمر بن الخطابِ رضي الله عنه أنه كان جالسًا يومًا في جمْعٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذ دعا بقميصٍ جديدٍ فلبِسَه، فما أحسبُه بلغ تراقِيَهُ حتى قال: (الحمدُ للهِ الذي كساني ما أُواري به عورَتي، وأتجمَّلُ به في حياتي) ثم قال: رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبِسَ ثوبًا جديدًا، فقال ما قلتُ، ثم قال: (والذي نفسي بيدِه، ما من عبدٍ مسلمٍ يلبَسُ ثوبًا جديدًا، ثم يقولُ مثلَ ما قلتُ، ثم يعمِدُ إلى سملٍ من أخلاقِه الذي خلع فيكسوه إنسانًا مسلمًا لا يكسوه إلَّا للهِ تعالى لم يزلْ في حِرزِ اللهِ، وفي ضمانِ اللهِ، وفي جَوارِ اللهِ ما دامَ عليه منه سلكٌ واحدٌ حيًّا وميِّتًا) [111].

ورواه الترمذي بلفظ (مَن لَبِسَ ثوبًا جديدًا، فقال: الحمدُ للهِ الَّذي كساني ما أُواري به عَوْرتي، وأتجمَّلُ به في حياتي، ثمَّ عمَدَ إلى الثَّوبِ الَّذي أخْلَقَ فتصدَّقَ به؛ كان في كنَفِ اللهِ، وفي حفْظِ اللهِ، وفي سِتْرِ اللهِ، حيًّا وميِّتًا).

8/ الحمد في مفتتح خطبة الحاجة: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُعلِّمُنا خُطبةً مِن خُطبةِ الحاجةِ، وخُطبةَ الصَّلاةِ: الحَمدُ للهِ -أو: إنَّ الحَمدَ للهِ- نَستَعينُه ونَستَغفِرُه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنْفُسِنا، مَن يَهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه. ثمَّ قَرأ هؤلاءِ الآياتِ الثَّلاثَ: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، ثمَّ قَرأ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...) [النساء: 1]ـ الآيةَ، ويَقرأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا

[111]- حسنه ابن حجر العسقلاني في نتائج الأفكار (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية).

قَوْلًا سَدِيدًا... ﴾ [الأحزاب: 70] الآيَةَ) ثمَّ يَتكَلَّمُ لحاجَتِه كذا. رواه أبو داود و سكت عنه - فهو حسن - والنسائي وصححه النووي في الأذكار.

*** *** ***

9/ الحمد عند رؤية مبتلى: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا إلا لم يصبه ذلك البلاء) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

10/ الحمد عندما تتجدد النعمة على العبد: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فقال الحمدُ للهِ إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ مما أخذ) [112].

11/ الحمد مقرونا بالاستغفار والتهليل عند القيام من المجلس الذي يكثر فيه اللغط: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) قال الترمذي حديث حسن صحيح.

12/ الحمد بعد العطاس: لما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه

---

[112]- أخرجه ابن ماجه (3805) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (1357) باختلاف يسير، والبيهقي في شعب الإيمان - (4403) مختصراً، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

أو صاحبه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم).

وفي جامع الترمذي عن ابن عمر أن رجلا عطس إلى جنبه فقال الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله فقال ابن عمر رضي الله عنهما:وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن أن نقول: (الحمد لله على كل حال).

13/ الحمد مقرونا بالتكبير والاستغفار عند ركوب الدابة: وذلك لما رواه أهل السنن بالإسناد الصحيح عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: (بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثم ضحك فقال فقلت يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال:(إنَّ ربَّكَ سبحانَهُ يعجَبُ من عبدِهِ إذا قالَ: اغفِر لي ذنوبي يعلمُ أنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري).

*** *** ***

14/ الحمد عند رؤية المسلم لما يحبه أو ما يكره: لما رواه ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم(إذا رأى ما يحبه قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد الله على كل حال) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

15/ الحمد في صعيد عرفات: لما رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في المواقف (اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مالي ولك رب تراثي اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح).

16/ الحمد لله والثناء عليه قبل الدعاء: لحديث: ابن مسعود رضي الله عنه رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُصَلِّي والنبيّ صلى الله عليه وسلم وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله، ثم الصّلاَةِ على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم دَعوْتُ لنَفْسِي، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (سَلْ تُعْطَهْ. سَلْ تُعْطَهْ) [113].

وعن فَضَالَة بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلًا يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجّدِ الله وَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: عَجِلَ هَذَا. ثُمّ دَعَاهُ فَقَالَ - لَهُ أوْ لِغَيْرِهِ -: (إذا صَلّى أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمّ يُصَلّي عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ثُمّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شاء)[114].

والمراد بهذين الحديثين أن من آداب الدعاء: البداءة بحمد الله تعالى وشكره، وذكر بعض أسمائه الحسنى وصفاته

[113]- رواه الترمذي، وقال: حسنٌ صحيح. وأخرجه بنحوه: الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والنسائي في الكبرى. وصححه الألباني والأرنؤوط(الموسوعة الحديثية – الدرر السنية).

[114]- رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم، وصححه على شرط مسلم، ورواه ابن حبان. وصححه الألباني والأرنؤوط (الموسوعة الحديثية – الدرر السنية).

العلى، والاعـتراف بين يديـه سـبحانه وتعـالى بالـذل والفقـر إليه، لتكـون هـذه الكلمـات تمهيـدا لسـؤاله عـز وجـل، فهـو سبحانه يحب من عبده التذلل إليه، والاعـتراف بعظيم نعمـه وجليل فضله، فإذا قدَّم العبد صدق التـذلل، ثم أتبعـه بصـدق الدعاء والمسألة، كان ذلك أدعى لإجابة الدعاء.

ومَن يتأمّل الأدعيـةَ الـواردة في الكتـاب والسـنة يجـد كثـيرًا منها مبدوءًا بالثنـاء على اللـه وعـدِّ نِعمـه وآلائـه، والاعـتراف بفضـله وجـوده وعطائـه، ومن الأمثلـة على ذلـك الـدعاءُ العظيم الذي اشتملت عليه سـورة الفاتحـة الـتي هي أعظم سور القرآن الكريم وأجلُّها (اهدنا الصراط المستقيم)

فهذا الدعاءُ العظيم مبدوءٌ بالثناء على الله وحمده وتمجيده، مما هو سببٌ لقبوله، ومفتاحٌ لإجابته.

قال ابن القيم رحمه الله: ولما كان سـؤال اللـه الهدايـةَ إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب، ونيلُـه أشـرفَ المـواهب، علّم الله عبادَه كيفيةَ سـؤاله، وأمـرهم أن يقـدِّموا بين يديـه حمدَه والثناء عليه وتمجيـدَه، ثمَّ ذكـر عبـوديتهم وتوحيـدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسلٌ إليه بأسمائه وصـفاته، وتوسلٌ إليه بعبوديته، وهاتان الوسـيلتان لا يكـاد يُـردُّ معهمـا الدعاء... إلى أن قال رحمه الله:

وقد جَمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسلُ بالحمد والثنـاء عليـه وتمجيـده، والتوسـلُ إليـه بعبوديتـه وتوحيـده، ثمَّ جـاء سـؤال أهم المطـالب وأنجح الرغـائب، وهـو الهدايـة بعـد الوسيلتين، فالداعي به حقيقٌ بالإجابة [115].

115- كيف يكون تمجيد الله والثنـاء عليـه قبـل الـدعاء - موقـع الإسـلام سـؤال وجواب.

*** *** ***

17/ الحمد مقرونا بالثناء والدعاء بعد الهزيمة في المعركـة:
وذلك لما ورد عن رفاعة بن رافع رضي اللـه عنـه أنـه قـال: لما كان يومُ أُحدٍ وانكفأ المشركونَ قـال رسـولُ اللـهِ صـلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (استَووا حتى أُثنِيَ على ربِّي فصاروا حلقـةً صـفوفًا فقـال: اللهمَّ لـك الحمـدُ كلُّه اللهمَّ لا قـابضَ لمـا بسطتَ ولا باسطَ لما قبضتَ ولا هاديَ لما أضللتَ ولا مضلَّ لمن هـديتَ ولا معطِيَ لمـا منعت ولا مـانعَ لمـا أعطيتَ ولا مقربَ لما باعدتَ ولا مبعدَ لما قربت اللهمَّ ابسطْ علينـا من بركاتِـك ورحمتِـك وفضـلِك ورزقِـك اللهمَّ إني أسـألُك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزولُ اللهمَّ إني أسـألُك النعيمَ يـومَ الغلبةِ والأمنَ يومَ الخوفِ اللهمَّ عائذٌ بك من شرِّ ما أعطيتنـا وشرِّ ما منعت منا اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمـانَ وزيِّنْـه في قلوبِنـا وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ واجعلنـا من الراشـدينَ اللهمَّ توفَّنا مسلمين وأحيِنا مسلمينَ وألحقنا بالصالحينَ غـيرَ خزايا ولا مفتونينَ اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الـذين يُكـذِّبون رسـلَك ويصـدون عن سـبيلِك واجعـلْ عليهم رِجـزَك وعـذابَك اللهمَّ قاتلْ كفرةَ الذين أوتوا الكتابَ إلهَ الخلقِ)[116].

18/ الحمد مع الاسترجاع عند فقـدان الولـد سـبب في بنـاء بيت في الجنة: فعن أبي موسـى الأشـعري أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم قـال: (إذا مـات ولـد العبـد قـال اللـه لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقـول: قبضـتم ثمـرة فـؤاده؟ فيقولـون: نعم، فيقـول: مـاذا قـال عبـدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًـا في الجنة وسموه بيت الحمد) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن.

116- قـال في مجمـع الزوائـد (رجالـه رجـال الصـحيح) - (6/124)، وصـححه الألباني في صحيح الأدب المفرد – حديث رقم (538) -الموسوعة الحديثيـة – الدرر السنية.

قوله:(فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده) هو كناية عن الولد لكونه بمنزلة خلاصة الخلاصة إذ القلب خلاصة البدن وخلاصته اللطيفة المودعة فيه من كمال الإدراكات والعلوم التي خلق لها وشرف بشرفها، فلشدة شغف هذه اللطيفة بالولد صار كأنه ثمرتها المقصودة منها،وهو ترق بين به وجه عظمة هذا المصاب وعظم الصبر عليه من ذلك، بل ترقي عن مقام الصبر لمقام الحمد.

قوله: (حمدك) أي قال مترقيًا عن مقام الصبر إلى مقام الرضا الحمد لله (واسترجع) أي قال: إنا لله إليه راجعون امتثالًا لقوله تعالى (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) سورة البقرة (156).

*** *** ***

المبحث الخامس

قصص الذين حمدوا الله فى السراء والضراء

هذه القصص لبعض عوام المؤمنين الذين حمدوا الله على عطائه ورضوا بابتلائه فعاشوا سعداء هانئًا بنفس قانعة راضية، بالرغم من تنوع قصصهم واختلافها من فرد لآخر فسنجد في تلك القصص رقيق الحال والمريض ومن يعاني الفقر والديون كما سنجد من أعطاه الله من النعم الكثير فكان حامدا شاكرا، فالجامع بينها هو الرضا والشكر والثناء على الله تعالى.

القصة الأولى: مريض كبير في السن يبكي بعد الشفاء لتقصيره في حمد الله تعالى:

يقول أحد الشباب: أصيب رجل كبير في السن بمرض حبس البول وكان له أولاد فأخذوه الى الطبيب فقـام باتخـاذ اللازم واستطاع إخراج البول المحتبس بداخلة، وقـام أبنـاء الرجـل المسـن بشـكر الطـبيب لانـة أسـطاع شـفاء والـدهم من المرض.

وعندما قام الابناء بذلك التفت الابناء اللى والـدهم المـريض واذا به يبكى بكاء شديدًا فأستغربوا وسالوه لماذا تبكى..؟

فقـال لهم والـدهم أنتم قـد قمتم بشـكر الطـبيب على مساعدتة لى وأنه قد قام بمسـاعدتى بالفعـل مـرة واحـدة. وعلى عكس حالي طوال الثمـانين عامًـا يمن اللـه عليَّ من فضلة ونعمة الـتى وهبهـا لنـا ولم أكن أشـعر بهـا ولا أحسـن ستخدامها ولا أحسن الشـكر والحمـد للـه.فقـالوا جيعهم فى هذه اللحظة الحمد لله الـذى اعطانـا من غـير حـول منـا ولا قوة.

*** *** ***

القصة الثاني: قصة أبي قلابة الذي حمد الله على البلاء:

عن عبـد اللـه بن محمـد قـال: كنت مرابطًـا بعـريش مصـر فمـررت على خيمـة فـإذا أنـا برجـل ذهبت يـداه ورجلاه، وبصـره، وثقـل سـمعه، فسـمعته يقـول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَـكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19]، فقلت: سبحان الله! ما هـذا الـذي يقولـه الرجـل، أعلمٌ علمه؟ والله لآتين هـذا الرجـل، فأتيتـه فقلت: يـا عبـد اللـه! سمعتك تقول كذا وكذا، أي شيء تحمد اللـه عليـه، قـال: يـا عبد الله! لو أرسل الله الجبال فدمرتني، وأرسل إلي البحـر

فأغرقني ما ازددت لربي إلا شكرًا على هذا اللسان الــذاكر، وهذا القلب الشاكر.

ثم قال: إن لي ولـدًا كـان يوضـئني، وكـان يطعمـني ويقـوم على أمـري وقـد افتقدتـه منـذُ ثلاثـة أيـام فـابحث لي عنـه، فقلت: والله ما سعى إنسـان في حاجـة آخـر أفضـل منـك، قــال: وذهبت أبحث عن الولــد، فمــا مضــيت غــير بعيــد إلا ووجدت عظامه بين كثبان من الرمل قد افترسه سبع.

قال: فركبني الغم، وقلت: ماذا أقول للرجــل، وهــو في هــذا البلاء العظيم؟ قال: فجعلت أفكـر مـاذا أقـول لـه، فتـذكرت أيوب عليه السلام قال: فجئت فسلمت عليـه، قـال: ألسـت بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعل ولدي، قلت يا عبـد اللـه! أتعرف أيوب عليه السلام؟ قال: نعم. قلت: ما تعـرف عنـه؟ قال: ابتلاه الله ثمانية عشر عامًا، قلت: فكيف وجده؟ قــال: وجـده صـابرًا، وليس هـذا فحسـب إنمـا ابتلاه بأهلـه وابتلاه بماله، فوجده صابرًا، فقل ماذا تريد؟ قلت: احتسـب ولـدك، فإني وجدت عظامه بين كثبان الرمل، قـال: فشـهق شـهقةً وقال: الحمد لله الذي لم يخلق مني ذريةً إلى النار ومات.

قال: فركبني غم، وقلت: ماذا أفعـل بالرجـل؟ فلا أملـك لـه شيئًا، إن تركته أكلته السباع، فمـر قطـاع طـرق، فوجـدوني أبكي بعـدما سـجيته فقـالوا: مالـك ومـا قصـتك، ومن هـذا الرجـل، فكشـفوا عنـه فـإذا هـو أبـو قلابـة الجـرمي، فقـال أحدهم: بأبي عينٌ طالما غضت عن محارم الله وبأبي جسـمٌ طالما عانا في طاعة الله، قال: فسجيته ودفناه، وذهبت إلى رباطي، فلما نمت رأيته في منامي في أحسـن حالـة، فقلت له: ألست بصاحبي؟ قال: بلى.

قلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة، وقيل لي: سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[117].

*** *** ***

القصة الثالث: فقير يحمد الله تعالى بعد ما رأى مَن هو أفقر منه:

يحكي أن رجلا فقيرا فى العيد رأي الجميع يأكل لحمة ذهب إلى بيته فوجد زوجته قد اعدت "فول نابت" وتقول له: كل عام وأنت بخير!! جلس ليأكل الفول ويلقي قشرة من الشباك ويحدث نفسه في صمت " الجميع اليوم يأكل اللحم! وانا الأن أأكل فول؟! نزل الفقير من منزله ورأي مشهد لم ينساه قط! رجل جلس أسفل شباك بيته يجمع فتات قشر الفول وينظفه و ياكله! ويقول: الحمد لله الذى رزقنى من غير حول منى ولا قوه.!!!فقال الفقير " رضيت يارب.. يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ".

*** *** ***

الفصل الرابع: حقيقة التسبيح وفضائله وفوائده وروحانياته

117- هذا قصة رواها الإمام ابن حبان في كتاب الثقات.

المبحث الأول: حقيقة التسبيح في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم.

المطلب الأول: التسبيح في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التسبيح في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: فضائل التسبيح في القرآن الكريم والسنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل التسبيح في القرآن الكريم.

المحور الأول: بعض الآيات التي بينت كون التسبيح عبادة عظيمة.

المحور الثاني: أصناف المسبحين الله تعالى الذين ذكرهم القرآن.

المطلب الثاني: فضائل التسبيح في السنة المشرفة.

المبحث الثالث: فوائد التسبيح وروحانياته.

المطلب الأول: فوائد التسبيح.

المطلب الثاني: روحانيات التسبيح.

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يستحب فيها التسبيح.

المبحث الخامس: قصص واقعية في أثر الإكثار من التسبيح في تفريج الهموم.

المبحث الأول: حقيقة التسبيح في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم

المطلب الأول: التسبيح في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التسبيح في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التسبيح في اللغة والاصطلاح

أولًا: حقيقة التسبيح في اللغة [118]:

التسبيح لغة: مأخوذ من سَبَحَ بالنَّهْرِ وفيه كمَنَع، يَسْبَح سَبْحًا وسِباحَةً بالكسر: عَامَ في البحر، وفرَّقَ الزَّمَخْشَرِيّ بين

118- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي – مادة سبح.

العَوْمِ والسِّبَاحَةِ فقال: العَوْمُ: الجَرْيُ في الماءِ مع الانغماسِ والسِّـباحَةُ: الجـرْيُ فَوْقَـه من غـير انغمـاسٍ. قلت: وظـاهرُ كلامِهم التَّرادُف. وجاءَ في المَثَل: " خِفَّ تَعُمْ ".

والسَّـبْحُ: الفَـراغُ. وقولـه تعـالى: (إِنَّ لَـكَ فِي النَّهَـارِ سَـبْحًا طَوِيلًا) إنما يعـني بـه فَراغًـا طـويلًا وتَصـرُّفًا. وقـال الفَـرَّاءُ: يقول: لكَ في النّهَار ما تَقْضِي حوائجَك.

والسَّبْحُ: الحَفْرُ. يقال: سَبَحَ اليرْبوعُ في الأَرْضِ إِذا حَفَرَ فيها. والسَّبْح أَيضًا: السُّكُون.

والسَّبْح: الإِكْثَارُ من الكَلامِ.

مصدر سبَّح، وعرَّفه الأزهري بأنه: تنزيه الله سبحانه وتعـالى من السوء، وتبعيدُه منه، من قولـك: سـبَحتُ في الأرض: إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله عز وجل: (وَكُـلٌّ فِي فَلَـكٍ يَسْـبَحُونَ) [يس: 40] [119].

والتسبيح: الجريان، من الآية (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) الأنبياء: 33 أي يَجْرُونَ.

* * * * * * * * *

التسبيح في اصطلاح الشرع[120]:

[119]- تهذيب اللغة – للأزهري - مادة (سَبَحَ).

[120]- مقال: تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكـريم - حمـزة عبداللـه سـعادة شـواهنة – مجلـة البيـان العـدد 388 – ومقـال التسـبيح القـرآني - للشـيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – الألوكة الشرعية.

فقد عُرِّف بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف له أنَّه: تنزيـه اللـه تعالى اعتقادًا وقولًا وعملًا عمَّا لا يليق بجنابه [121].

وقد ورد التسبيح بمعنى تنزيه الله عـز وجـل عن كـلِّ سُـوء، سـواء في القـرآن الكـريم أو الأحـاديث الشـريفة أو آثـار السلـــف الصالح، من ذلك قوله - سبحانـــه وتعالـــى -: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُـبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِـفُونَ) [المؤمنون: 91].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: " سبحان الله ": تنزيه الله عز وجل عن كل سوء.

وعن يزيد بن الأصم قـال: جـاء رجـل إلى ابن عبـاس رضـي الله عنهما فقال: لا إله إلا الله نعرفها: لا إله غـيره، والحمـد لله نعرفها: أن النعم كلها منـه، وهـو المحمـود عليهـا، واللـه أكبر نعرفها: لا شي أكبر منه، فما سبحان الله؟ قـال: كلمـة رضيها الله عز وجـل لنفسـه، وأمـر بهـا ملائكتـه، وفـزع لهـا الأخيار من خلقه. [122]

وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه تعـالى: والأمـر بتسبيحه يقتضي أيضـا تنزيهـه عن كـل عيب وسـوء، وإثبـات صفات الكمال له؛ فـإن التسـبيح يقتضـي التنزيـه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضــي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده [123].

---

[121]- إرشـاد العقـل السـليم إلى مزايـا الكتـاب الكـريم – للعلامـة أبي السـعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى - (8/ 203).
[122]- موقع الإسلام سؤال وجواب – إشراف الشيخ محمد صالح المنجد.
[123]- الفتاوى: 16/125

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: ويراد بالتسبيح جنس ذكـر اللـه تعالى، يقال: فلان يُسبِّح، إذا كان يذكر الله. ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سُمِّيت "السبَّاحة" للإصبع التي يشير بها، وإن كان يشير بها في التوحيد [124].

* * * * * * * * *

وقـال تعـالى: (وَإِن مِّن شَـيْءٍ إِلاَّ يُسَـبِّحُ بِحَمْـدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) الإسراء(44).وأورد ابن الجوزي في (زاد المسير) ثلاثة آراء في تسبيح الجماد:

أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله.

والثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله.

والثالث: دلالته على صانعه.

ومما تجـدر الإشـارة إليـه أن هـذا اللفـظ (التسـبيح) بمعنـاه الشرعي لا يصلح إلا لله تعالى ولا يصـح إطلاقـه على غـيره؛ إذ إن من صفاته عـز وجـل"سـبوح قـدوس" كمـا جـاءت بـه السنة المطهرة.

* * * * * * * * *

المطلب الثاني: التسبيح في القرآن الكريم

لقد جاء التسبيح في القـرآن بمختلـف تصـاريفه وصـيغه في اثـنين وتسـعين موضـعا، -كمـا سـنورد بعضـها في المبحث التـالي -

124- جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق محمـد عزيـر شـمس – (3/292).

وافتُتحت به سبع سور سميت (المسبحات) وهي: الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى،وزاد بعضهم سورة ثامنة، وهي سورة النحل (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، وختمت به أربع سور وهي: الحِجر والطور والواقعة والحاقة.

والفعل «سبح» قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى: وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب: 42]، وقد يتعدى باللام كقوله سَبَّحَ للهِ [الحشر:1]، وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له، وشكره وشكر له[125].

ومن تصاريف التسبيح فعل الماضي (سبح) وفعل المضارع (يسبح) قال بعض أهل العلم: إنما عبر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله هو شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل[126].

*** *** ***

التسبيح اعتقاد وقول وعمل: ودليل ذلك أن الصلاة تسمى تسبيحا، وهي تشمل اعتقاد القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح، قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا). [رواه البخاري: 1177][127].

---

[125]- أضواء البيان: 7/540

[126]- السابق.

[127]- والمراد بسبحة الضحى: صلاة الضحى.وقول عائشة رضي الله عنها:(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا) لا ينفي سنية الضحى بدليل أنها تصليها ومن الأدلة أيضا حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ

وقالت أم هانئ رضي الله عنها: (قَامَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى غُسْلِهِ، فَسَتَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ثُمَّ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَالْتَحَفَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى) [رواه مسلم: 336]. إطلاق التسبيح في القرآن: يطلق التسبيح في القرآن الكريم ويراد به ستة أشياء:

الأول: يطلق على التنزيه مع التعظيم، وهو أكثر ما ورد في القرآن، وهو المراد عند الإطلاق، ومنه قول الله تعالى ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّفات: 159].

الثاني: يطلق على الصلاة: قال الله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130]. يفسرها قول النبي عليه الصلاة والسلام «...إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قرأ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» [رواه البخاري: 573، ومسلم: 633]. وفي رواية مسلم أن قارئها راوي الحديث جرير بن عبدالله الصحابي رضي الله عنه.

الثالث: يطلق على الدعاء، ومنه قول الله تعالى ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ ﴾ [يونس: 10] ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87].

صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى) رواه مسلم (1181).
قال النووي رحمه الله: " وَفِيهِ دَلِيل عَلَى عِظَم فَضْل الضُّحَى وَكَبِير مَوْقِعهَا ، وَأَنَّهَا تَصِحّ رَكْعَتَيْنِ "انتهى من "شرح مسلم للنووي".وقول عائشة أيضا لا ينفي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها بدليل حديث أم هانئ المذكور.

يفسره قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ).[رواه الترمذي: 3505].

الرابع: يطلق على عموم الذكر، ومنه قول الملائكة عليهم السلام ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة: 30].

قال الطبري رحمه الله تعالى: يعني: إنا نعظمك بالحمد لك والشكر، وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة. يقول الرجل منهم: قضيت سبحتي من الذكر والصلاة. وقيل: إن التسبيح صلاة الملائكة.

*** *** ***

الخامس: يطلق التسبيح على عموم العبادة، ومنه قول الله تعالى ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصَّفات: 143-144]. عن وهب بن منبه في معنى مِنَ المُسَبِّحِينَ قال: من العابدين [128].

السادس: يطلق التسبيح على الاستثناء، ومنه قول الله تعالى ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: 17-18].

والمراد به قول: إن شاء الله، لكن دلت الآيات على أنهم كانوا يسبحون مكانها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28].

---

[128]- تفسير عبدالرزاق _(2/103).

قال السدي رحمه الله تعالى: كان استثناؤهم في ذلك الزمان التسبيح فيقولون: سبحان الله، بدل: إن شاء الله، فقوله لولا تسبحون، أي: تستثنون.[129]

وفي القرآن الكريم تسبيح لله تعالى كثير؛ ليرتاض لسان قاري القرآن على تسبيحه تعالى، مواطئا قلبه لسانه في تعظيمه وإجلاله.

وتسبيح الله تعالى جاء في القرآن في سياقات عظيمة، ينبغي لقارئ القرآن أن يفطن لها ويتأملها؛ لينزه الله تعالى ويعظمه ويثني عليه بما هو أهله.

فائدة [130]:

قال بعض أهل العلم: والتسبيح ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجها، ستة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات.

*** *** ***

---

[129]- تفسير ابن أبي حاتم –(10/2366).
[130]- بصائر ذوي التمييز - للفبروزابادي (2/285 وما بعدها).

المبحث الثاني: فضائل التسبيح في القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول: فضائل التسبيح في القرآن الكريم

اعلم أخي القـارئ الكـريم بـارك اللـه فيـك أن المتأمـل في القـرآن الكـريم سـيجده احتفى احتفـاءً بالغًـا ببيـان فضـائل التسبيح [131]، وتلك الآيات مع كثرتها فهي عميقـة في معانيهـا وكل قارئ يفيد منها ويغـترف من بحارهـا ويسـتنير بأنوارهـا بحسـب مـا أوتي من علم وذوق، ولكن لمـا كـان المجـال لا يحتمل التوسع أحببت أن أشـير إلى بعضـها، وذلـك من خلال محورين:

---

[131] **- تكرر ذكر التسبيح في القـرآن الكـريم (94) مـرة، منهـا قولـه تعالى:**

1.(قَـالُواْ سُـبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَـا إِلاَّ مَـا عَلَّمْتَنَـا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقـرة 32).

2. (وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّـهُ وَلَـدًا سُـبْحَانَهُ بَـل لَّهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُـلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) (البقرة 116).

3. (الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّـهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَلَىَ جُنُـوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْـقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـذا بَـاطِلاً سُـبْحَانَكَ فَقِنَـا عَـذَابَ النَّارِ) (آل عمران 191).

4. (يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لاَ تَغْلُـواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُـواْ عَلَى اللّـهِ إِلاَّ الْحَـقِّ إِنَّمَـا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) (النساء 171).

5. (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَـا لَيْسَ لِي بِحَـقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُـهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَمُ مَـا فِي نَفْسِـي وَلاَ أَعْلَمُ مَـا فِي نَفْسِـكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُـوبِ) (المائده 116).

6. (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنعام 100).

7. (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف 143).

8. (وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبه 31).

9. (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِـرُ دَعْـوَاهُمْ أَنِ الْحَمْـدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس10).

10. (قُـلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّــهَ بِمَــا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّــمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُــبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس 18).

11. (قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَـدًا سُـبْحَانَهُ هُـوَ الْغَنِيُّ لَـهُ مَـا فِي السَّـمَاوَات وَمَـا فِي الأَرْضِ) (يونس 68).

12. (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل 1).

13.(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّـهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف 108).

14. (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ) (النحل 57).

15. (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (الإسراء 43).

المحورالأول: بعض الآيات التي بينت كون التسبيح عبادة عظيمة [132]:

1/ يبيِّن الله تعالى أنَّ مِن حِكَم إرسال النبي محمد صلى الله عليه وسلم القيام بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه مع المؤمنين،كما في قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

16. (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً) (الإسراء 93).
17. (وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) (الإسراء 108).
18. (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم 35).
19. (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء22).
20. (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء 87).
21. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (المؤمنون 91).
22. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (النور16).
23. قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (الفرقان 18).
24. (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل).
25. (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم 40).
26. (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص 68).
27. (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) (الروم 17).
28. (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (يس 36).
29. (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس 83).
30. (قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) (سبأ 41).
31. (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الصافات 159).
32. (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الصافات 180).

[132] **- ملخص من مقالين: التسبيح القرآني ومواطن التسبيح في القرآن كلاهما للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – الألوكة**

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفتح: ٨، ٩].

وقد أمر الله تعالى به في الشدائد قال تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) [ق: 39] وآيات أخرى غيرها.

ففي هذه الآية أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار فيه دليل على أن التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به [133].

2/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق إثبات خلقه سبحانه، وأنه لا خالق غيره، وهذا يستوجب تسبيحه شكرا له على نعمه التي أنعم بها على عباده؛ إذ كل ما خلقه وسخره للعباد فهو منه وحده لا شريك له، قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس:36]ـ قال تعالى: ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [الزُّخرف: 13].

ولما ذكر سبحانه الحرث والماء والنار في مقام إثبات قدرته، ومنته على عباده ختم ذلك بقوله تعالى فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ [الواقعة: 74].

*** *** ***

3/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق إثبات حكمة الله تعالى في أفعاله، وتنزيهه سبحانه عن العبث قال

الشرعية.

133- أضواء البيان – للعلامة الشنقيطي – (7/432).

تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـذَا بَـاطِلًا سُـبْحَانَكَ﴾ [آل عمـران:191] وأن أفعاله لا تكـون على أمزجـة خلقـه كمـا دل عليـه الأمـر بالتسبيح في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ يَكُـونَ لَـكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْـرُفٍ أَوْ تَـرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَـزِّلَ عَلَيْنَـا كِتَابًـا نَقْـرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:93].

4/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق إثبـات قـدرة الله تعالى ونفي العجز عنـه سـبحانه، وأن قدرتـه فـوق كـل قدره، وأن العقول مهما كانت لا تحيـط بقدرتـه ولا تـدرك إلا شـيئا قليلا منها قـال تعـالى: ﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:67].

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُـوتُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:83].

ومن قدرته سـبحانه إسـراؤه سـبحانه بنبيه صـلى اللـه عليـه وسلم، وعروجه به إلى السماء في ليلة واحدة، مما لا يطيق عقلٌ تصوَّرَه، لولا أنَّ الله تعالى أخبر به، وقصه علينا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا افتتح الحديث عن حادثة الإسراء بالتسـبيح قـال تعـالى: ﴿سُـبْحَانَ الَّذِي أَسْـرَى بِعَبْـدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْـجِدِ الحَـرَامِ إِلَى المَسْـجِدِ الأَقْصَـى الَّذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء:1].

*** *** ***

5/ جـاء تسـبيح اللـه تعـالى في القـرآن في سـياق إثبـات وحدانية اللـه تعـالى، وتنزيهـه عن افـتراءات المشـركين من زعم الصاحبة والولد والشريك له سبحانه، وهو أكثر مـا جـاء

التسـبيح فيـه في القـرآن الكـريم؛ لأنَّ الشـرك من أعظم الضلال، ومن أشنع ما وصف الله تعالى به وهـو مـنزه عنـه، فاقتضى الحال تنزيهه والثناء عليه قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَدًا سُـبْحَانَهُ بَـل لَّهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُـلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: 116].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لَا تَغْلُـوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَـرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْـهُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُـلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْـرًا لَّكُمْ إِنَّمَـا اللَّهُ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ سُـبْحَانَهُ أَن يَكُـونَ لَـهُ وَلَـدٌ لَّهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُـرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُـوا لَـهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يَصِـفُونَ﴾ [الأنعـام: 100].

وذلك أنه سبحانه وتعالى مسـتغن عن خلقـه، فلا يحتـاج إلى شريك ولا صاحبة ولا ولد، فهو ذو العزة والقوة، قال تعـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66]. وقال تعالى: ﴿سُـبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّفات:180].

/6 جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق: إثبات عدلـه عز وجل، وتنزيهه عن الظلم: ومنه قول يونس عليه السـلام قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:87] فهذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغـير ذنب، يقـول يـونس عليه السلام: أنت مقدس ومـنزه عن ظلمي وعقوبـتي بغـير ذنب؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي.

7/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق إثبات صدق الله تعالى في قوله ووعده، وتنزيهه عن الكذب والإخلاف:
قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:1]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء:108].

8/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق: تنزيهه سبحانه عن نسبة الشر إليه: فالخير بيديه، والشر ليس إليه
قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:16] أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة.

9/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق: ذكر ابتداء اليوم والليلة: لأن الشمس والقمر والليل والنهار آيات دالة على عظمته وقدرته، فاقتضى العلم بها دوام تنزيهه والثناء عليه في كل حال وأوان قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرُّوم:17].

ولا شيء أنفع للعبد، وأقل مؤنة على نفسه من ذكر الله تعالى واستغفاره وحمده وتسبيحه وتهليله؛ ولذا كان ذلك كثيرا في القرآن الكريم؛ ليدوم قارئه على الذكر، وليتعلم الأدب مع الله تعالى.

*** *** ***

10/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن: في سياق إرشاد المؤمنين لتحمُّل أذى المشركين ومواجهتهم: فإن القلوب مع شدة الأذى يصيبها شيء من اليأس والإحباط والخوف والجزع، فكان تسبيح الله تعالى رابطا عليها، مثبتا لها، مقويا لعزمها، مذهبا لجزعها، مزيلا لخوفها، وفيه عزاء لأصحابها،

وتذكير لهم بقدرة الله تعالى على المؤذين، وأنهم مهما بلغوا فهم من خلق الله تعالى، وتحت قدره، وأنهم لن ينالوا من المؤمنين إلا أذى، وأن العاقبة للصابرين المتقين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 97- 98] وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130] وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: 48- 49].

ومن علم أنه بعين الله تعالى وحفظه وتسديده وتوفيقه كثر تسبيحه لله تعالى وتنزيهه والثناء عليه، فأذهب عنه خوفه وجزعه ويأسه وقنوطه.

11/ جاء تسبيح الله تعالى في القرآن في سياق: ذكر الفصل بين العباد يوم القيامة: لبيان حكمة الله تعالى في خلقه حين خلقهم، ولإثبات عدله في الكفار منهم، ورحمته بالمؤمنين، وكل أولئك يستوجب تعظيمه وتسبيحه، ففي آخر سورة الزمر ذكر الفصل بين العباد يوم القيامة، ومصير الكافرين، ومصير المؤمنين، وختم ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75].

وفي آخر الواقعة ذكر عاقبة المقربين، وعاقبة أصحاب اليمين، وعاقبة أصحاب الشمال، وختم ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 95-96].

*** *** ***

المحور الثاني: أصناف المسبحين الله تعالى الذين ذكرهم القرآن [134]:

1- تسبيح الله تعالى نفسه: وهو كثير في القرآن قارب ثلاثين موضعا، ومنه قول الله تعالى (سبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)[الصَّافات: 180].

2- تسبيح الملائكة عليهم السلام: وجاء في نحو عشر آيات، منها قول الله تعالى (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [الأنبياء: 20] (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) [فصِّلت: 38] وقد ذُكر بأن تسبيحهم كالنَفَس لنا لا يشغلهم عن مهماتهم كما لا يشغلنا التنفس عنها[135].

3- تسبيح الرسل عليهم السلام: قال يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: 87]، وقال موسى عليه السلام ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] وعن داود عليه السلام ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116] وأمر سبحانه زكريا عليه السلام بالتسبيح ﴿ وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: 41] فأمر زكريا قومه بالتسبيح كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: 11].

---

[134] - مقتبس من مقال بعنوان: التسبيح القرآني - للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية (بتصرف).

[135] - تفسير الطبري – (18/423).

وأمر سبحانه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتسبيح في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74] وقال محمد عليه الصلاة والسلام وقال تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]. وكان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم، متأولا للقرآن في قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النَّصر: 3].

4- تسبيح المؤمنين: وقد جاء في آيات عدة، منها قوله تعالى (وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) الإسراء: (108). وحكى الله تعالى عنهم (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سورة آل عمران (191).

5- تسبيح الجبال والطير: قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ [الأنبياء: 79]. وقال تعالى: ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور: 41].

6- تسبيح الرعد: قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الرعد: 13].

7- تسبيح كل الموجودات: قال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الحشر: 1] وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]. وهذه الآية تدل على أنه تسبيح حقيقي على كيفية لا يعرفها البشر فلا يفقهون تسبيح هذه

المخلوقات، وقد أخطأ من تأول تسبيحها لمعنى غير التسبيح المعهود في اللغة.

8- تسبيح أهل الجنة: فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10]. فهنيئا لمن أكثر من التسبيح في الدنيا ووجد لذة فيه، وفرحا به، فإنه حري أن يتلذذ بالتسبيح في الجنة كما تلذذ به في الدنيا. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن أهل الجنة يلهمون التسبيح، وأنهم يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا.

*** *** ***

المطلب الثاني: فضائل التسبيح في السنة المشرفة

سبق وأن ذكرنا في الفصل الأول فضائل الباقيات الصالحات و يدخل التسبيح ضمن تلك الفضائل، وما سأذكره هنا هو الأحاديث النبوية التي بينت الفضائل التي قد انفرد

بها التسبيح دون غيره - وقـد يقـرن بالتحميـد - فـأقول ومن اللـه أرجو السداد والقبول:

1- التسبيح سبب في تثقيل الميزان: عن أَبِي هُرَيْـرَةَ رضـي اللـه عنـه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُـبْحَانَ اللـهِ وَبِحَمْـدِهِ، سُـبْحَانَ اللـهِ الْعَظِيمِ) [رواه البخاري: 6406، ومسلم: 2694].

وقَالَ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: (وَسُـبْحَانَ اللـهِ وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [رواه مسلم: 223].

2 – أحب الكلام إلى الله: سبحان اللـه وبحمـده: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي النبي صـلى اللـه عليـه وسلم: (ألا أخبرُك بأحبِّ الكلامِ إلى اللـهِ؟) قلتُ: يـا رسـولَ اللهِ! أخبرني بأحبِّ الكلامِ إلى اللـهِ. فقـال: (إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) [رواه مسلم: 2731].

3- بالتسبيح يُغرَس للعبـد نخلـة في الجنـة: عن جَـابِرٍ رضـي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: (مَنْ قَـالَ: سُـبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْـدِهِ، غُرِسَـتْ لَـهُ نَخْلَـةٌ فِي الجَنَّةِ) [رواه الترمذي، وقال حسن صحيح غريب: 3464، وصححه الحاكم والألباني].

*** *** ***

4- التسبيح سبب في تضـعيف الحسـنات وتكفـير السـيئات: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حَدَّثَنِي أَبِي قَـالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (أَيَعْجِزُ أَحَـدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ:

كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: (يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ) [رواه مسلم: 2698]. وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [رواه مسلم: 223].

وتقدم في التمهيد قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) [رواه مسلم: 2695].

5- تسبيح سماه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذكر المضاعف: عن جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: (مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) [رواه مسلم: 2726].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه؛ فإن قول المسبح: سبحان الله وبحمده عدد خلقه يتضمن إنشاء وإخبارا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان أو هو كائن إلى ما لا نهاية له [136].

*** *** ***

[136]- المنار المنيف – لابن القيم – ص(359).

6- تسبيح يعدل ذكر الله ليلا ونهارا: وهو ما جاء في حديث أَبَي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: (أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ الْحَمْدُ مِثْلَ ذَلِكَ)

[رواه أحمد: 22144، وصححه ابن خزيمة: 754، وابن حبان: 830].

7 – التسبيح يعدل قيام الليل والصدقة ومقاتلة العدو:

عن أبي أمام الباهلي رضي الله عنه عن رَسُولِ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (من هالَه الليلُ أن يكابدَه، أو بخِلَ بالمالِ أن يُنفِقَه، أو جَبُنَ عن العدوِّ أن يقاتلَه، فلْيُكثِر من سبحانَ اللـهِ وبحمدِه؛ فإنها أحبُّ إلى اللـهِ من جبلِ ذهبٍ ينفقُه في سبيل اللهِ عزَّ وجلَّ) قال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره – برقم (1541).

8 – التسبيح سبب في فتح باب من ابواب الرزق: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولُ اللـهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ،آمُرُكَ بِلَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ،فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ) [137].

[137]- رواه الإمام أحمد (6583)، والحاكم (154) وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في " الصحيحة " (134) وصححه أيضا محققو المسند.

* * * * * * * * *

وقولـه: (وَبِهـا يُـرْزَقُ الخَلْـقُ): أي: إنّ التّسـبيح من مفـاتيح الرزق على العباد، وذلك باعتبارين[138]:

الاعتبار الأول: أن التسـبيح تنزيـه اللـه أن يكـون معـه نظـير يخلق معه الخلق أو يرزقهم، قال تعـالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَـلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَـيْءٍ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْـرِكُونَ) سـورة الروم(40)، فالتسبيح شهادة من العبد أنه لا رازق إلا الله، كما أنه لا خالق إلا هو، ولا محيي ولا مميت إلا هو سبحانه، وهذه الشهادة أول مفاتح الرزق.

الاعتبار الثـاني: الحمـد في قولـه: (سـبحان اللـه وبحمـده) ومعلوم أن الحمد والشكر يفتح أبواب الرزق ويزيـد النعمـة، كمـا قـال تعـالى: (وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ) سورة إبراهيم(7).

9 – التسبيح هو ذكـر الملائكـة: روى مسـلم في صـحيحه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسـلَّمَ سُـئِلَ: أيُّ الكلامِ أفضـلُ؟ قـال (مـا اصـطفى اللـهُ لملائكتـه أو لعبـادِه: سـبحان اللـهِ وبحمدِه).

* * * * * * * * *

10- التسبيح فيه معنى التعظيم للـه تعـالى: عن عبداللـه بن عباس رضي الله عنهما بعثني العباسُ إلى رسولِ اللهِ صـلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأتيتُه مُمسـيًا وهـو في بيتِ خـالَتي ميمونـةَ

[138]- موقع الإسلام سؤال وجواب.

قال فقام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يصلي من الليلِ فلما صلَّى الركعتَين قبل الفجرِ قال:

(اللهم إني أسألُكَ رحمةً من عندِك تَهْدِي بها قلبي، وتَجْمَعُ بها أمري، وتَلُمُّ بها شَعْثِي، وتُصْلِحُ بها غائِبي، وتَرْفَعُ بها شاهِدِي، وتُزَكِّي بها عملي، وتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي، وتَرُدُّ بها أُلْفَتِي، وتَعْصِمُنِي بها من كلِّ سُوءٍ.

اللهم أَعْطِنِي إيمانًا ويقينًا ليس بعده كُفْرٌ، ورحمةً أنالُ بها شرفَ كرامتِك في الدنيا والآخرةِ.

اللهم إني أسألُكَ الفوزَ في القضاءِ،ونُزُلَ الشهداءِ، وعَيْشَ السعداءِ، والنصرَ على الأعداءِ.

اللهم إني أُنْزِلُ بكَ حاجتي، فإن قَصُرَ رَأْيِي وضَعُفَ عملي افتقرتُ إلى رحمتِك؛ فأسألُكَ يا قاضِيَ الأمورِ، ويا شافِيَ الصدورِ كما تُجِيرُ بين البحورِ أن تُجِيرَني من عذابِ السعيرِ، ومن دَعْوَةِ الثُّبُورِ، ومن فتنةِ القبورِ.

اللهم ما قَصُرَ عنه رَأْيِي ولم تَبْلُغْه نِيَّتِي، ولم تَبْلُغْه مسألتي من خيرٍ وَعَدْتَهُ أحدًا من خَلْقِكَ أو خيرٍ أنت مُعْطِيهِ أحدًا من عبادِك؛ فإني أرْغَبُ إليكَ فيه، وأسألُكَ برحمتِك يا ربَّ العالمينَ.

اللهم يا ذا الحَبْلِ الشديدِ والأمرِ الرشيدِ، أسألُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ، والجنةَ يومَ الخلودِ،مع المُقَرَّبِينَ الشُّهودِ، الرُّكَّعِ السجودِ، المُوفِينَ بالعهودِ؛ إنك رحيمٌ وَدُودٌ، وإنك تفعلُ ما تريدُ.

اللهم اجعلْنا هادِينَ مُهْتَـدِينَ، غـيرَ ضـالِّينَ ولا مُضِـلِّينَ، سِـلْمًا لأوليائِكَ، وعَـــدُوًّا لأعـــدائِك، نُحِبُّ بحبِّكَ مَن أَحَبَّكَ، ونُعَـــادِي بعَدَاوتِكَ مَن خالفك.

اللهم هذا الدعاءُ وعليك الإجابةُ، وهذا الجُهْدُ، وعليك التُّكْلَانُ.

اللهم اجعل لي نورًا في قلـبي، ونـورًا في قـبري، ونـورًا بين يَدَيَّ، ونورًا من خلفي، ونورًا عن يميني، ونـورًا عن شـمالي، ونورًا من فوقي، ونورًامن تحـتي، ونـورًا في سـمعي، ونـورًا في بصري، ونورًا في شَـعْرِي، ونـورًا في بَشَـرِي، ونـورًا في لحمي، ونورًا في دَمِي، ونـورًا في عِظـامي، اللهم أَعْظِمْ لي نورًا، وأَعْطِنِي نورًا، واجعل لي نورًا.

سـبحانَ الـذي تَعَطَّفَ بـالعِزِّ وقـال بـه، سـبحانَ الـذي لَبِسَ المَجْـدَ وتَكـرَّمَ بـه،سـبحانَ الـذي لا ينبغي التسـبيحُ إلا لـه، سبحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ، سـبحانَ ذي المَجْـدِ، سـبحانَ ذي الجلالِ والإكرامِ)[139].

---

[139]- أخرجه الترمذي (3419)، والبزار (5233)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (3/209). وجـاء في موقـع الإسـلام سـؤال وجـواب: السـؤال مـا حكم هـذا الوصف لله: " سبحان الذي تعطف العزّ وقال به، سـبحان الـذي لبس المجـد وتكرم به "؟

الجواب هذا الدعاء قطعة من حديث رواه الترمذي (3703)، وابن خزيمة في "صحيحه" (1119)،وفيه: سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ العِـزَّ وَقَـالَ بِـهِ، سُـبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْمَجْـدَ وَتَكَـرَّمَ بِـهِ، سُـبْحَانَ الَّذِي لاَ يَنْبَغِي التَّسْـبِيحُ إِلاَّ لَـهُ، سُـبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

وقد قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه "، ونقله العراقي في "تخريج الإحيـاء" (3/ـ 778)، وقـال البخـاري في "التاريخ الكبير" (6/ـ 402): "حديث طويل منكر".وضـعفه "الألبـاني" في "ضــعيف ســنن الترمــذي" (445)، و"الأرنــاؤوط" في تعليقــه على "جــامع الأصول" (4/ 214). ومع ضعفه إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون معناه صحيحا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه اللـه: (ضـعف إسـناد الحـديث: لا يمنـع أن يكون متنه ومعناه حقًّا ". انتهى من "بيـان تلـبيس الجهميـة" (7/356). وهـذا الوصف المذكور، معناه: اختصاص اللـه تعـالى بـالعز، وحكم اللـه تعـالى على نفسـه بـالعز والكبريـاء، فلا يسـتطيع أحـدٌ أن يـرد حكمـه، فاللـه هـو العزيـز

*** *** ***

والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: (سبحانَ الذي تَعَطَّفَ بالعِزِّ وقال به، سبحانَ الذي لَبِسَ المَجْدَ وتَكَرَّمَ به، سبحانَ الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا له، سبحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ، سبحانَ ذي المَجْدِ، سبحانَ ذي الجلالِ والإكرامِ).

ولكن سردته بطوله لحاجتنا إلى ما فيه من الدعاء في هذه الأيام التي كثرت فيها المصائب والفتن والمحن عافانا الله وإياك وجميع المسلمين.

شرح محل الشاهد[140]:

قوله (تَعَطَّفَ الْعِزَّ) قَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النِّهَايَةِ أَيِ التَّرَدِّي بِالْعِزِّ الْعِطَافُ وَالْمِعْطَفُ الرِّدَاءُ وَقَدْ تَعَطَّفَ بِهِ وَاعْتَطَفَ وَتَعَطَّفَهُ وَاعْتَطَفَهُ وَسُمِّيَ عِطَافًا لِوُقُوعِهِ عَلَى عِطْفَيِ الرَّجُلِ وَهُمَا نَاحِيَتَا عُنُقِهِ وَالتَّعَطُّفُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مَجَازٌ يُرَادُ بِهِ الِاتِّصَافُ كَأَنَّ الْعِزَّ شَمَلَهُ شُمُولَ الرِّدَاءِ).

قوله (وَقَالَ بِهِ) أَيْ أَحَبَّهُ وَاخْتَصَّهُ لِنَفْسِهِ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ يَقُولُ بِفُلَانٍ أَيْ بِمَحَبَّتِهِ واختصاصهد وَقِيلَ مَعْنَاهُ حَكَمَ بِهِ فَإِنَّ الْقَوْلَ يُسْتَعْمَلُ مَعْنَى الْحُكْمِ.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سُبْحَانَ منْ تَرَدَّى بالعِزِّ، والعطاف: الردَاء، وَالْمرَاد مِنْهُ بهاء الله وجلاله وجماله. وَالْعرب تضع الرِّدَاء مَوضِع الْبَهْجَة وَالْحسن، وتضعه مَوضِع النعْمة والبهاء.

الحكيم.انظر: "التحبير لإيضاح معاني التيسير- للأمير الصنعاني: (4/ـ 211)، و"تحفة الأحوذي" (9/ 262).

140- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي – المباركفوري – (موقع جامع السنة وشروحها وموقع الإسلام سؤال وجواب).

وسـمّي الـرِّدَاء عِطافًـا لوُقُوعـه على عِطْفَيِ الرجُـل وهمـا ناحيتا عُنُقه. فَهَذَا معنى تعطّفِه العِزَّ". انتهى.

قَوْلُهُ (لَبِسَ الْمَجْدَ) أَيِ ارْتَدَى بِالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَتَكَـرَّمَ بِـهِ أَيْ تَفَضَّـلَ وَأَنْعَمَ عَلَى عِبَـادِهِ لَا يَنْبَغِي التَّسْـبِيحُ إِلَّا لَـهُ أَيْ لَا يَنْبَغِي التَّنْزِيـهُ الْمُطْلَـقُ إِلَّا لِجَلَالِـهِ تَقَـدَّسَ ذِي الْفَضْـلِ أَيِ الزِّيَادَةِ فِي الْخَيْرِ وَالنِّعَمِ جَمْعُ نِعْمَـةٍ بِمَعْنَى إِنْعَـامٍ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْـرَامِ أَيِ الَّذِي يُجِلُّهُ الْمُوَحِّدُونَ عَنِ التَّشْـبِيهِ بِخَلْقِـهِ وَعَنْ أَفْعَالِهِمْ أَوِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَا أَجَلَّكَ وَمَا أَكْرَمَكَ.

*** *** ***

المبحث الثالث: فوائد التسبيح وروحانياته

المطلب الأول: فوائد التسبيح.

المطلب الثاني: روحانيات التسبيح.

المطلب الأول: فوائد التسبيح

إن المتأمل في الآيات التي ورد فيها التسبيح في كتاب الله عز وجل يعلم - بلا ريب - مدى عظم هذه العبادة الجليلة، وعظم فوائدها التي تعود على العبد المؤمن في الدنيا والآخرة، ونذكر فيما يأتي بعض هذه الفوائد[141]:

أولًا: التسبيح من أعظم العبادات وأجل القربات إلى الله عز وجل:

فهو عبادة الملائكة المكرمين؛ بل هو عبادة المخلوقات جميعًا، (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء: ٤٤] [142].

141- التسبيح – موقع التفسير الموضوعي – بتصرف.

142- قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: قال بعض السلف: إن صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى: (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**)، وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة أول سورة الحج، وقال آخرون إنما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان أو نبات، وقال قتادة في قوله (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**) قال: كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه، وقال الحسن، والضحاك في قوله: (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**) قالا: كل شيء فيه الروح.

ولقد ذكر الله عز وجل أنه أرسل رسوله ليقوم الناس بالإيمان، وليقوموا بتسبيح الله عز وجل، قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفتح: ٨ - ٩].

وبهذا فإن العبد المؤمن يجتهد في تسبيح ربه عز وجل؛ في الليل والنهار، وفي السر والعلن، في الشدة والرخاء، مبتغيًا رضا الرحمن، مقتديًا بالملائكة الأطهار، راجيًا الأجر الجزيل والثواب العظيم من الله رب العالمين، سبحانه وتعالى.(وقد سبق هذا المعنى قريبًا).

*** *** ***

ثانيًا: الفوز بثناء الله عز وجل:

إذ إن الله عز وجل قد أثنى في كتابه العزيز على عباده المسبحين، فقال سبحانه: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [النور: ٣٦ - ٣٨].

قال السعدي رحمه الله: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ) وهي المساجد. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة فقال: (يُسَبِّحُ لَهُ) إخلاصا (بِالْغُدُوِّ) أول النهار (وَالْآصَالِ) آخره خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته، ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء،

(رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) أي: يسبح فيها الله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على (ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه.

*** *** ***

ثالثًا: التسبيح عون على الصبر، وسبب لزوال الكرب وضيق الصدر:

ولهذا أمر الله عز وجل به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في كثير من المواضع في القرآن الكريم؛ ليكون له فيه العون على الصبر، والفرج من الكرب، من ذلك قوله تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) [طه: ١٣٠].

لاحظ كيف استوعب التسبيح سائر اليوم، قبل الشروق وقبل الغروب وآناء الليل وأول النهار وآخره،ماذا بقي من اليوم لم تشمله هذه الآية بالحثّ على التسبيح؟ والرضا في هذه الآية عام في الدنيا والآخرة [143].

[143]- قال الرازي: قوله تعالى: (لعلك ترضى) ففيه وجوه:
أحدها: أن هذا كما يقول الملك الكبير: يا فلان اشتغل بالخدمة فلعلك تنتفع به، ويكون المراد إني أوصلك إلى درجة عالية في النعمة، وهو إشارة إلى قوله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى: 5] وقوله: (عسى أن

وقوله عز وجل: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

فانظر كيف أرشدت هذه الآية العظيمة إلى الدواء الذي يُستشفى به من ضيق الصدر والترياق الذي تستطبّ به النفوس.

ولقد نجَّى الله عز وجل نبيه يونس عليه السلام من الظلمات بسبب تسبيحه، قال تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

رابعًا: التسبيح من أعظم ما يشكر به العبد ربه عز وجل على عطاياه التي لا تعد ولا تحصى:

قال تعالى: (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) [الزخرف: ١٣].

قال السعدي رحمه الله تعالى: أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها ويسر أسبابها.والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما سبق ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

يبعثك ربك مقاما محمودا) [الإسراء: 76].
وثانيها: لعلك ترضى ما تنال من الثواب.
وثالثها: لعلك ترضى ما تنال من الشفاعة. وقرأ الكسائي وعاصم: لعلك ترضى بضم التاء، والمعنى لا يختلف لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضيه وإذا رضيه فقد أرضاه.

*** *** ***

المطلب الثاني: روحانيات التسبيح

لو تتبعنا روحانيات التسبيح من آيات التسبيح الواردة في القرآن الكريم لاحتجنا إلى كتاب كامل ولكن سأعطي هنا نموذجا من آية واحدة في هذا المطلب، وهي قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سورة آل عمران (191).

فمن روحانيات التسبيح: قول (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض [144]: كما قال تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

[144]- التفكر في السماوات والأرض له ثلاث درجات بعضها أعلى من بعض، **أدناها** أن ننظر إلى السماء وما فيها من نجوم وكواكب وشمس وقمر وأبراج وما فيها من نظام بديع محكم، وهذه هي النظرة العامة التي تكون لذوي الألباب وغيرهم؛ لأن هذه النظرة أساس الحس وإشراق المحسوس.
والمرتبة الثانية: التفكر في خلقها وأسرار وجودها ونواميسها وقوانينها، وهذا ما يفكر فيه علماء الكونيات الذين يعرفون ما اشتمل عليه الكون من قوى وما أودعها الخالق من أجرام وقوانين لسيرها.
المرتبة الثالثة: وهي أعلاها، وهي النظرة التي تتجه إلى الخالق من وراء المخلوق، فيتدبر الكون وما فيه ليدرك عظمة المبدع، فيتعرف من جمال الصنعة على جلال الصانع، وهذا النوع هو المذكور في هذه الآية وهو أعلى

هَٰذَا) الذي نراه من العوالم السماوية، والأرضـية (بَـاطِلًا) ولا أبدعتـه، وأتقنتـه عبثـا، (سُـبْحَانَكَ) وتنزيهـا لـك عن الباطـل، والعبث بل كل خلقـك حـق مؤيـد بـالحكم، فهـو لا يبطـل ولا يزول، وإن عرض له التحول والتحليـل والأفـول، ونحن بعض خلقك لم نخلق عبثا، ولا يكون وجودنـا من كـل وجـه بـاطلا، فإن فنيت أجسـادنا، وتفـرقت أجزاؤنـا بعـد مفارقـة أرواحنـا لأبـداننا، فإنمـا يهلـك منـا كوننـا الفاسـد، ووجهنـا الممكن الحادث، ويبقى وجهك الكريم، ومتعلق علمك القديم [145].

ومن روحانيات التسبيح: أيضا قول المؤمنين (سـبحانك) عنـد التفكر في خلق السموات والأرض:

هذا إقرار بعجـز العقـول عن الإحاطـة بآثـار حكمـة اللـه في خلـق السـماوات والأرض، يعـني: أن الخلـق إذا تفكـروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر، وهـو أن خالقهـا مـا خلقهـا بـاطلا، بـل خلقهـا لحِكَمٍ عجيبـةٍ، وأسـرارٍ عظيمةٍ، وإن كانت العقول قاصرةً عن معرفتهـا. والمقصـود منه تعليم الله عباده كيفية الدعاء، وذلك أن من أراد الـدعاء فلا بد وأن يقدم الثناء، ثم يـذكر بعـده الـدعاء كمـا في هـذه الآية [146].

* * *   * * *   * * *

ومن روحانيات التسبيح: أيضًا قول المؤمنين (سبحانك) عنـد التفكر في خلق السموات والأرض:

مراتب العبادة. (زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة).

145- **تفسير المنار.**

146- تفسير الرازي.

لما تفكروا في مخلوقاته سبحانه، ولا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والأرض، وما عليها من البحار والجبال والمعادن، عرفوا أن لها ربا وصانعا فقالوا: ربنا ثم لما اعترفوا في أن في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا تحيط بتفاصيلها الأفكار قالوا: ما خلقت هذا باطلا ثم لما تأملوا وقاسوا أحوال هذه المصنوعات إلى صانعها رأوا أنه لا بد وأن يكون الصانع منزها عن مشابهة شيء منها، فإذن هو ليس بجسم ولا عرض ولا في حيز ولا بمفتقر (ولا ولا...) فقالوا: سبحانك أي تنزيها لك مما لا يليق بك. ثم لما استغرقوا في بحار العظمة والجلال وبلغوا هذا المبلغ الأعظم وتحققوا أن من قدر على ما ذكر من الإنشاء بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتحيه واتصف بالقدرة الشاملة والحكمة الكاملة كان على إعادة من نطقت الكتب السماوية بإعادته أقدر.

وإن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم القلبية والقالبية طلبوا النجاة مما يحيق بالمقصرين ويليق بالمخلين فقالوا: فقنا عذاب النار [147].

ومن روحانيات التسبيح: أيضا قول المؤمنين (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض:

التفكر يجعل القلب يخضع واللسان يخشع فينطق مستشعرا عظمة الله قائلا: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تلك الضراعة التي بدت على الألسنة هي أولى ثمرات التفكر، لقد وصلوا بتفكرهم إلى إدراك ربهم فقالوا (ربنا) ونادوه- سبحانه- بذلك النداء الخاضع الضارع الشاكر لنعمائه، وقد وصلوا بتفكيرهم وتدبرهم إلى أن هذا الكون لا

147- تفسير الآلوسي.

يمكن أن يخلــق بــاطلا، أي: لا يكــون لغــير غايــة، ولا لغــير حكمــة، فمعــنى البطلان هنــا العبث وعــدم الغايــة وإنهم ليعلمون أن ذلك مستحيل على الله تعالى، ولذا أردفـوا هـذا بقولهم: سبحانك، أي: تنزهت ذاتك وتقدست، وبذلك ارتفعوا إلى مقــام التقــديس وهــو كمــال العبوديــة والألوهيــة، ثم اعترتهم وقد وصلوا إلى هذا النوع من العلم خشية العلمــاء، مصداقًا لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر:28].

ولـذلك غلب عليهم الخـوف من عـذاب اللـه تعـالى فقـالوا مرتبين على تفكرهم ما أدى إليـه: (فَقِنَـا عَـذَابَ النَّارِ)فهـذه ضراعة إلى الله تعـالى أن يقيهم عـذاب النـار، والوقايـة من عذاب النار تكون بأمرين: أولهمـا - أن يـوفقهم لتجنب مـا لا يرضيه، والثاني - أن يغفر لهم ما أفرطوا في جنبـه سـبحانه وتعالى.

وقد كان ترتيب الخـوف على التفكـر لـه موضـعه؛ لأن نهايـة التفكــر هــو الخــوف، إذ ينتهي إلى أعلى درجــات الشــعور بالمهابة لله تعـالى، وهـو يجعـل المـؤمن يستصـغر حسـناته، ويستكثر سـيئاته، وإن الصـوفية الحـق يبـالغون في التفكـر، حـتى إنهم يفضــلونه على صــلوات النفــل فهــو من أفضــل مقامات العبودية.

*** *** ***

ومن روحانيات معرفـة (سـبحان ربي العظيم) أن تسـتحضـر أن من معاني العظيم:

أنه هو الـذي يعظِّمـه خلقُـه ويهابونـه ويتقونـه، فلـه سـبحانه وتعالى صفة العظمـة في كـل شـيء، فهـو عظيم في ذاتـه،

عظيم في أفعاله، عظيم في صفاته وكل كائن دونه سبحانه وتعالى فصغير، فلو ملأت قلبك بهذه المعاني فإنها تحفظك أن تخاف مما سواه سبحانه، ولِمَ تخاف وليس في الكون عظيم غيره؟ فلا يعظم أحد مثله فهو وحده ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه.

ومن روحانيات هذا التسبيح: أن فيه إعلان الخضوع لله بكل معانيه؛ بوضع الجبهة والوجه (أشرف ما لدى الإنسان) على الأرض، وكذلك استحضار تنزيه الله عز وجل عن السفول، وأنه سبحانه عليٌّ فوق مخلوقاته، ومنزه عن الوساوس التي يوحيها الشيطان بأن الله حلَّ في الأشياء سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، مع اعتقاد أنه أقرب للعبد من كل شيء، فهو سبحانه عليٌّ في دنوِّه، قريب في علوِّه، ولهذا شرع التسبيح في كل منخفض، كما شرع التكبير على كل مرتفع.

ومن روحانياته: ما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى: " إذا ذل العبد لربه بالركوع والسجود، وصف ربه بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو، فكأنه يقول: الذل والتواضع وصفي، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك، فلهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول: "سبحان ربي العظيم"، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى".

وكان صلى الله عليه وسلم أحيانا يقول في ركوعه وسجوده: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة "[148]؛ انتهى.

148- الخشوع في الصلاة - للشيخ وهف القحطاني - (ص41-43) والمُجلِّي عن روحانيات المصلِّي – الفصل التاسع.– بتصرف.

ومن روحانيات معرفة (العظيم): أن تستحضر ما قاله الأصفهاني: "العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظِّم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس مَن يعظَّم لماله، ومنهم من يعظم لفضله وجميل صفاته، ومنهم مَن يعظَّم لعلمه وذكائه،ومنهم مَن يعظم لسلطانه، ومنهم من يعظم لجاهه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى؛ أما الله عز وجل فيعظم في الأحوال كلها".

*** *** ***

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يستحب فيها التسبيح

ورد في السـنة النبويـة الحث على التسـبيح في أوقـات مخصوصة [149]:

1/ التسبيح خلال اليوم مائة مرة: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: (مَنْ قَـالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)؛ [رواه البخاري: 6405، ومسلم: 2691]

2/ التسبيح في أذكار الصباح والمساء سبحان الله وبحمـده: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صـلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَـأْتِ أَحَـدٌ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، بِأَفْضَـلَ مِمَّا جَـاءَ بِـهِ، إِلَّا أَحَـدٌ قَـالَ مِثْـلَ مَـا قَـالَ أَوْ زَادَ عَلَيْـهِ)؛ [رواه مسلم: 2692].

3/ التسبيح عند استفتاح الصلاة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ إِذَا اسْـتَفْتَحَ الصَّـلَاةَ، قَـالَ: (سُـبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ) رواه أبـو داود والترمذي وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في " صحيح الجامع ".

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَـا نَحْنُ نُصَـلِّي مَـعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ إِذْ قَـالَ رَجُـلٌ مِنَ الْقَـوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: (مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَـةَ كَذَا وَكَذَا؟) قَالَ رَجُلٌ مِنِ الْقَـوْمِ: أَنَـا، يَـا رَسُـولَ اللـهِ قَـالَ: (عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّـمَاءِ) قَـالَ ابْنُ عُمَـرَ: (فَمَـا

[149]- ملخص من كتاب (17) فضيلة من فضائل سبحان اللـه العظيم وبحمـده – موقـع صـيد الفوائـد – ومقـال: صـيغ التسـبيح - الشـيخ د. إبـراهيم بن محمـد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف.

تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ)؛ [رواه مسلم: 601].

4/ التسبيح في الركوع والسجود: وفيه روايات متعددة:

- من الصيغ التي جاءت في الركوع والسجود ما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) [رواه البخاري: 794، ومسلم: 484].
- سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ في الركوع والسجود: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) [رواه مسلم: 485].
- سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ يقال في قيام الليل في الركوع والسجود: ورد في الركوع أيضا حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل قال في ركوعه: (سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ) [رواه أبو داود: 873].
- سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ يقال في الركوع والسجود: كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) [رواه مسلم: 487].
ومعناه: مسبح مقدس رب الملائكة والروح.

5/ التسبيح من أذكار صلاة الْوِتْرِ قول سبحان الملك القدوس: عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا سَلَّمَ فِي الْوِتْرِ، قَالَ: (سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) [رواه أبو داود: 1430]. وفي حديث عبدالرحمن بن أبزى (يقولها ثلاثا) [رواه أحمد: 15354].

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان يقولها عشرا قبل شروعه في صلاة الليل). [رواه أبو داود: 5085].

*** *** ***

6/ التسبيح عند القيام من المجلس: لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من قال: "سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك". فقالها في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له) قال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره – برقم (1519).

7/ التسبيح عند ختام العمر بقول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه: عن عائشة رضي الله عنها قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. قالت فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي. فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتها. إذا جاء نصر الله والفتح. فتح مكة. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) رواه مسلم.

تبين من هذا أنها صيغة مأمور بها في القرآن في عدد من الآيات ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: 58]، وهو تسبيح الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30]، وأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يختم حياته بالإكثار منها، فيا لها من صيغة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النَّصر: 3].

8/ التسبيح عند رؤية مـا يتعجب منـه: وردت في ذلـك عـددا من الأحاديث النبوية [150]:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صـلى الله عليه وسـلم لَقِيَـهُ فِي بَعْضِ طَرِيـقِ المَدِينَـةِ وَهُـوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ. فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَـالَ: (أَيْنَ كُنْتَ يَـا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَـرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَـكَ وَأَنَـا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ المُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ).

وروى مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟) قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَـا كُنْتَ مُعَـاقِبِي بِـهِ فِي الْآخِـرَةِ، فَعَجِّلْـهُ لِي فِي الـدُّنْيَا. فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (سُبْحَانَ اللهِ! لَا تُطِيقُـهُ - أَوْ لَا تَسْـتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَـا فِي الـدُّنْيَا حَسَـنَةً وَفِي الْآخِـرَةِ حَسَـنَةً، وَقِنَـا عَـذَابَ النَّارِ). قَـالَ: فَـدَعَا اللـهَ لَـهُ، فَشَفَاهُ".

وتعلَّم الصحابة هذه السُّنَّة فكانوا يُسَبِّحون اللهَ إذا رأوا شـيئًا عجيبًا؛ فقـد روى البخـاري عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رضـي اللـه عنـه، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَـرَةً إِذْ رَكِبَهَـا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ)، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ. فَقَالَ: (فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ). وَمَا هُمَا ثَمَّ، (وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَـدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَـاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْـتَنْقَذَهَا مِنْـهُ،

---

[150]- نقلا عن مقـال: سُـنَّة التسـبيح عنـد التعجب – دكتـور راغب السـرجاني – موقع طريق الإسلام.

فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي)، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ. قَالَ: (فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ). وَمَا هُمَا ثَمَّ.

9/ التسبيح عند قراءة الآيات التي ورد فيها ذكر التسبيح: كقول الله تعالى: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) [الواقعة: 74]، فيقول القارئ لها: سبحان ربي العظيم، وقوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) [الأعلى: 1]، فيقول القارئ لها: سبحان ربي الأعلى.

وقوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) [غافر:7].

وقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [الإسراء:44]، ونحوها.ودليل ذلك ما ورد عن حذيفة رضي الله عنه في وصف قيام النبي عليه الصلاة والسلام وقد صلى معه، قال: (يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) (رواه مسلم:772).

والوقوف عند آيات التسبيح والسؤال والتعوذ للامتثال مما يجعل المؤمن من الذاكرين، فيبتعد عن النفاق، فليحرص عليه قارئ القرآن [151].

151- قال ابن عثيمين رحمه الله: لأن ذلك أحضر للقلب وأبلغ في التدبر، وصلاة الليل يسن فيها التطويل، وكثرة القراءة والركوع والسجود، وما أشبه ذلك، وأما في صلاة الفرض فليس بسنة وإن كان جائزًا.. الدليل على هذا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي في كل يوم وليلة ثلاث صلوات، كلها جهر فيها بالقراءة، ويقرأ آيات فيها وعيد وآيات فيها رحمة، ولم ينقل الصحابة الذين نقلوا صفة صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ذلك في الفرض، ولو كان سنة لفعله ولو فعله لنقل، فلما لم ينقل علمنا أنه لم يفعله، ولما لم يفعله علمنا أنه ليس بسنة، والصحابة رضي الله عنهم حريصون على تتبع حركات النبي صلى الله عليه وسلم وسكناته حتى إنهم

*** *** ***

المبحث الخامس: قصص واقعية في أثر الإكثار من التسبيح في تفريج الهموم

القصة الأولى: فتاة تحكي تفريج همهما بسبب الإكثار من التسبيح:

تقول هذه الفتاة: بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. أحكي لكم ما حصل معي في رمضان كنت أصلي التراويح في العشر الاواخر في المسجد فقرأ الإمام قول الله تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) طه (130).

فاستوقفني قوله " لعلك ترضى " كأني لأول مرة أسمعها.. فقلت في نفسي قرأت قديما أن (لعلَّ) من الله واجبة اوجبها على نفسه تكرُّما منه على عباده، إذن إن طبقت مافي الآية سيرضيني حتما.. وبعد الفراغ من الصلاة جلست اتأمل الآية فقلت هذه أوقات ذكرها الله تعالى أسبح فيها بحمده " سبحان الله وبحمده ".. وأنا معتادة أن أقول " سبحان الله وبحمده 100 مرة في وقتين، بعد الفجر وبعد العصر، لعلي أدخل في قول النبي عليه الصلاة والسلام: (

كانوا يستدلون على قراءته في السرية باضطراب لحيته، ولما سكت بين التكبير والقراءة سأله أبو هريرة ماذا يقول؟ ولو كان يسكت عند آية الوعيد من أجل أن يتعوذ، أو آية الرحمة من أجل أن يسأل لنقلوا ذلك بلا شك" (الشرح الممتع:289/3-290). نقلا عن مقال مسائل في الدعاء القرآني - (9) المرور بآيات التسبيح والسؤال والتعوذ - إبراهيم بن محمد الحقيل - موقع طيق الإسلام.

من قال، حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد، يوم القيامة، بأفضل مما جاء به. إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه) رواه مسلم 0

بقي: - أناء الليل وأطراف النهار.فقلت الان بعد الصلاة سأسبحه تعالى 100 مرة ثم اتفرغ لقراءة القران وأطراف النهار سأحرص على تسبيحه بعد طلوع الشمس ووقت الظهيرة.

وقد كانت لي معاملة متعطلة في احد الدوائر الحكومية منذ أكثر من سنة ونصف.. وفقدت الامل فيها.. ولكن سبحان الذي أهلمني كانت حاجتي اليها في شوال اشد.. ولم تخطر المعاملة ببالي وقت تطبيق الاية.. لأني كما أسلفت فقدت الامل في إنجازها.. وكل الذي في بالي قول الله تعالى: "لعلك ترضى".

كان الوقت ليلا بعد التراويح سبحت الله وبعد الفجر وطلوع الشمس والظهيرة وعند الساعة الثانية والنصف ظهرا جاءني أحد محارمي ليبشرني بإنجاز المعاملة في عشر دقائق وبصورة غير متوقعة حيث لم يحصل لاحد مثلها من قبل!!! فخررت لله ساجدة مسبحة شاكرة.. وشعرت بالندم على تقصيري في حق كتاب الله تعالى تلاوة وحفظا وتدبرا.. والحمد لله رب العالمين..

*** *** ***

القصة الثانية: شاب يحكي قصة شفائه من السحر ببركة الإكثار من التسبيح:

يقول هذا الشاب: كنت في بدايه التسعينات تعرضت الي خمسة من الأسحار من فتاة كنت أعرفها هي ووالدتها الساحره والمشعوذه..فلم أكن اعرف ما هو السحر ولا اعرف ما اعراضه وما هي سلبياته..ولم اكن اعرف أنه يسبب الكثير من المشاكل مع من حولك ويصبح عندي فتور بالعباده ونفور من كل الناس وتبقي الفتاة الساحره وحدها في عقلك وروحك وجسدك..فبقيت 4 سنوات من المعاناه وتحصل معي أشياء غريبه جدا...أنتبهت وبدأت ابحث..وألجأ الي المسجد والجلوس بعد الصلاة لسماع الدروس..وكان هناك درس يركز علي ذكر الله..وهو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم...لأنهما...كلمتان خفيفتان علي اللسان وثقيلتان في الميزان وحبيبتان الي الرحمن ... فمن هنا بدأت ونويت أن أتخلص من العارض الذين عندي، وخلال ذلك كانت ما تزال علاقتي مع هؤلاء الجيران الفتاة وأمها الساحرة، ولجأت إلى ذلك الذكر، أخذت أذكره في كل خطوة، وفي كل مكان، وفي جميع الأوقات، لا أكتفي بالمئات بل بالآلاف.

وكنت كلما ذكرت ذلك الذكر أتألَّم قليلًا، ولكن بدأت علاقتي تتراجع مع تلك الفتاة وأمها، ومع الأيام، أصبت بحاله حزن ووحدة، ورغبة قوية للجلوس بين يدي الله في قيام الليل، وأخذت أقيم الليل وأبكي وأستعين بالله ليخلصني مما أنا فيه..

وبعد شهر ونصف من بدايتي في الألتزام بالذكر، وبفضل الله وقيام الليل تخلصت من التفكير في تلك الفتاة، والذي حصل معي هو أنني بالألتزام بهذا الذكر وبكثرة، توقف مفعول السحر وتوقفت مضايقات العارض وبدأت أعود الي صوابي وكنت كلما ذكرت ذلك الذكر وقرأت القرآن، أشم رائحة شيء يحترق داخل جسدي، والحمد لله أصبحت أرى

الحياة جميلة بعد أن كنت في قفص وسجن السحر، وبدأت رحلتي بالتعلم لأنقذ الناس الذين عانوا ما كنت أعانيه وعزمت أن اطلب من الله العلم والقدرة على مساعدة الناس وتخليصهم من مرضهم، ومشاكلهم وشفائهم وتخليصهم من الأسحار، والحمد لله.

ربي أكرمني بهذا العلم، وأجتهدت وسهرت الليالي وقرأت الكتب وبحثت مع أهل العلم حتى يفتح على ربي باب من ابواب العلم لأخدم به أمة محمد صلى الله عليه وسلم..

ولمن يريد أن يعرف كيف كانت طريقة ذكري ودعائي حتي تتعلموها مني أنا اخوكم الصغير والمحب لكم..

الطريقه كانت كالتالي: بعد ذكر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.. عشرات المرات.. كنت ادعي الله اللهم أني أسألك بأسمك العظيم الأعظم وأسألك باسمك الطاهر وأسألك بسر حبك لهاتين الكلمتين وأسألك بسر ثقلهما في الميزان وأسألك بسر خفتهما على اللسان يا رحمن، أسألك اللهم أن تخلصني مما أنا فيه، وتخرج من جسدي كل شيطان رجيم وكل معتدي أثيم، والحمد لله أولًا وآخرًا، وأنتهت مشكلتي وتخلصت من خمسة أسحار كادت أن تدمر حياتي.

*** *** ***

القصة الثالثة: فتاة تحكي كيف تحققت أمنياتها بسبب الإكثار من التسبيح:

تحكي قائلة: عن نفسي اذا سبحت أحاول أعيش جوًّا روحانيًّا يعني أرمي همومي وأفوض إصلاحها وحملها إلى

الله، وأجلس أمدح وأثني عليه عز وجل، من المواقـف الـتي حصلت معي كثيرة منها:

1/ كنت راجعة من السوق ومررنا بجوار "نكتار"، كنت وقتها لا أستطيع شراء شيء من المحل، مع أني أتمنى ذلك، ولكن المبلغ الذي معي انتهى، ولكني لما نظرت للمحل، وأنا أعلم بعجزي عن الشراء فوضت أمري لله وظللت أردد "سبحان الله وبحمده"، والله ثم والله ثم والله بعد يومين، تأتي جارتنا في البيت القديم زيارة لنا وتهدي أمي طقم نكتار، وأمي كبيرة في السبعين لا تستخدمه، فصار من نصيبي.

2/ ذهبنا قبل ايام لمستوصف اسنان من اجل الوالدة.. وتأخرنا فيه ولم ننجز شيئا!!! وبعد يومين الهمني ربي ترديد " سبحان الله وبحمده " والله ذهبنا للمستوصف الاخر ودخلنا اول ناس.. ومباشرة بدأنا العمل.. وتسهل كل شيء بإذن ربي..

*** *** ***

الفصل الخامس: حقيقة التكبير وفضائله وفوائده وروحانياته

المبحث الأول: حقيقة التكبير والحكمة منه.

المطلب الأول: حقيقة التكبير في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: الحكمة من مشروعية التكبير.

المبحث الثاني: فضائل التكبير في القرآن والسنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل التكبير في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل التكبير في السنة المشرفة.

المبحث الثالث: فوائد التكبير وروحانياته.

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها التكبير.

المبحث الأول: حقيقة التكبير والحكمة منه

المطلب الأول: حقيقة التكبير في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: الحكمة من مشروعية التكبير.

المطلب الأول: حقيقة التكبير في اللغة والشرع

حقيقة التكبير في اللغة والشرع [152]:

معنى الله أكبر في اللغة: ورد في معانيها أقوال، منها:

القول الأول: أن معناه الله كبير، كقول الله جل وعز: (وهو أهون عليه) سورة الروم (27)، أي: هو هين عليه، ومثله قول معن بن أوس:

لَعَمرُكَ ما أَدري وَإِنّي لأَوجَلُ أَوَّلُ	عَلى أَيِّنا تَغدو المَنِيَةِ

معناه: وإني لوجل: أي خائف.

152- دراسات في الباقيات الصالحات – للدكتور عبد الرزاق البدر – ص (98) – بتصرف.

القول الثاني: أن الله أكبر: كلمة (أكبر) فيها ضمير، المعنى: الله أكبر كبير، وكذلك الله الأعز، أي: أعز عزيز، قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

معناه: أعز عزيز، وأطول طويل.

القول الثالث: معناه: اللهُ أَكْبَرُ من أنْ يُعرَف كُنْهُ كِبْريائِه وعَظَمَتِه وإنما قُدِّرَ له ذلِك وأُوِّلَ لأنَّ أَفْعَل فَعْلَى يَلْزَمهُ الألفُ واللامُ أو الإضافةُ كالأَكْبَرِ وأَكْبَر القَوْمِ " [153]. اهـ.

*** *** ***

أما معنى (الله أكبر) في الشرع:

قال ابن بطال رحمه الله [154]: في شرح قوله صلى الله عليه وسلم (الله أكبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).

قال المهلب: إنما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هذا استشعارًا لكبرياء الله على ما تقع عليه العين من عظيم خلقه وكبير مخلوقاته أنه أكبر الأشياء وليس ذلك على معنى أن غيره كبير وإنما معنى قولهم: الله أكبر: الله الكبير، هذا قول أهل اللغة، وقال معمر عن أبان رحمه الله: لم يعط

153- تاج العروس وتهذيب اللغة (10/214).

154- شرح البخاري – لابن بطال – باب التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْحَرْبِ -حديث (الله أكبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).

أحد التكبير إلا هذه الأمة، وكذلك يفعل صلى الله عليه وسلم فى أسباب الجبال، ورفع اليدين فى الدعاء، والتكبير استسلام لله تعالى وتبرؤ من الحول والقوة إليه.

*** *** ***

وعليه فالتكبير معناه التعظيم، لكن ينبغي أن يعلم أن التعظيم ليس مرادفا في المعنى للتكبير، فالكبرياء أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها في المعنى، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وفي قوله الله أكبر إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول الله أعظم، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله - تعالى -: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما عذبته) [155]، فجعل العظمة كالإزار والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء".

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: التكبير يراد به أن يكون (الله) عند العبد أكبر من كل شيء، كما قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم: (يا عدي ما يُفِرُّك أن تقول لا إله إلا اللهُ فهل تعلم من إلهٍ سوى اللهِ) قال: قلتُ لا، قال ثم تكلَّم ساعةً ثم قال: (إنما تَفِرُّ أن تقولَ اللهُ أكبرُ وتعلمُ أنَّ شيئًا أكبرُ من اللهِ؟)، وهذا يبطل قول من جعل أكبر بمعنى كبير". اهـ. [156]وبه يتبين أن معنى الله أكبر أي: من كل شيء، فلا شيء أكبر ولا أعظم منه، ولهذا يقال إن أبلغ

---

[155]- صحيح مسلم (رقم:2620).

[156]- مجموع الفتاوى – لابن تيمية - (5/239) وحديث عدي هذا رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان وغيرهم بإسناد جيد.

لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال هي: الله أكبر، أي: وصفه بأنه أكبر من كل شيء، قال الشاعر:

رأيْتُ اللهَ أكبرَ كلِّ شيءٍ   محاولةً وأكثرهم جنودًا

أكبر أي أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرح بلفظه، وتضمن ذلك التعظيم"[157]. اهـ.

*** *** ***

قال الدكتور عبد الرزاق البدر: ها هنا أمر ينبغي التنبه له وعدم إغفاله، وهو أن المسلم إذا اعتقد وآمن بأن الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء، وأن كل شيء مهما كبر يصغر عند كبرياء الله وعظمته، علم من خلال ذلك علم اليقين أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وجماله وسائر أوصافه ونعوته أمر لا يمكن أن تحيط به العقول أو تتصوره الأفهام أو تدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم من ذلك، بل إن العقول والأفهام عاجزة عن أن تدرك كثيرا من مخلوقات الرب فكيف بالرب - سبحانه.

ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) [158].

157- مجموع الفتاوى – لابن تيمية - (10/253).
158- رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص:26، 27)، والطبراني في الكبير (9/228)، وأبو الشيخ في العظمة (2/689)، والبيهقي في الأسماء والصفات (2/290)، وغيرهم.قال الهيثمي في المجمع (1/86): "رجاله رجال الصحيح"، وصححه الذهبي في العلو (ص:103 - مختصره).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم: (ما السَّـماوات السّـبع في الكُرسـيِّ إلَّا كحلقـةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ تلـك الفلاةِ على تلك الحلقةِ) [159].

*** *** ***

لذا قال بعض العلماء:

التكبـيرُ إعلانٌ لعظمَـة اللـه، وإذعـانٌ لكبريائِه في القلـوب، وتتوجَّهُ إليـه وحـدَه، وتُقبِـلُ النفـوسُ على طاعتِـه، وتحبُّه وتتوكَّلُ عليه وحدَه لا شريكَ له؛ فهو الكبيرُ الذي لا أكبرَ منه، الملكُ الذي كلُّ شيءٍ خاضِعٌ له، الرزاقُ الذي كلُّ يحتـاج إلى نعمِه.

كبرياءٌ لله وتعظيمٌ يأخذُ بمجامِع القلـوب، فيكـونُ الـدينُ كلُّه لله، ويكونُ العبـادُ كلُّهم لـربِّهم مُكبِّرين وخاضِـعين، فيحصـلُ لهم تعظيمُ ربِّهم في قلوبِهم.

الله أكـبر من كـل شـيءٍ ذاتًـا وقُـدرةً وقـدرًا، وعـزَّةً ومنعَـةً وجلالًا، هـذه المعـاني العِظـام تُعطِي المـؤمنَ الثقـةَ باللـه وحُسن الظنِّ به، فلا تقِفُ في حياته العقَبَات، ولا يخـافُ من مُستقبَل، ولا يتحسَّر على ما فات.

فاللـه أكـبر وأجـلُّ وأرحَمُ من أن يـترُك عبـدَه المُتعلِّق بـه واللائِذَ بجنابِه، وكلما قوِيَ علمُ العبد ومعرفتُه بأن اللـه أكـبر

---

[159]- أخرجه ابن أبي شيبة في ((العرش)) (58) واللفظ له، وابن حبان (361)، وأبـو نعيم في ((حليـة الأوليـاء)) (1/167) مطـولاً. قـال الألبـاني في التعليـق على الطحاوي: هذا القدر فقط صح مرفوعاً.

زادَت عنـــده الخشـــية والرَّهبـــة والتعظيم والمحبَّة وحُســـن العبادة ولذَّة الطاعة.

* * * * * * * * *

المطلب الثاني

الحكمة من مشروعية التكبير

بعد أن اطلعنا على تلك المعاني الجليلة للتكبير وقد أكد الشرع على التكبير في عدّة شعائر مهمة وأساسية من شعائر الإسلام؟ - كما سيأتي بيانه - والسؤال الآن: ما هي الحِكَم والأسرار التي يمكن أن نستشفها من ذلك كله [160]:

حتى نستطيع أن نفهم الحكمة، علينا أن نتوقف عند صيغة التكبير وهي الله أكبر، فقد جاءت بصيغة أفعل التفضيل" فهناك المُفضَّل وهو الله تعالى، وهناك صيغة أفعل التفضيل وهي كلمة "أكبر"، وقد اشتقت من الفعل "كبر"، وقد حذف المُفضَّل عليه الذي يجب أن يكون مسبوقًا بكلمة "من"، وأبقاه مُضْمرًا، فيمكن أن تقول: الله أكبر من المرض، الله أكبر من الظالم، الله أكبر من العدو، إلخ...ليشمل ذلك كل ما يخطر على بالك.

وقد حذف الشرع المُفضَّل عليه في كل الشعائر التي ترددت فيها عبارة: الله أكبر، في الصلاة، والأذان، والعيد، فما الحكمة من ذلك؟.

الحكمة من ذلك أن العبد المسلم عندما ينطق لسانه بعبارة التكبير، ويعيها عقله، ويمتلئ بها قلبه، يستعيد توازنه النفسي، فإن الاضطرابات النفسية في مختلف أشكالها من حزن وقلق وكآبة وخوف وانهيار عصبي إلخ... تأتي من أنّ همًّا من شهوة، أو مال، أو ديْن، أو عدوّ، أو مستقبل، إلخ... تضخم عند العبد، فملأ عليه عقله وقلبه، فيأتي النطق باللسان بأن الله أكبر من هذه الشهوة، أو هذا الدّيْن، أو هذا المال، أو هذا العدوّ، فيعيد إلى ذاته توازنها النفسي.

*** *** ***

[160]/ التكبير حُكْمه والحِكْمَة منه -موقع منبر الأمة الإسلام للبحوث والدراسات – بتصرف.

وبالتالي يتجه بعقله وقلبه إلى هذا الإله الـذي هـو أكـبر من الأمر الذي سـبّب لـه هـذا الاضـطراب النفسي، فيتجـه إليـه طالبًا أن يُنقذه من هـذا الهمّ الكبـير، فهـو يصـحو من غفلتـه ليتذكر أن هناك ما هو أكبر من هذا الأمر الذي سبّب له هــذا الاضطراب، فيسأله العون والنجاة والمسـاعدة، وبهـذا تعيـد هـذه العبـارة: اللــه أكـبر هـذا الهم الـذي سـبّب لـه هـذا الاضطراب إلى حجمه الطـبيعي، ويتمكن من معالجتـه، بعـد أن يأخذ بالأسباب التي يمكن أن تعالجه، وتُنهي أثره.

أعتقد أننا الآن أدركنا السّر في أن الشرع ألزمنا صيغة أفعل التفضيل: اللـه أكـبر، وحـذف المفضَّـل عليـه ليبقى المجـال للعبــد أنْ يعيَّن المفضَّــل عليــه الــذي كــان المتســبب في اضطرابه في تلك اللحظة، والمتغير بين حين وآخـر، فيتـذكر بأن الله أكبر فيعـود إليـه توازنـه النفسـي ليسـتمر في دورة الحياة، ويستمر في وضعه الطبيعي، فيواجه المشـكلة الـتي أرّقتـه ويتغلب عليهـا، ثم يسـتكمل عمليـة العبـادة والإعمـار والبناء الحضاري التي خلقه الله من أجلها.

وفي العالم الإسلامي مظاهر لا تنبئ بمعرفـة معـنى: "اللـه أكـبر" فالـذي يرضـي زوجتـه في معصـية خروجهـا بثيـاب فاضحة، ويأتي المسجد، ويقول: "اللـه أكـبر" مـا قـال "اللـه أكبر"! لأنه أرضى زوجته، وأسخط الله -عز وجل-.

المسلمون اليوم مقهورون، في كل نادٍ لهم قتلى، وجــرحى، وأسرى، كل يوم خبر مائة قتيل، أو أكثر، ولا يتحرك العــالم! والسبب أننا تخلينـا عن تطـبيق معـاني اللـه الأكـبر، وتعلقنـا بسواه، ورجونا الحلول ممن عداه، فأسلمنا الله إلى أنفسنا، ووقائع الحاضر دالة وشاهدة على ذلك، هان أمر الله عنــدنا، فهُنّا على الله.

* * *   * * *   * * *

إن الغش في الأسواق على أشده بشكل لا يوصف، والذين يغشون ويأتون المساجد، ويقولون: الله أكبر، ولو كانوا حقا يعتقدون أن "الله أكبر" ما احتاجوا أبدا إلى هذا الغش!.

الرجل يتاجر في الحرام، يبيع السجائر، يبيع الخمور، ويأتي المسجد، ويقول: الله أكبر ولو وعاها حقا ما حارب الأكبر؛ لأن الأكبر لا يحارب!.الرجل يظلم زوجته وأبناءه، ويأتي ويقول: الله أكبر!.

الرجل يتعامل مع الناس بالأموال، فلا يفِ، ويخون ويسرق ويخادع، ويأتي المسجد، ويقول: "الله أكبر" وربما يذهب إلى الحج، فيلبي ويكبر!.

الرجل يتعامل بالربا التي هي حرب على الله ورسوله، وهي من أسباب البوار والدمار والخراب، ثم يأتي ويقول: الله أكبر!.فإذا كنت تعتقد أن الله أكبر فلماذا تحاربه؟ وكيف تخاف الفقر والله أكبر؟

المؤذن ينادي لصلاة الفجر: الله أكبر فتفضل الوسادة، وتترك العبادة، ثم بعد ذلك تستيقظ في الوقت الذي تريد، لا في الوقت الذي يريد سبحانه وتعالى، ثم تقول: الله أكبر! ولو فهمت المعنى لقمت من فراشك، ولما غرك فراش، ولا منعك برد، ولا طول طريق؛ لأن الله أكبر!.

يأتي وقت الزكاة فتثاقل وتتخاذل، وتستكثر على الله زكاة مالك، ولو كنت توقن أن الله أكبر لبادرت إلى إخراجها، وأنت فرح مسرور، متلذذا بتلك العبادة، مستحضرًا قول الله الذي تقرؤوه في كل ركعة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) [الفاتحة: 5]، وقد

وصف العلماء هذه "الكاف" من إياك بالتلذذية، يتلـذذ المـرء بالطاعة؛ لأنه يعلم أن الله أكبر!.

* * * * * * * * *

المبحث الثاني: فضائل التكبير في القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول: فضائل التكبير في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل التكبير في السنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل التكبير في القرآن الكريم

اعلم أخي القارئ الكريم بارك الله فيـك أن القـرآن الكـريم نص على فضائل التكبـير، في آيـات كثـيرة وهي مـع كثرتهـا فهي عميقـة المعـاني وكـل قـارئ يفيـد منهـا ويغـترف من بحارهـا بحســب مــا أوتي من علم وذوق، ولكن لمــا كــان

المجال لا يحتمل التوسع أحببت الوقوف مع آيتين، فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول:

الآية الأولى: قوله تعالى: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) قال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في تفسيره للآية: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) التكبير جاء في القرآن وله خمسة موارد [161]:

الأول: فتكبير الله جل وعلا يكون في ربوبيته يعني اعتقاد أنه أكبر من كل شيء: يُرى أو يُتوهم أو يُتصور أنه موجود، هو أكبر من كل شيء في ربوبيته، في ملكه، في تصريفه لأمره، في خلقه، في رزقه، في إحيائه، في إماتته، إلى آخر معاني الربوبية، قال جل وعلا ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:111]، الله أكبر يشمل هذا المعنى، ويشمل غيره من معاني التكبير التي ستأتي، إذن قوله هنا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يدخل فيه أولا اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في مقتضيات ربوبيته.

الثاني: أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلهية والعبادة وحده دونما سواه، فإن العبادة التي صُرفت لغير الله، فالتكبير يرجع إلى الربوبية وهو الأول، وهذا التكبير يرجع إلى استحقاقه إلى الإلهية.

*** *** ***

الثالث: اعتقاد أنَّ الله أكبر في أسمائه وصفاته: فإنه في أسمائه أكبر من كل ذوي الأسماء، الأشياء لها أسماء، لكن أسماء الله جل وعلا أكبر من ذلك، أكبر يرجع الكبر هنا لأي شيء؟ لما فيها من الحسن، والبهاء، والعظمة، والجلال،

[161]- شرح ثلاثة الأصول – للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – (بتصرف نقلا عن موقع ملتقى أهل الحديث).

والجمال ونحو ذلك، وكذلك في الصفات، فصفاته عُلا، كما قال جل وعلا ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم:27]، وقال جل وعلا ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل:60] يعني له الاسم الأعلى، وله النعت الأعلى، وقال جل وعلا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4]، وقال جل وعلا ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65]، ونحو ذلك، فهو جل وعلا أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته.

الرابع: اعتقاد أنَّ الله تعالى أكبر في قضائه وقدره الكوني: فالله جل وعلا في قضائه وقدره الكوني أكبر؛ يعني أن قضاءه وقدره له فيه الحكمة البالغة، وأما ما يقضيه ويقدّره العباد لأنفسهم، يقدر الأمر بنفسه، ويفعل الأمر لنفسه، فإن هذا يناسب نقص العبد، والله جل وعلا في قضائه وقدره بما يحدثه في كونه فهو أكبر.

الخامس: اعتقاد أنَّ الله تعالى أكبر في شرعه وأمره: قال تعالى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) تدخل فيها هذه الخمسة، الأخير يعني اعتقاد الله جل وعلا أكبر فيما أمر به ونهى، وفيما أنزله من هذا القرآن العظيم، أكبر وأعظم من كل ما يشرعه العباد، أو يحكم به العباد، لأنفسهم.ولهذا صارت هذه الكلمة (الله أكبر) من شعارات المسلمين العظيمة، يدخلون في الصلاة بها، ويرددونها في الصلاة، وهي من الأوامر الأولى التي جاءت للنبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى له (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ).

إذا لحظت هذه المعاني الخمسة، وكل واحدة منها لها أدلة كثيرة من القرآن، تدبّر وأنتَ تقرأ القرآنَ، لكن تحتاج إلى من يتدبرها ويطيل التأمل فيه؛ ا.هـ.

الآية الثانية: قوله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَـدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَــرِيكٌ فِي الْمُلْــكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الــذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) سورة الإسراء (111).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «أي: عظِّمه تعظيمًا شديدًا، ويظهر تعظيم الله في شدّة المحافظـة على امتثال أمره واجتناب نهيه والمسارعة إلى كلِّ ما يرضيه».

وفي هذا إشـارةٌ إلى أنّ الـدِّينَ كلَّه يُعـدُّ تفصـيلًا لكلمـة اللـه أكبر فالمسلم يقوم بالطاعات جميعها والعبادات كلّها تكبـيرًا لله وتعظيمًـا لشـأنه وقيامًـا بحقِّه سـبحانه، وهـذا ممّـا يـبيّن عظمةَ هذه الكلمة وجلالةَ قدرها.

إنّ تعظيمَ الله عزّ وجل مِن أجلّ العبـادات القلبيـة ومن أهمّ أعمــال القلــوب الــتي يتعيّن ترســيخها وتزكيــةُ النفــوس بها،،فجاء التكبير ب (الله أكبر) ليبرهن أن كل مـا يلقى في روع الإنسـان أومـا يتوهمـه عن جلال اللـه وعظمتـه لا يليـق بالله تعالى؛ وذلك لأن الله تعالى موصـوفٌ بصـفات الكمـال والجلال التي لا يدرك كنهها وكيفيتها إلا هو جلَّ جلاله وتعالى سلطانه،وأن كل طاعة للعبد مهمـا بلغت من الإحسـان فـإن حق الله أكبر وأعظم منها.

وفي ذلك قال الإمام النيسابوري: التكبير أنواع منها:

تكبير الله في صفاته: بـأن يعتقـدها كلهـا من صـفات الجلال والإكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال، وأنهـا منزهـة عن سمات التغير والزَّوال والحدوث والانتقال.

تكبير الله في أحكامه: وهو أن يعتقد أن أحكامه كلهـا جاريـة على سنن الصَّواب، وقانون العدالة.

*** *** ***

المطلب الثاني: فضائل التكبير في السنة المشرفة

ورد في السنة النبوية الأمر بالتكبير في مواطن وأوقات كثيرة ولكل موطن ووقت فضله وثوابه وفائدته كما سيأتي، لكن ما سأذكره من فضائل هنا تخص التكبر مطلقًا، فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول:

1- الإكثار من التكبير يملأ ما بين السماء والأرض، فقد جاء في الحديث: (التَّسْبِيحُ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالْحَمْدُ يَمْلَؤُهُ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) أخرجه أحمد والترمذي.

2- التكبير من أذكار الباقيات الصالِحات: وأحبّ الكلام إلى الله أربع: (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ) أخرجه مسلم.

3- التكبير يُخنس الشيطان وأولياءه: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ - وفي رواية: وَلَهُ حُصَاصٌ - حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ. حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ. يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ. حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى).

شرح الحديث[162]:

---

[162]- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين – (نقلا جامع السنة وشروحها - بتصرف)

قال البرماوي رحمه الله: وإنما هـرب الشـيطان عنـد الأذان لما يـرى من الاتفـاق على إعلان كلمـة التوحيـد وغيرهـا من العقائد وإقامة الشعائر.

وإنما جاء عند الصلاة مع أن فيهـا قـراءة القـرآن لأن غالبهـا سر ومناجاة فله تطرّق إلى إفسادها على فاعلهـا أو إفسـاد خشوعه. وقيل هربه عند الأذان حتى لا يضطر إلى الشـهادة لابن آدم يوم القيامة.

قول: (حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ) يقتضي أن المرء غـير نفسه فيحمل على أن المراد بينـه وبين قلبـه كمـا في قولـه تعـالى: (وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ يَحُـولُ بَيْنَ الْمَـرْءِ وَقَلْبِـهِ وَأَنَّهُ إِلَيْـهِ تُحْشَرُونَ) الأنفال (24).

قـال الحافـظ ابن حجـر: (حَتَّى يَظَـلَّ الرَّجُـلُ مَـا يَـدْرِي كَمْ صَلَّى) يظل: بمعنى يصير، أو يكون ليتناول صلاة الليل أيضًـا والقصد أنه يسهيه، ولذا حكى فيه الراوي يضل بكسر الضـاد المعجمـة: أي ينسـى ويـذهب وهمـه (مـا يـدري كم صـلى) الجملة معلق عنها العامل لوجود مالـه صـدر الكلام وهـو كم الاستفهامية وهي مفعول صلى مقدم عليه لذلك.

وقال القرطبي رحمه الله: ثوِّب بالصـلاة: أي أُقيمت وأصـله من ثاب إذا رجـع: أي رجـع إلى مـا يشـبه الأذان وكـل مـردد صوتًا فهو مثوب يدل عليه رواية مسلم في رواية أبي صـالح عن أبي هريـرة «فـإذا سـمع الإقامـة ذهب» وزعم بعض الكوفـيين أن المـراد بـالتثويب قـول المـؤذن بين الأذان والإقامة حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة.

*** *** ***

4- التكبير كلمة تنخلع لها قلوب الجبابرة: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنـه، أن النـبي صلى الله عليه وسلم قال: (سَمِعْتُمْ بِمَدِينَـةٍ جَـانِبٌ مِنْهَـا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟) قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَـالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًـا مِنْ بَنِي إِسْـحَاقَ، فَـإِذَا جَاءُوهَـا نَزَلُـوا، فَلَمْ يُقَـاتِلُوا بِسِـلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُـوا بِسَـهْمٍ، قَـالُوا: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ وَاللـهُ أَكْبَـرُ، فَيَسْـقُطُ أَحَـدُ جَانِبَيْهَـا، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُـوا الثَّالِثَـةَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ وَاللـهُ أَكْبَـرُ، فَيُفَـرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا...».

شرح الحديث [163]:

هـذه المدينـة هي قسـطنطينية، وتعـرف الآن باسـطنبول أو استنبول من مدن تركيا، وكانت تعرف قديما باسـم بيزنطـة، ثم لما ملك قسطنطين الأكبر ملك الـروم بـنى عليهـا سـورًا وسماها قسطنطينية وجعلهـا عاصـمة ملكـه، ولهـا خليج من جهة البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشـمال، وجانباها الغربي والجنوبي في الـبر، كمـا في معجم البلـدان لياقوت الحموي.

وفتح القسطنطينية بالقتال قد وقع على يد السلطان محمـد الفاتح، وأما فتحها بدون قتال فلم يقع بعد، قال الشيخ أحمد شاكر: فتح القسـطنطينية المبشـر بـه في الحـديث سـيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عـز وجـل، وهـو الفتح الصحيح لها حين يعـود المسـلمون إلى دينهم الـذي أعرضـوا عنه، وأما فتح الترك الذي كـان قبـل عصـرنا هـذا فإنـه كـان تمهيـدًا للفتح الأعظم، ثم هي خـرجت بعـد ذلـك من أيـدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها غير إسلامية وغـير

---

[163]- شرح حديث فتح القسطنطينية – إسلام ويب.

دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

*** *** ***

المبحث الثالث: فوائد التكبير وروحانياته

لقد كتب عدد من الباحثين فيما يدل على عظيم تأثير التكبير في زيادة الأيمان وتقوية الصلة بالله تعالى وتعظيمه وامتلاء القلب بالهيبة والإجلال والإعظام له ومن ثم التعظيم لأوامره والخضوع لها والخوف من الوقوع في مخالفته، ولذا أحببت أن ألخص بعض ما كتبه أولئك الباحثون [164].

فمن فوائد التكبير وروحانياته: الله الأكبر، كلمة عظيمة كلمة تدوي في الآفاق، وتخترق الحجب لتعلن للناس كل الناس أن العظمة لله وحده، والكبرياء لله وحده.

وهو الله الأكبر، وأن كل من أراد أن يستعلي، أو يتكبر، فإنه إنسان مخبول معلول، يحيط به الوهم من كل جانب، وفيه من الضعف ما لو تأمل فيه أنه أضعف من الضعف.

---

[164]- ملخصة من ثلاث مقالات: الأولى: بعض العبر من قولك الله أكبر - الشيخ: عمر القزابري -ملتقى الخطباء، والثانية: خطبة بعنوان الله أكبر - للشيخ: أحمد بن عبد العزيز الشاوي – ملتقى الخطباء، والثالثة:محاضرة الله أكبر – موقع الأستاذ الدكتور خالد عبد الله المصلح.

إنها كلمة تعني: أن الله هو الأكبر الذي يتصاغر أمامه الكبراء والعظماء، لا ينازعه في كبريائه أحد: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[الجاثية: 36-37].

إنها كلمة تعلن للمؤمنين قائلة: "لا تضطربوا، ولا ترتجفوا، ولا تنحرفوا، فهذا المنهج، لا تتراجعوا، فهذا النداء، لا شيء يغلبكم، ولا شيء يكبر عليكم، ما دامت كلمتكم: "الله أكبر".

* * * * * * * * *

ومن فوائد التكبير وروحانياته: الله أكبر كلمة خالد نقولها عند بدء صلاتنا إعلانًا منا بالانخلاع من الدنيا وشهواتها والحياة وملذاتها، ونقولها عند سفرنا إشارة إلى أن المسافر يجب أن يكون اعتماده على الله وثقته بالله واعتصامه بالله، فإن كان متجهًا في سفره إلى عظيم فالله أكبر وأعظم وإن كان خائفًا من بطش عدو أو كيد كائد فالله أكبر وأجل.

إن العبد إذا تدبر هذه الكلمة في وقوفه بين يديه كان لقوله لهذه الكلمة أثر بالغ، حتى إن من السلف من كان إذا قال في صلاته: الله أكبر انخلعت القلوب هيبة من تكبيره لعظم ما قام في قلبه من تعظيم الله تعالى.

فمَنْ قام للتكبير لاقتْه رحمةٌ   وكان كعبد باب مولاه يقرعُ

وصار لربّ العرش حين صلاته   نجيًّا فيا طوباه لو كان يخشعُ

* * * * * * * * *

ومن فوائد التكبير وروحانياته: إنها كلمة نقولها قبل الشروع في العبادة وفي أثنائها أو بعدها وفي المواضع الكبار التي يجتمع فيها الناس أو حضور عدو من شياطين الإنس والجن أو عند رؤية آية من آيات الله عز وجل..وهذا كما قال ابن تيمية رحمه الله يبين أن "التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع أو لعظمة الفعل أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة ".ليبين أن الله أكبر وتستولي كبريائه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار فيكون الدين كله لله ويكون العباد له مكبرينولعظمته خاضعين.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: الاستشعار بأن الله أكبر من كل شيء وأعظم من كل عظيم، وقوته لا تُقهر، وأمره لا يُرَدّ، فلا بد له أن يولد ذلك عنده تعظيمًا لشعائر الله عز وجل وحرماته؛ لأن في ذلك دليلا على الخضوع لكبرياء الله عز وجل وعظمته ودليلًا على تقوى الله عز وجل وإجلاله ومحبته والخوف منه (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج: 32].

فلا أثر لتكبير الله تعالى وتعظيمه إذا لم تعظم أوامره ونواهيه، قال ابن القيم رحمه الله: "تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر والناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه فقال (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)[نوح: 13].

وإنَّ من تعظيم الله تعظيم ما عظَّمه واحترمه من زمان ومكان وأشخاص وأعمال، والعبادة روحها تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا شُرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وتنقلاتها ليستحضر العبد معنى تعظيمه في هذه العبادة التي هي مِن أجلِّ العبادات.

* * *   * * *   * * *

ومن فوائد التكبير وروحانياته: عندما يشعر المسلم بالضعف أمام الظالمين، وأمام الطغاة الجبابرة، فتأتي هذه الكلمة لتعلن أن الله أكبر من كل شيء، وأن قوته لا تغلبها قوة، ومن تعلق بالله الأكبر كفاه كل هم، وغم وخوف.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: في بعض الأحيان يشعر الإنسان أحيانا بالزهو والفخر، ويحس بالتعاظم، وتسول له نفسه في لحظة ضعف منه، أو في لحظة انقطاع عن حقيقته، أنه ذو شأن، وأنه صاحب سلطة ومال، وأنه من أهل المجد والحسب والنسب، فتأتي كلمة: "الله أكبر" لتقذف في روعه أن اخرج من وهمك، وعد إلى رشدك، ف"الله أكبر".

هذه الكلمة تقول: تأمل في نفسك -أيها العبد- تجد أنك من نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، ففيم تتكبر؟!

ولله در الإمام علي -رضي الله عنه- يوم يقول: "عجبا لابن آدم تقتله شرقة، وتقلقه بقة، وتنتنه عرقة، فكيف يتكبر؟.".

* * *   * * *   * * *

ومن فوائد التكبير وروحانياته: عندما تستولي على الإنسان شهواته، وتحتوشه نزواته، وتتجاذبه رغباته، فيتكاسل عن أداء شعائر الله، وعن إجابة داعي الله، فتأتي: "الله أكبر" على لسان المؤذن، لتعلن أن "الله أكبر" من نفسك الأمارة "الله أكبر" من نزوتك وشهوتك، فأجب نداء العظيم الأكبر، ولا تستسلم للهوى، فتتكدر.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: إن من آمن وأيقن بأن "الله أكبر" فإن ذلك يحمله على الاستعانة بالله وحده، وصدق التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وعدم الركون إليها، والاعتماد عليها، ولكن الاعتماد على الله -تعالى-.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: إن من آمن بأن الله أكبر أورث ذلك عنده خوفا من الله وحده، وعدم الخوف من المخلوق الضعيف، الذي لا يملك من نفسه ضرا ولا نفعا، فضلا من أن يملكه لغيره.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: أن كلمة الله أكبر حينما تستقر في القلب، وتنطلق منه، تقوم فيه معانيها وآثارها، فينعكس ذلك على الأحوال والأعمال والمواقف، فلا يتحرك قائلها بصدق لتهديد، ولا وعيد، ولا تخويف؛ لأنه قد أسلم أمره لله الأكبر.

*** *** ***

ومن فوائد التكبير وروحانياته: إن تكبير الله عز وجل في حقيقته، يعني أن يكون معنى الله أكبر في البيوت والأسواق، وفي الأعمال، وفي المشاريع، وفي الاقتصاد، وفي السياسة، وفي الحكم، وفي جميع شؤون الحياة، فلا يعلو على أوامر الله -عز وجل- وأحكامه شيء، وإلا فما معنى قولنا: الله أكبر إن لم نجسدها واقعا في حياتنا.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: استحضار أن الله أكبر من قوتك! الله أكبر من سطوتك! الله أكبر من شهوتك! الله

أكبر عند نزوتك! الله أكبر في خلوتك! الله أكـبر في ذهابـك وإيابك! الله أكـبر في أمنـك وخوفـك! اللـه أكـبر في فقـرك وغناك! الله أكبر من سـلطتك! اللـه أكـبر من نفـوذك! اللـه أكبر من غرورك! الله أكبر عند حزنك وسرورك!. ومـتى مـا تعلقت بـالأكبر صـغرت الـدنيا في عينيـك، وهـان عليـك كـل شيء!.متى تيقنت أن "الله أكـبر" تسـاقطت أمامـك سـهام الحاقدين، وطعنات الغادرين، ووخزات الماكرين!.

ومن فوائد التكبـير وروحانياتـه: أن تتـذكر أن المشـقة الـتي تحصل في صوم أو حج، في قيـام أو في طاعـات في أعظم أيـام اللـه ولياليـه، شـهر رمضـان أو عشـر ذي الحجـة، تلـك المشــقة هي في حقيقتهــا قمــة الســعادة، حين تســتحيل إشراقًا وانقيادًا، حين تتبـدى مشـكاة تنـير الطريـق، وتطـوي الدنيا بين جنـاحي الطاعـة والإنابـة؛ فقمـة السـعادة تتحقـق بمعية الله، ومعيته لا تستشعر بغير توحيده المعلن بالتكبير.

ومن فوائـد التكبــير وروحانياتــه: أنــه ســبب في القيــام بالطاعات بالمسارعة والتبكير.. عند إتمام الطاعــة فـالتكبير مسـتحق؛ "لأن الحـق سـبحانه عـالم أن عبـده حين ينصـاع لحكم أراده الله وفيـه مشـقه عليـه وعنـدما يشـعر بأنـه قـد انتهى منـه إنـه سـبحانه عـالم بـأن العبـد سـيجد في نفسـه إشـراقًا يسـتحق أن يشـكر اللـه أن تقـول: اللـه أكـبر وأن تشـكره على العبـادة الـتي كنت تعتقـد أنهـا تضـنيك، لكنـك وجدت فيها تجليات وإشـراقات، فتقـول: اللـه أكـبر من كـل ذلك، الله أكبر؛ لأنه حين يمنعني يعطيني.

وسبحانه يعطي حـتى في المنـع وتـذوق حلاوة التكليـف وإن كان قد فوت عليك الاستمتاع بنعمة فإنه أعطاك نعمـة أكـثر منها – وسترون - ما يجعلكم تنطقون بـ اللـه أكـبر؛ لأن اللـه أسدى إليكم جميلاً.

*** *** ***

ومن فوائد التكبير وروحانياته: أن تتذكر أنه عند إعلان التوحيد بتكبير – في أيام عيدي الفطر والأضحى وأيام التشريق - يشق عنان السماء، إنه صوت يهدر في كل الأرجاء يعلن أن هذه الأمة لا تستخفي بدينها، لا تستنكف عن عبادة ربها، لا تخجل من الصدع بالحق في كل مكان، إنه إعلام للناس كافة أن السعادة في معية الله، والفوز الحقيقي هو بمرضات الله والخضوع لأمره ودوام طاعته.

حينئذ، يصبح للتكبير معناه في النفوس المؤمنة، تحتفظ بكنوزه ولآلئه، وإلا صار التكبير فعلا آليًا يحاكي أجهزة التسجيل والإذاعة. لنعش به ومعه، نستصغر كل شيء أمام عظمة ملك الملوك.. إنه الله أكبر.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: إذا اشتدت الأزمات وتوالت النكبات، وتتابعت الضربات وعم الشعور باليأس جاءت الله أكبر لتحيل الهزيمة نصرا، واليأس أملًا وتجعل الضعف قوة والذل عزة، حينما ينادي المؤذن الله أكبر فإنه يقول للناس: إن الله أكبر من كل شيء فخافوه فارجوه فأحبوه فعظموه فأجابوه.

ومن فوائد التكبير وروحانياته: أن يقوله المؤمن عند استعظام أمر من الأمور: أرشدنا إلى هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم بتكبيره عندما دخل خيبر فقال: (الله أكبر. خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين).[الصافات:177]".

قال الساحلي رحمه الله: جاء صلوات الله وسلامه عليه في هذه الحالة بذكر التكبير بين يدي كلامه، مشعرًا بتصغير ما

وردوا عليـه من أمـر خيـبر وتحقـيره؛ ليُـذهب عن النفس عارض استكثار العدو، ويتلاشى ما سوى الله تعالى في حني كبريائـه وعظمتـه، فيقـوي جـأش الجيش في اسـتقبال أمـر العدو، فيحصل الظفر، وهو سر قوله تعـالى (إِذْ يُـرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِـكَ قَلِيلًا وَلَـوْ أَرَاكَهُمْ كَثِـيرًا لَّفَشِـلْتُمْ وَلَتَنَـازَعْتُمْ فِي الْأَمر) [الأنفال: 43].

*** *** ***

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي يُستحب فيها التكبير

قمت بالرجوع إلى بعضع الإحصـاءات الـتي تطـرق لهـا عـدد من الباحثين في حصـر المـواطن الـتي يشـرع فيهـا التكبـير وضممت بعضها إلى بعض فبلغت ثمانيـة وعشـرون موطنـا، وهي [165]:

[165]- ملخص من كتـاب (50) فضـيلة من فضـائل اللـه أكـبر – للكتـور أحمـد مصطفى مندبولي (موقع صيد الفوائد) وعدد من المقالات: التكبـير(مواطنـه، وأثره في التربية الإيمانية) - د. عبدالسميع الأنيس - شبكة الألوكـة،- التكبـير:

11-1 التكبير شعار الصلاة: فقد شرع قبلها في الأذان والإقامة، كما شرع فيها: ابتداء من تكبيرة الإحرام، ثم في الركوع والسجود وعند كل رفع، وخفض، فيما عدا الرفع من الركوع، فإنه شرع فيه التحميد، وشرع بعدها في التسبيحات. وفي خطبة الاستسقاء وفي صلاة العيد وفي خطبتها وفي صلاة الجنازة.

وقد قام أحد الباحثين بإحصاء عدد التكبيرات التي لها ارتباط بالصلاة كالأذان والإقامة والتسبيح بعد الصلاة، فبلغ العدد الكلي عند الجمهور: (447)، وعند الحنفية (457).

وبيان ذلك: أن عدد التكبيرات في الصلاة المكتوبة: (94) تكبيرة؛ قال النووي: "ففي كل صلاة ثنائية إحدى عشرة تكبيرة؛ وهي: تكبيرة الإحرام وخمس في كل ركعة، وفي الثلاثية سبع عشرة تكبيرة؛ وهي: تكبيرة الإحرام، وتكبيرة القيام من التشهد الأول، وخمس في كل ركعة، وفي الرباعية اثنتان وعشرون. ففي المكتوبات الخمس: أربع وتسعون تكبيرة" [166]. قلت: وعددها في السنن المؤكدة مع الوتر(138).

وعددها في الأذان للصلوات الخمس مجتمعة: (30). وعددها في الإقامة لها عند الجمهور: (20) وعند الحنفية (30) وعدد التكبير بعد الصلاة (165).

والمُصلُّون في صلاة الجماعة يُكبِّرون بعد تكبير الإمام، وفي الحديث: (فإذا كبَّر فكبِّروا، ولا تُكبِّروا حتى يُكبِّر) متفق عليه في مُتابعةٍ، وانتِظامٍ دقيق.

حُكْمه والحِكْمَة منه -موقع منبر الأمة الإسلام للبحوث والدراسات، وحكم التكبير عند رؤية الشيء المستحسن – موقع الإسلام سؤال وجواب.

166- شرح النووي على صحيح مسلم (4/ 98).

*** *** ***

ومما ورد في التكبير في العيدين:

ليلة ويوم عيد الفطر من رمضان حتى صلاة العيد: لقوله تعالى: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 185]. وإكمال عدة رمضان بغروب شمس آخر يوم منه. ويكبر حين يخرج إلى صلاة العيد؛ فعن نافع أنَّ ابن عمر كان يخرج إلى العيدين من المسجد فيكبر حتى يأتي المصلى ويكبر حتى يأتي الإمام [167].

وينتهي التكبير بانتهاء الصلاة والخطبة؛ ففي إحدى روايات حديث أم عطية رضي الله عنها: (حتى نخرج الحيض فيكنَّ خلف الناس؛ فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم؛ يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته). متفق عليه.

التكبير في عيد الأضحى وأيام التشريق: لقد أجمع أهل العلم في الجملة على مشروعية التكبير عقب الصلوات في يوم العيد وأيام التشريق. وكذلك يسن التكبير المطلق في غير أدبار الصلوات وهذا التكبيرَ يُشيرُ إلى معنى الهداية في قوله - عزَّ شأنه:- ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة: 185].

وقد روى البخاري في صحيحه عن قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)(الحج، 27): أيام العشر، والأيام المعدودات: أيام التشريق، وكان ابن عمر وأبوهريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر، يكبّران

---

[167]- رواه ابن أبي شيبة (2/164) والفريابي في أحكام العيدين (46) بإسناد حسن.(نقلا عن موقع طريق الإسلام).

ويكبّر الناس بتكبيرهما، وكبّر محمد بن الحنفية رحمه الله خلف النافلة.

كما أن التكبير مطلوب استحبابا في ليلة عيد الأضحى قياسًا على ليلة عيد الفطر.

*** *** ***

ومما ورد في التكبير عند التضرع في صلاة الاستسقاء: فمن قال يُكبِّر استدل بحديث رواه الدارقطني من حديث ابن عباس أنه يكبر فيها سبعا وخمسا كالعيد ويقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية. قال ابن عبد البر: "ابن عباس رواه، وعَمِلَ بالتكبير كصلاة العيد" [168].

12- التكبير لرؤية الهلال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: (اللَّهُ أكْبَرُ، اللَّهُمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنا بالأمْنِ والإيْمَانِ والسَّلامَةِ والإِسلامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ) أخرجه الدارمي في مسنده، عن ابن عمر رضي اللّه عنهما (1729).

13- الإكثار منه مشروع في العشر من ذي الحجة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ، ولا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ، إلَّا بُشِّرَ»، قيل: يا رسول الله بالجنَّة؟ قال: (نعم) [169].

168- الاستذكار – لابن عبد البر - (2/ 428).

169- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (7779) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال المنذري: "إسناده رجال الصحيح".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ؛ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ والتحميد) [170].

*** *** ***

14-18 التكبير أحد معالم الحج: فالتكبير عند رمي الجمرات، وعند الخروج من منى إلى عرفات، وعند الطواف، وفي المسعى.

كما روى البخاري في صحيحه فقال: كان عمر رضي الله عنه يُكبّر في قبته في منى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبّر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرًا، وكان ابن عمر يكبّر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه، تلك الأيام جميعًا.

وفي البخاري أيضا (كانت ميمونة تكبّر يوم النحر، وكنّ النساء يكبّرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز، ليالي التشريق مع الرجال في المسجد).

وفي البخاري أيضا عن محمد بن أبي بكر الثقفي قال: سألت أنسًا، ونحن غاديان من منى إلى عرفات، عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (يلبي المُلبي لا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه).

من الواضح أن الأحاديث السابقة نقلت أن الصحابة كانوا يكثرون من التكبير في أيام العشر الأول من ذي الحجة، وكانوا يكثرون من التكبير في العيدين وفي أيام التشريق،

170/ أخرجه أحمد في مسنده (6154) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص14): "هذا حديث حسن".

وقد وضحت الأحاديث أن النساء كن يشاركن الرجال في هذا التكبير، وأما حكم التكبير في تلك الأيام العظيمة فهو سنة، لقوله صلى الله عليه وسلم (ما مِن أيَّام أعظَمُ عِندَ اللهِ ولا أحَبُّ إليه مِن العَمَلِ فيهنَّ مِن هذه الأيَّامِ العَشرِ، فأكثِروا فيهنَّ مِن التَّهليلِ والتَّكبيرِ والتَّحميدِ) رواه أحمد بسند صحيح.وقد استمر المسلمون على مدار التاريخ يؤدون هذه السنة التي هي مظهر عظيم من مظاهر احتفال المسلمين بتعظيم الله وتكبيره.

وفي البخاري أيضا عن أم عطية، قالت: (كنا نُؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نُخرج البِكْر من خدرها، حتى نُخرج الحُيَّض، فيكنّ خلف الناس، فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطُهرته).

*** *** ***

19-20 التكبير عند ركوب الدابة والخروج إلى السفر: فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا استوَى على ظهر الدابَّة قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، ثم قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 13، 14]، ثم قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» ثم قال: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) أخرجه أبو داود.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبَّر ثلاثًا) رواه مسلم.

22- التكبير عند الصعود على مكان مرتفع: كان صلى الله عليه وسلم إذا علا شرفًا أي: المكان المرتفع كبر - كما في

البخاري - وكان يوصي بذلك أصحابه. والمُسلم يستصحب التكبير في سفره، ويُكبِّرُ كلما صعد مرتفعا، أو هبَطَ واديًا، مستشعرا معيَّة الله وعظمته وإحاطته وحفظه، ومتفكِّرًا في سعة الدنيا، وتباعُد أطرافها، وآفاقها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُوصِي المُسافرَ بقوله: (عليك بتقوَى الله، والتكبير على كل شرَف) [171]. والشرفُ هو المكان العالي. ويماثله صعود السلم أو الدرج أو المصعد.

23- التكبير عند الذبح: عن أنس رضي الله عنه قال: (ضَحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين. قال: ورأيته يذبحهما بيده. ورأيته واضعا قدمه على صِفاحِهما. قال: وسمى وكبر). وفي رواية: ويقول:(باسم الله، والله أكبر) رواه مسلم.

*** *** ***

24- التكبير عند سماع خبر مفرح وبشارة خير: في صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: (أبشروا، فإن من يأجوج

171/ أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات، باب (47)، حديث (3445)، وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله (2771).

ومأجوج ألفًا ومنكم رجلًا، ثم قال: والـذي نفسـي بيـده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة) قال: فحمدنا اللـه وكبَّرنـا، ثم قال: (والذي نفسـي بيـده، إني لأطمـع أن تكونـوا شـطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثـل الشـعرة البيضـاء في جلد الثور الأسود، أو كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ).

قـال الإمـام النـووي رحمـه اللـه - في شـرح على مسـلم -:أمـا تكبيرهم فلسرورهم بهـذه البشـارة العظيمـة...وفيـه حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم قال: (وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ، إِنِّي أَرْجُـو أَنْ تَكُونُـوا رُبُـعَ أَهْـلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَـا. فَقَـالَ: أَرْجُـو أَنْ تَكُونُـوا ثُلُثَ أَهْـلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَـا. فَقَـالَ: أَرْجُـو أَنْ تَكُونُـوا نِصْـفَ أَهْـلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا) رواه البخاري.

وعن عمـر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه قـال: (قُلْتُ لِلنَّبِيِ صلى الله عليه وسـلم: طَلَّقْتَ نِسَـاءَكَ؟ قَـالَ: لاَ. قُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ) رواه البخاري (6218).

قـال ابن بطـال رحمـه اللـه – في شـرحه للبخـاري -: (التكبـير والتسبيح معناهما تعظيم الله وتنزيهه من السوء، واستعماله عند التعجب واستعظام الأمور حسـن، وفيـه تمـرين اللسـان على ذكر الله، وذلك من أفضل الأعمال).

وعن أنس بن مالك رضـي اللـه عنـه (أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صـلى الله عليه وسلم غَزَا خَيْبَرَ... فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَـبَاحُ الْمُنْـذَرِينَ) متفق عليه.

وتكبيره عليه الصلاة والسلام وقع استبشارا وتفاؤلا بفتح خيبر وتخليص المسلمين من أذى اليهود فيها.فهذه الأحاديث – وغيرها – تدل على مشروعية التكبير عند رؤية الشيء المستحسن، أو عند التعجب من أمر ما، وأنه لا حرج على من يفعل ذلك، سواء كان على وجه الانفراد أم في جماعة من الناس [172].

* * * * * * * * *

25- التكبير عند الحريق: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الحريق، فكبروا، فإن التكبير يطفئه) [173].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى – زاد المعاد -: لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، كان للشيطان إعانة عليه وتنفيذ له؛ فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد، وكبرياء الرب -عز وجل- تقمع الشيطان وفعله، ولهذا كان تكبير الله -عز وجل- له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء الله -عز وجل- لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان، التي هي مادته، فيطفئ الحريق، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك، والله أعلم.[174]

172- حكم التكبير عند رؤية الشيء المستحسن – موقع الإسلام سؤال وجواب.

173- رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة - برقم 289ـ 292 - وقال الإمام المناوي في الفيض: (عند ابن السني وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمرو ابن العاص وإسناده ضعيف لكن له شواهد) نقلا عن موقع ملتقى أهل الحديث.

174- ويقول أحد الباحثين: إن إطفاء الحرائق من خلال الترددات الصوتية المنخفضة يعتبر طريقة فعالة ورخيصة وتحمي البيئة من التلوث، لأن معظم مواد الإطفاء هي مواد كيميائية تترك آثاراً على البيئة. ومع أن هذه التجربة طبقت على حرائق صغيرة، ولكن يأمل الباحثون بتطوير الجهاز والبحث عن الترددات الصوتية المناسبة والأكثر فعالية في إخماد الحرائق الكبيرة. إذاً

وإن كان شرع التكبير عند الحرائق، وهو من المصائب والبلايا التي تقع على العباد، فيقاس عليه كل ما يصيب المسلمين من البلايا والرزايا، كما هو الحال في فيروس كورونا وغيره.

وقد ذهب الإمام ابن تيمية – رحمه الله- إلى جواز التكبير في كل الأمور العظام، فقال في مجموع الفتاوى (24/ 229): وروي " أن التكبير يطفئ الحريق ". فالتكبير شرع أيضا لدفع العدو من شياطين الإنس والجن والنار التي هي عدو لنا.

وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع أو لعظمة الفعل أو لقوة الحال. أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة: ليبين أن الله أكبر وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار فيكون الدين كله لله ويكون العباد له مكبرين فيحصل لهم مقصودان. مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه [175].

27-26- الأذان في أذن المولود اليمنى، والإقامة في اليسرى. قال الإمام ابن القيم: "وسِرُّ التأذين وَاللهُ أعلم؛ أن يقرع سمعَ الإنسان كلماتُ النداء العلوي المتضمِّنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أوَّل ما يدخل بها في الإسلام؛ فكان ذلك كالتلقينِ له شعار الإسلام عند دخوله

الحقيقة العلمية التي تم اختبارها عملياً، تؤكد أن الصوت يطفئ الحريق، والترددات الأكثر تأثيراً على الحريق هي الترددات المنخفضة، وفي اللغة العربية لدينا حروف مثل الهاء والباء هي الأكثر انخفاضاً من حيث الذبذبات الخاصة بها... هذه حقيقة علمية جربها باحثو جاعة جورج ماسون عام 2015، ولكن ماذا عن حبيبنا عليه الصلاة والسلام قبل أربعة عشر قرناً! ماذا قال، وهو سيد العلماء والذي لا ينطق عن الهوى؟ (مقال: التكبير يطفئ النار.. سبحان الله! - بقلم عبد الدائم الكحيل - موقع أسرار الإعجاز. العلمي).

[175]- التكبير عند المصائب والشدائد - د مسعود صبري – مجلة المجتمع.

إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر" [176].

*** *** ***

28- التكبير عند ختم القرآن بعد كل سورة من الضحى إلى الناس:

التكبير في السور الأخيرة سنة وهو قراءة البزي عن ابن كثير، ويشرع عنده أن تجمع التهليل والحمدلة مع التكبير كما قال الجزري في النشر وابن كثير في التفسير، وقد ذكر ابن الجزري أنه جرت عادة المكيين من القديم بالمداومة عليه في التراويح[177].

176- تحفة المودود بأحكام المولود – للعلامة ابن القيم - الباب الرابع في استحباب التأذين في أذنه اليُمنى والإقامة في أذنه اليُسرى (ص31).

177- وقد ذُكر في سبب التكبير أسباب عديدة، أشهرها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد انقطع عنه الوحي مدة، فلما عاد بعد انقطاع نزل عليه بسورة الضحى، وفيها (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) فكبَّر فرحاً بهذا، وهذا لو صحَّ فإنه لا يدل على استحباب التكبير الذي قال به بعض القراء، وذلك من وجوه:
1. أنه ليس فيه تكبير من بعد كل قراءة للسورة.
2. وليس فيه أنه كبَّر إلى سورة الناس.
3. وأنه كان التكبير مرة واحدة ولسبب مجيء الوحي بعد انقطاعه.
4. وأنه ليس في كل السور الأخرى ما في سورة الضحى من معاني.
على أن هذه الرواية لم يأتِ لها سند صحيح بل ولا ضعيف.

قال ابن كثير رحمه الله: وذكر القرَّاء في مناسبة التكبير من بعد سورة الضحى: أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ثم جاءه الملَك فأوحى إليه: (وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) السورة بتمامها: كبَّر فرَحًا، وسرورًا.ولم يُروَ ذلك بإسناد يُحكم عليه بصحة أو ضعف، فالله أعلم " انتهى.

وقال الدكتور أيمن سويد في شرحها: ذهب جماعة من أهل الأداء عن حفص إلى الأخذ بالتكبير ولهم فيه ثلاثة مذاهب:

الأول: التكبير أول ألم نشرح وما بعدها إلى أوّل الناس.

الثاني: التكبير آخر الضحى وما بعدها إلى آخر الناس.

الثالث: التكبير أول كل سورة سوى براءة أما براءة فلا تكبير فيها لأن التكبير لابد من اقترانه بالبسملة ولابسملة فيها.وذهب الجمهور إلى تركه مطلقا.

29- التكبير في الغزو والجهاد: ففي صحيح البخاري عن أنس- رضي الله عنه- قال:صبّح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خيبر وقد خرجوا بالمساحي -آلة كالفأس- على أعناقهم، فلمّا رأوه قالوا: محمّد والخميس – الجيش -، محمّد والخميس، فلجأوا إلى الحصن، فرفع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يديه وقال: (اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)[الصافات: 177]،قالَهَا ثَلَاثًا، قالَ: وخَرَجَ القَوْمُ إلى أعْمَالِهِمْ.[178]

---

[178]- والسَّاحةُ: هي المكانُ الواسعُ عندَ الدُّورِ، «فَسَاءَ»، أي: قَبُحَ صَباحُ المُنذَرينَ؛ قالها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثلاثًا؛ استِبشارًا منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بما فُتِحَ مِن خَيبرَ.وقد كان الحالُ في خَيْبرَ عندَ دُخولِها أنَّ أهلَ خَيبرَ كانوا خارجينَ إلى أعمالِهم، حيث كانوا أهلَ زَرعٍ وحَرْثٍ، فقالوا: مُحمَّدٌ والخَميسُ.(الدرر السنية)

وكما كبر رسول الله صلى الله عليه وسل كبر أيضا في غزوة الخندق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لمَّا أمرَنا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُحفَرِ الخندقَ عرضَ لنا حجَرٌ لا تأخُذُ فيهِ المعاولُ فاشتكينا ذلِكَ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فجاءَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فألقى ثوبَهُ وأخذَ المعولَ وقالَ (بِسمِ اللَّهِ) فضربَ ضربةً فَكسرَ ثلُثَ الصخرة ثم قال (اللَّهُ أكبرُ أعطيتُ مفاتيحَ الشَّامِ، واللَّهِ إنِّي لأبصِرُ إلى قصورِها الحمراءِ الآنَ من مكاني هذا) قال ثمَّ ضربَ أخرى وقالَ (بسمِ اللَّهِ) وكسر ثُلثًا آخرَ وقالَ (اللَّهُ أكبرُ أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ واللَّهِ إنِّي لأبصرُ قصرَ المدائنِ الأبيضَ) ثمَّ ضربَ الثَّالثةَ وقالَ (بسمِ اللَّهِ فقطعَ الحجرِ وقالَ اللَّهُ أكبرُ أعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ واللَّهِ إنِّي لأبصر باب صنعاءَ) [179].

واستخدمها الصحابة من بعد ذلك في معاركهم لتحميس الجنود كسعد بن أبي وقاص رضي اللله عنه في موقعة القادسية عام 14هـ، عندما كبّر 4 مرات قبل الهجوم على الفرس بجيش المسلمين. والنعمان بن مقرن رضي اللله عنه في النهاوند عام 21 هـ.

وأخيرًا: إن التكبير يدل على كبرياء الله سبحانه، وتكراره في هذه المواطن بهذا العدد له أثر إيماني في حياة المسلم، والارتقاء بصاحبه إلى المنازل العالية، والدرجات الرفيعة.

فهو يجدد عهد الإيمان، ويقوي الميثاق الغليظ، والارتِباطُ باللـه العليِّ الكبير، ومعه تطمئنُّ النفوسُ إذا اضطربَت،

179- أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (8858)، والروياني في ((المسند)) (410)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (3/421) وذكره عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى - ص (510) وأشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد (الدرر السنية – الموسوعة الحديثية).

وتسكُنُ به القلوبُ إذا احتارَت، وتنامُ عليه العيونُ إذا سهِرَت.

فما أحرانا أن نواظب عليه في كل الأماكن التي يشرع فيها؛ فإن لذلك أثرا عظيما في الصلة مع الله سبحانه، والخضوع لعظمته وجلاله.

*** *** ***

الفصل السادس: حقيقة لا حول ولاقوة إلا بالله وفضائلها ومواطنها وفوائدها وروحانياتها

المبحث الأول: حقيقة لا حول ولاقوة إلا بالله (الحوقلة).

المبحث الثاني: فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: فضائل (الحوقلة) في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل (الحوقلة) في السنة المشرفة.

المبحث الثالث: فوائد (الحوقلة) وروحانياتها.

المبحث الرابع: الأوقات والمواطن التي تُستحب فيها الحوقلة.

المبحث الخامس: قصص أثر الإكثار من الحوقلة في تفريج الهموم.

المبحث الأول: حقيقة لا حول ولاقوة إلا بالله (الحوقلة)

حقيقة لا حول ولاقوة إلا بالله[180]:

لفـظ (الحـول): أي الحركـة، أو التحـول من حـال إلى حـال ويتناول كل تحول من حال إلى حال،قـال الهـروي: قـال أبـو الهيثم: الحول الحركة، أي لا حركة، ولا استطاعة إلا بمشـيئة الله.

ولفظ القـوة: معناهـا القـدرة والاسـتطاعة؛ أي لا يقـدر أحـد على شيء إلا بمعونة اللـه، ويقـال: القـوة والقـدرة والوُسـع والطاقة، بمعنى واحد.

180- معنى لا حول ولا قوة إلا بالله – فتوى (292339) - موقع الإسـلام سـؤال وجواب، ومقال دلالـة: لا حـول ولا قـوة إلا باللـه وفضـائل قولهـا على ألسـنة البشر – د علي الصلابي – مدونة الجزيرة. (بتصرف).

والمراد من القوة هنا: هي القدرة على ذلك التحول فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي، حركة وتحول، من حال إلى حال، ولا قدرة على ذلك؛ إلا بالله.

ومن العلماء من يفسر ذلك بمعنى خاص، فيقول: لا حول عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته. فقصر معناها على ذلك دون سائر التصرفات.

والصواب الذي عليه الجمهور: هو التفسير الأول، وهو الذي يدل عليه اللفظ؛ فإن الحول لا يختص بالحول عن المعصية، وكذلك القوة لا تختص بالقوة على الطاعة؛ بل لفظ الحول يعم كل تحول.

وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: " ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله.

نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله. ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله، والثبات عليها: إلا بتوفيق الله" انتهى.

ويقول ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا تَأْثِيرُ " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ - يعني داء الهم والغم - فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، إِلَّا بِهِ، وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ.

وَعُمُومُ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ، وَالْقُوَّةِ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاللَّهِ، وَحْدَهُ فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ.وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ إِنَّهُ

مَا يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا بِلَا حَوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[181].

*** *** ***

وعليه هذه الجملة العظيمة فيها التسليم لله تعالى والاعتماد عليه، وأن (الحول) - أي الحركة، أو (التحـول) من حـال إلى حال - والقوة على الطاعة، لا تكـون إلا باللـه.فلا تحـول عن معصية الله، إلاّ بتوفيقـه وعصـمته، ولا قـوة على طاعتـه إلاّ بمعونته.

وفيها إقـرارٌ بقـدرة اللـه ذي الجلال والإكـرام، وافتقـارٌ وذلٌّ للخالق العظيم، ولجوءٌ إلى الله القدير العزيز.

*** *** ***

وهي كلمـة اسـتعانة باللـه العظيم: ومن اسـتعان باللـه جـل جلاله، فالله سـبحانه يعينـه على قضـاء حوائجـه، وجميـع مـا يصلحه. والاستعانة بالله من أفضل العبادات وأجلّهـا وتعـرف منزلتهـا وعظم شـأنها - أخي القـارئ الكـريم - من خلال سـورة الفاتحـة الـتي أمـر اللـه سـبحانه عبـاده أن يتعبـدوه بتلاوتها يوميًا مرارًا، وذلك في قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فهذه الآية فيها إخلاص الاستعانة لله لأنه قـدم مـا حقه التأخير فأفاد حصر الاسـتعانة باللـه وكـذلك لا حـول ولا قوة إلا بالله كلمة تحتوي على الإخلاص للـه بالإسـتعانة فهي تدل على ما دلت عليه. قول لا حـول ولا قـوة إلا بالله وذلـك يوجب الإعانة ولهذا سنها النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا قال المؤذن: حي على الصـلاة، فيقـول المجيب: لا حـول ولا

[181]- زاد المعاد - لابن القيم - (4/193).

قـوة إلا باللـه، فـإذا قـال: حي على الفلاح، قـال المجيب لا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * * * * * *

وفيها الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيـد الربوبيـة، وتوحيـد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية، فقائلها يقر ويعتقـد بـأن الله وحده المدبر بهذا الكون المتصرف بحكمته ومشيئته فلا يقع فيه شئ إلا بإذنه ومشيئته، كما أنه معترف بأن من كـان هذا وصفه فهـو بـالطبع غـنيًّ عن خلقـه قـائم بذاتـه متصـف بصفات الكمال من القـدرة والعظمـة والقـوة والعـزة، ومن يعتقـد هـذا في خالقـه كـان عليـه لزامًـا أن يؤلهـه ويعبـده ويقصده ويلتجئ إليه ولا يرجو أحدًا سواه.

وفيهـا معـنى التوكـل على اللـه وتفـويض الأمـور إليه، والاستسلام والإذعان له مع إظهار الذل والافتقار له سبحانه فهو الغني والعبد فقير إليه لا يملك من أمره شيئًا.

* * * * * * * * *

المبحث الثاني: فضائل لا حول ولاقوة إلا بالله في القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول: فضائل (الحوقلة) في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فضائل (الحوقلة) في السنة المشرفة.

المطلب الأول: فضائل (الحوقلة) في القرآن الكريم

ما سأذكره من فضائلها هنا هو ما انفردت به عن بقية الباقيات الصالحات لئلا يحدث تكرار وقد سبق ذكر فضائلها وهي مقرونة بأخواتها في الفصل الأول.

أما فضلها في القرآن: ففي قوله تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا) سورة الكهف (39).

قال أهل التفسير[182]:

قوله تعالى: (وَلَـوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَـكَ) أي: هلا إذ دخلت جنتـك (قُلْتَ مَـا شَـاءَ اللَّهُ) أي الأمـر مـا شـاء اللـه. وقيـل: جوابـه مضمر أي: ما شاء الله كان، وقوله: (لَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفْع شيءٍ عنه إلا بإذن الله.

والمراد تحضيضه على الاعتراف بأن جنته وما فيهـا بمشـيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها، ودلالة الجملة على العموم الداخل فيه ما ذكر دخولا أوليا.

أي: هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وإقرارا بـأن مـا تيسـر لـك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره جل جلاله.

وقد تضمنت هذه الآية ذكرا جليلا آخر هو ما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال لي نبي الله صلى اللـه عليـه وسـلم: ألا أدلـك على كـنز من كنوز الجنة تحت العرش؟ قلت: نعم. قال: (أن تقول: لا قوة إلا بالله) قال عمرو بن ميمون: قلت لأبي هريرة: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقـال: لا، إنهـا في سـورة "الكهـف": ولـولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله[183].

وعن مطرف قال: كان مالك إذا دخـل بيتـه يقـول: مـا شـاء الله. قلت لمالك: لم تقول هذا؟قـال: ألا تسـمع اللـه تعـالى يقول: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللـه ونقـل عن ابن العربي أن مالكا يستدل بالآية على استحباب ما تضـمنته من الذكر لكل من دخل منزله). أخرجه ابن أبي حاتم.

182- انظر تفاسير البغوي والقرطبي والآلوسي والسعدي.
183- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – للسيوطي.

عن عـروة أنـه كـان إذا رأى من مالـه شـيئا يعجبـه أو دخـل حائطا – أي بستانا - من حيطانه قال: ما شاء الله لا قـوة إلا بالله ويتأول قول الله تعالى: ولولا إذ دخلت الآية. ويفهم من بعض الروايـات اسـتحباب قـول ذلـك عنـد رؤيـة مـا يعجب مطلقا سواء كان له أو لغـيره، وأنـه إذا قـال ذلـك لم تصـبه عين الإعجـاب) أخرجـه سـعيد بن منصـور وابن أبي حـاتم والـبيهقي في الشعب.

*** *** ***

فائدة: قال ابن رجب الحنبلي في تفسيره: قال ابن الجوزي نقلا عن بعض العلماء: وتدبرت قوله تعـالى: لا قـوة إلا باللـه فرأيت لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قائلهـا يتـبرأ من حولـه وقوتـه، ويسـلم الأمـر إلى مالكه.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا باللـه، فلا يخـاف منهم; إذ قواهم لا تكون إلا باللـه، وذلـك يـوجب الخـوف من الله وحده.

والثالث: أنـه رد على الفلاسـفة والطبـائعيين الـذين يـدعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القوي لا يكون إلا بالله.

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى [184]:

يريد الرجل المؤمن أنْ يُعلمـه - أي صـاحبه الكـافر - سـبيل الإيمان في استقبال النعمة، بـأنْ يـردَّ النعم إلى المنعم؛ لأن

[184]- تفسير الشعراوي – موقع نداء الإيمان – باختصار.

النعمـة الـتي يتقلّب فيهـا الإنسـان لا فضْـلَ لـه فيهـا، فكلهـا موهوبة من الله، فهذه الحدائق والبساتين كيـف آتتْ أُكُلهـا؟ إنها الأرض التي خلقها الله لك، وعندما حرثْتها – أيها الفلاح - حرثْتها بآلة من الخشب أو الحديد، وهـو موهـوب من اللـه لا دَخْلَ لك فيه، والقوة البدنية التي أعانتك على العمل موهوبة لك يمكن أن تُسلبَ منك في أيِّ وقت، فتصير ضعيفًا لا تقدر على شيء.

إذن: حينما تنظر إلى كُـلِّ هـذه المسـائل تجـدها منتهيـةً إلى العطاء الأعلى من الله سبحانه.

ومثال ثانٍ:

خُذْ هذا المقعـد الـذي تجلس عليـه مسـتريحًا وهـو في غايـة الأناقة وإبداع الصَّنْعة، من أين أتى الصُّنّاع بمادته؟ لـو تتبعتَ هذا لوجدتـه قطعـةَ خشـب من إحـدى الغابـات، ولـو سـألتَ الغابة: من أين لك هذا الخشب لأجابتْك من الله.

ومثال ثالث:

يُعلّمنا الحق سبحانه وتعالى الأدب مـع نعمتـه علينـا، بقولـه: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزارعون) [الواقعـة: 63-64].

هذه الحبة التي بذرتها في حقلك، هل جلستَ بجوارها تنميها وتشدّها من الأرض، فتنمو معك يومًا بعد يوم؟ إن كل عملك فيها أن تحرث الأرض وتبذر البذور، حتى عملية الحرث سخّر الله لك فيها البهائم لتقوم بهذه العملية، وما كان بوُسْعك أنْ تُطوّعها لهذا العمل لولا أنْ سخرها الله لك، وذلّلها لخدمتك، كما قال تعالى: (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُـوبُهُمْ وَمِنْهَـا يَـأْكُلُونَ) [يس: 72].ما استطعت أنت تسخيرها.

وحتى بعد أن ينمو الزرع ويُزهر أو يُثمر لا تأمن أن تأتيه آفةٌ أو تحلَّ به جائحة فتهلكه؛ لذلك يقول تعالى بعدها: (لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) [الواقعة: 65-67].

ومثال رابع:

كما يقول تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الجنة إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلاَ يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كالصريم) [القلم: 17-20].

وكذلك في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ المـآء الذي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المزن أَمْ نَحْنُ المنزلون) [الواقعة: 68-69].

هذا الماء الذي تشربونه عَذْبًا زلالًا، هل تعرفون كيف نزل؟ هل رأيتم بخار الماء الصاعد إلى الجو؟ وكيف ينعقد سحابًا تسوقه الريح؟ هل دريْتُم بهذه العملية؟ (لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا)[الواقعة: 70].أي: مِلْحًا شديدًا لا تنتفعون به.

فحينما يمتنُّ الله على عبيده بأيّ نعمة يُذكِّرهم بما ينقضها، فهي ليست من سَعْيهم، وعليهم أنْ يشكروه تعالى عليها لتبقى أمامهم ولا تزول، وإلاَّ فَلْيحافظوا عليها هم إنْ كانت من صُنْع أيديهم!

إذن: لو حلَّلْتَ أيَّ نعمة من النعم التي لك فيها عمل لوجدت أن نصيبك فيها راجع إلى الله، وموهوب منه سبحانه.

ثم ختم الشعراوي بلفتة تفسيرية عجيبة حيث يقول: والعجيب أن المؤمن الفقير الذي لا يملك من متاع الدنيا شيئًا يدل صاحبه الكافر على مفتاح الخير الذي يزيده من

خـير الـدنيا، رغم مـا يتقلّب فيـه من نعيمهـا، فمفتـاح زيـادة الخير في الدنيا ودوام النعمة فيها أن نقول: (مَا شَآءَ اللـه لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله) [الكهف: 39].

*** *** ***

المطلب الثاني: فضائل (الحوقلة) في السنة المشرفة

لقد ورد في فضائلها أحاديث عديدة، منها:

1/ لا حول ولا قوة إلا بالله سـبب في مغفـرة الـذنوب مهمـا كثرت: عن عبدِ الله بن عمرٍو رضي الله تعالى عنهمـا قـال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (ما علَى الأرضِ أحـدٌ

يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ ولا حـولَ ولا قـوَّةَ إلَّا باللَّهِ، إلَّا كُفِّرَت عنهُ خطاياهُ ولو كانت مثلَ زبدِ البحرِ) [185].

2/ لا حـول ولا قـوة إلا باللـه كـنز من كنـوز الجنـة: عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال:" كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَـا كَبَّرْنَـا، فَقَـالَ النـبي -صـلى الله عليـه وسـلم-: (ارْبَعُـوا عَلَى أَنْفُسِـكُمْ، فَـإِنَّكُمْ لاَ تَـدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُـولُ فِي نَفْسِي: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: (يَـا عَبْـدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَـا كَنْـزٌ مِنْ كُنُـوزِ الجَنَّةِ) أَوْ قَالَ: (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) متفق عليه.

قال النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: لا حـول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة: قال العلماء: سبب ذلك أنهـا كلمـة استسـلام وتفـويض إلى اللـه تعـالى واعـتراف بالإذعان له وأنه صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملـك شيئًا عن الأمر ومعنى الكفر هنا أنه ثـواب مـدخر في الجنـة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أمـوالكم. والكـنز مـال مجتمع لا يحتاج إلى جمع وذلك أنها تتضمن التوكل والافتقـار إلى الله تعـالى ومعلـوم أنـه لا يكـون شـئ إلا بمشـيئة اللـه وقدرته، وأن الخلق ليس منهم شئ إلا ما أحدثه الله فيهم.

3/ لا حول ولا قوة إلا بالله باب من أبواب الجنـة:: عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صلى اللـه عليـه وسلم- يَخْدُمُهُ، قَالَ: فَمَرَّ بِيَ النَّبِيُّ -صلى الله عليـه وسـلم- وَقَدْ صَـلَّيْتُ فَضَـرَبَنِي بِرِجْلِـهِ وَقَـالَ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَـابٍ مِنْ

185- أخرجه الترمذي (3460) واللفظ له، والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (124)، وأحمد (6479) وحسَّنه الألباني في صـحيح سـنن الترمـذي – حـديث رقم (3460).

أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى؟ قَالَ: (لَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّه).
رواه الترمذي وصححه.

4/ قول لا حول ولا قوة إلا بالله يوجب الإعانـة: ولهـذا سـنها النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا قـال المـؤذن: حي على الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله، فـإذا قـال: حي على الفلاح، قـال المجيب "لا حــول ولا قــوة إلا بالله"، وقال المـؤمن لصـاحب الجنـتين المـذكور في سـورة الكهـف(39): (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا)، قـال مالـك رحمـه اللـه: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا.

ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شئ فقولـه: مـا شـاء الله، تقديره: ما شاء اللـه كـان فلا يـأمن، بـل يـؤمن بالقـدر ويقول لا قوة إلا بالله.

5/ لا حول ولا قوة إلا بالله مع الباقيات الصالحات تنـوب عن تلاوة القرآن في حق من لا يحسنه: عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَـالَ: إِنِّي لَا أَسْـتَطِيعُ أَنْ آخُـذَ مِنَ الْقُـرْآنِ شَـيْئًا، فَعَلِّمْنِي شَـيْئًا يُجْـزِئُنِي مِنَ الْقُـرْآنِ، فَقَالَ: (قُلْ: سُـبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) قَالَ: فَذَهَبَ، أَوْ قَامَ، أَوْ نَحْـوَ ذَا، قَـالَ: هَـذَا لِلَّهِ، فَمَـا لِي؟ قَـالَ: (قُـلْ: اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَـــــافِنِي، وَاهْـــــدِنِي، وَارْزُقْنِي – أو: ارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي) رواه الإمام أحمد وهوحسن بطرقه.

6/ لا حول ولا قوة إلاّ بالله من غراس الجنة: عن أبي أيــوب الأنصاري رضي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ليلة أسري به مـر على إبـراهيم عليـه السـلام فقـال: من معك يا جبريل؟ فقال: هذا محمد، فقال له إبراهيم عليه السلام:(مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ

وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ، قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني.

7/ لا حول ولا قوة إلاّ بالله سبب في حفــظ النعم: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســلم: (ما أنعم الله تعالى على عبد نعمــة في أهـل أو مـال أو ولـد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع اللـه تعـالى عنـه كل آفة حتى تأتيه منيته، وقرأ: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُــوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) رواه أبــو يعلى وابن مردويــه والــبيهقي في الشعب.

8/ لا حول ولا قوة إلاّ بالله يصير بها العبد مسلمًا ومستسلمًا لله تعالى: عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم قال لـه (ألَا أدُلُّكَ على كلِمَـةٍ مِنْ تحتِ العـرشِ، مِنْ كـنزِ الجنـةِ؟ تقـولُ: لا حـولَ ولَا قـوةَ إلَّا باللـهِ، فيقولُ اللهِ: أسلَمَ عبدي واسْتَسْلَمَ).[186]

*** *** ***

[186]- أخرجه أحمد (2/ـ 520)، والنسائي في ((الكبرى)) (6/ـ 7)، والحـاكم في (المسـتدرك) - (1/ـ 71) كلهم بـاختلاف يسـير، وصـححه الألبـاني في صـحيح الجامع - حديث رقم (2614).

المبحث الثالث: فوائد (الحوقلة) وروحانياتها

مما سبق من تلك الفضائل العظيمة يعلم المؤمن عظم قدر الحوقلة وكثرة فوائدها وبركاتها في الدنيا والآخرة ولذا أحببت أن أشير إلى شيئ مما يتعلق بفوائدها ورواحانيتها مستعينا بالله تعالى قائلا [187]:

فمن فوائدها وروحانياتها: الاطمئنان إلى حفظ الله لك ولأهلك عند مدخلك ومخرجك لما تقدم من حديث حفظ النعمة وفيه تلا الحبيب صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، وعليه ليست لك يد في حراسة البيت لأن الله يحرسه ولا دخل لك في رزقك ورزق أولادك فالله يرزقكم جميعا، لكن بشرط أن يكون قائلها عالمًا بمعنى ما يقول، مُدركا لمدلوله ومقاصده، إذ بذلك يُؤتِي الذكرُ ثمارَه، وتتحققُ فائدتُه، ويَنتفعُ به الذاكر.

ومن فوائدها وروحانياتها: أنها كلمة إسلام واستسلام وتوكل خالص، وتفويضٍ وتبرّؤٍ من الحول والقوّة إلاّ بالله، واعترافٍ بالإذعان له، وأنَّ العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلةٌ في دفع شر أو ضُر، وليس له قوةٌ في جلب خير أو نفع إلاّ بإرادة الله تعالى ومشيئته، وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إذا قال العبد لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، قال الله: أسلم عبدي واستسلم). استسلم لعظمة الله، وفوَّض أمورَه كلَّها إليه، وتبرأ من الحولِ والقوةِ إلاّ بالله.

[187]- مستفاد من مقال فضائل ومعاني لا حول ولا قوة إلا بالله (2) - الرهواني محمد – شبكة الألوكة. ومقال فتح الإله في فضل لاحول ولا قوة إلا بالله - الشيخ: خالد بن علي أبا الخيل - ملتقى الخطباء - بتصرف.

*** *** ***

ولكن المؤسف، إذا تأملنا حالنا وحياتنا نجد أنفسنا أن قلوبنا قد تعلقت بالأسباب، وانصرفت عن مسبب الأسباب، ومالك الأرض والسماء، ومدبر شؤون العباد كلِّها بأمره وحكمته.

المؤسف أننا نسينا، بل أننا تناسينا وتغافلنا عن قول ربنا في سورة الفاتحة: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]. وإياك نستعين نرددها ما يفوق الثلاثين مرة في اليوم والليلة في صلواتنا ولا نجد لها تأثيرا لا على جوارحنا ولا في حركاتنا ولا سلوكياتنا.

ومن فوئدها وروحانياتها: أنه لا تحوُّلَ لنا جميعا من الوَهن إلى القوة، ولا من النقصان إلى الزيادة ولا من القلة إلى الكثرة إلاّ بالله، ولا تحولَ من الحزن إلى الفرح إلا بالله وبإذن الله، ولا تحولَ من الذُّل إلى العِزة إلا بالله، ولا تحولَ من الهزيمة إلى النصر إلا بالله، ولا تحولَ من المرض إلى الشفاء إلا بالله، ولا تحولَ من الفقر إلى الغنى إلا بالله، ولا تحولَ من الفشل إلى النجاح إلا بالله، ولا يُعين على هذا التحولِ إلا الله، ولا قوةَ للعباد على القيام بشأن من شؤونهم، أو تحقيق أمرٍ إلاّ بالله العلي العظيم، فما شاء الله كان كما شاء في الوقت الذي يشاء، وعلى الوجه الذي يشاء من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ ولا تقدّمٍ ولا تأخر، وما لم يشأ لم يكن.

ومن فوائها وروحانياتها: بالإكثار منه يصل العبد إلى درجة اليقين بأن أمور الكون بيد الله تعالى يُصرفها كيف يشاء ويقضي فيها بما يريد بقضائه وقدرته ولا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد وله

النعمة والفضل وله الثناء الحسن، شملت قدرته كلَّ شـــيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

*** *** ***

ومن فوائدها وروحانياتها: أن كـل مـا يجـري في هـذا الكـون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى ولا يخرج عن إرادته وعلمـه وقدرتـه، قـال ربنـا: ﴿وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255].

وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: 12].

والناظر لحالنـا يـرى العجب العجـاب، فمنـا من يتعلـق قلبـه بالمال، ومنـا من يتعلـق قلبـه ببعض الأشـخاص لكي يقضـوا حوائجه، ومنا من يتعلق قلبه بقوَّتِه وحولِه في قضـاء أمـوره وبسط سلطانه على الناس.. والطالب يتعلق قلبـه بمـذاكرة الدروس والاجتهاد فيها ويظن أن ذلك فقط هو سبيل نجاحـه وتفوقـه، والتـاجر يتعلـق قلبـه بحنكتـه وخبرتـه في التجـارة والفلاح يتعلق قلبه ببذل مجهوده على الأرض.

ومنا من يتعلق قلبه بمكانته وسلطته ويظن أنهـا سـبيله إلى العلو والمفاخرة بين أبناء جنسه وهكذا دواليك.. وقـد نسـينا أو تناسينا أن الأمر بيـد اللـه أولا وآخـرا، وأن شـؤونَ الخلـق مُدبرةٌ تحت مشيئته وقوَّته وحكمته، وأنه لا حولَ ولا قـوة إلا بالله.

فالمُوَفق من وَفقه الله لهذا العطاء والكرم- أعني فهم أن القوة لله جميعا وأن العبد ضعيف - قال ربنا حاكيا قول شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فإنه هو المعين وإليه نفوض أمورنا وهو ثقتنا، وعليه يجب أن يكون اعتمادنا في أمورِنا كلِّها.

ومن فوائدها وروحانياتها: إذا ضاقت بك الطرق واشتد المأزق فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله. إذا تراكمت عليك الديون وكثر المُطالبون فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا عظم الخطب واشتد الكرب فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا بُليت بالمعاصي والقلب القاسي فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله إذا كثرت الفتن وتوالت المحن فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا هممت بالطاعة وفعل العبادة فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا عجزت عن المأمور وثقل عليك المفروض فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا تثاقلت عن قيام الليل والوتر وقراءة القرآن والصلاة والبر وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران وصنع المعروف للناس فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

*** *** ***

ومن فوائد وروحانيات لا حول ولا قوة إلا بالله: أن تعلم أن الأشياء ليس لها دون قوته ثبات، ولو تركها لحالت عن موضوعاتها وإدخالها الشتات.

وأن تعلم أن الله تعـالى هـو اخـترع بقوتـه الحـوادث ويُحيـل بقدرته العالم ومَن فيه، فيكون هو الوارث. لا حـول ولا قـوة إلا بالله الذي تألق هذا النظام بقدرته وأنتج، وبقدرته عرج ما عرج، وخرج من الأرض ما خرج.

ومن فوائدها وروحانياتهـا: لا حـول ولا قـوة إلا باللـه الـذي بقوته فلق الإصباح وفلق الحب والنوى، وفرق بين الأجسـام والأرواح. لا حول ولا قوة إلا باللـه الـذي هـو مثبت لمـا شـاء وناسـخ وبقوتـه ثبتت السـماوات واسـتقرت الأرض الجبـال الرواسخ.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بـنى السـماوات بأيـد، وأرسـى الأرض بالجبال فأمسكها عن الميل. لا حول ولا قـوة إلا بالله الذي أمره في كل شيءٍ نافذ وكل موجـودٍ فلقدرتـه مسـتلمٌ وبه معتصمٌ ولائذ.

*** *** ***

ومن فوائدها وروحانياتها: أن تستحضر بقلبك أن اللـه تعـالى القوي المتين القادر هو الـذي في قدرتـه يتصـرف كـل واردٍ وصادر.

فلا حـول ولا قـوة إلا بالله الـذي جـلَّ بقدرتـه وعـز وأمسـك العرش ومَن حولـه بقوتـه فقـرَّ ومـا اهـتز، وبسـط لبسـيطه بقوته بسـطًا، ورفـع السـماوات بقدرتـه وبهـا يحطهـا حطـا. والذي هو للأشياءِ بقوته حافظ، الممتنـع بحجـاب قدرتـه عن أن يصل إليه طرفُ لاحظ.

ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي هو لكل شيء بقدرتـه مالـك، وبقوته استطاع على إمساك النار مالك.

ومن فوائدها وروحانياتها: استحضار أنه لا حول ولا قوة إلا بالله الذي له القوة والحول، وهو الممتنع في سلطانه فلا يدور عليه شهرٌ ولا حول،وهو بالقوة مختص، وكل موجودٍ سواه يُخامره الوهن والنقص. وبقوته ارتفع وامتنع وتعزز بقدرته فخضع له كل شيءٍ وخنع.

ومن فوائدها وروحانياتها: العلم بأن لا حول ولا قوة إلا بالله الذي لا شيء لقدرته بالغ وبقوته جرت في أفلاكها النجوم والشمس والقمر بازغ. لا حول ولا قوة إلا بالله الذي أمد مَن شاء بقوة من نوره واصطفى، وأشعل في قلبه سراج التوفيق فما انطفأ، "لا حول ولا قوة إلا بالله" الذي شد بقوته الأشياء وتاق وهو ينقصها إذا شاء بقدرته فتفرق بعد التئامها افتراقا. "لا حول ولا قوة إلا بالله" الذي بقوته رفع السماوات، دون أن يجعل لها عمدًا ولا أُسَّ وبقوته دحى البسيطة وأثبت عليها الجبال وأرسى.

ومن فوائدها وروحانياتها: لا حول ولا قوة إلا بالله الذي جعل جبريل شديد القوى فبقوته يعلو إذا علا ويهوي إذا هوى. لا حول ولا قوة إلا بالله الذي بقوته أمسك السماوات والأرض أن تزولا، وبقوته يُحل نظام العالم إذا شاء فيُصبح محلولًا. لا حول ولا قوة إلا بالله الذي قام كل شيء وبقدرته يُفني ويُحيي كل ميت وحي.

لا حول ولا قوة إلا بالله الذي حبا بالقوة والعصمة مَن حبا وأحال مَن شاء عن منهج طاعته فعاد مفتول الشباب.

*** *** ***

المطلب الرابع: أوقات تستحب فيها الحوقلة

ورد في الأحاديث النبوية الحثُّ على قول لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ في مواطن عديدة وذلك بمثابة إحياء القلب، لأن العبد كلما يقولها يتذكر ضعفه وفقره وحاجته الماسة إلى عون ربه وإمداده بالقوة ليواصل مسيرته إلى الله تعالى في وسط هذا الزحام من العقبات التي تتناوشه من هنا وهناك، إضافة إلى أنها (الحوقلة) سبب لنيل لمغفرة والرحمة والهداية والرزق، ومن مواطنها ما يلي:

1/ الذكر المطلق: عن سعد بنِ أبي وقَّاص رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: علِّمني كلامًا أقولُه، قال قل: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهُ أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم) قال:

فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال قل: (اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدِني، وارزقني) رواه مسلم.

2/ عند قول المؤذن: "حي على الصلاة" و"حي على الفلاح": عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قال المؤذِّن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدُكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدًا رسولُ الله، قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم قال: حيَّ على الصلاة، قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثم قال: حيَّ على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه - دخل الجنة) رواه مسلم.

معنى لا حول ولا قوة إلا بالله في هذا المقام الاستعانة كأنك تقول في جواب المؤذن: سمعنا وأطعنا، ولكننا نسأل الله العون على الصلاة والفلاح، فهي كلمة إسلامٍ واستسلام، وتفويض وتبرئ من الحول والقوة إلا بالله.

* * * * * * * * *

3/ بعد التسليم من الصلاة المكتوبة: عن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال: (كان ابن الزبير رضي الله عنهما يقول في دُبُر كلِّ صلاة حين يُسلِّم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إيَّاه، له النعمةُ وله الفضل، وله الثناءُ الحسن، لا إله إلا الله مخلِصين له الدين ولو كره الكافرون، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهلِّل بهنَّ دبرَ كلِّ صلاة) رواه مسلم.

4/ عند الاستيقاظ من الليل: عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ -أي: تقلب من الليل - فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ) رواه البخاري.

5/ من قالها عند الخروج من البيت مع البسملة والتوكل على الله أنه يوفى ويُكفى ويُهدى: عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خرج الرجلُ من بيتِهِ فقال: بِسْمِ اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. قال: يُقالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وكُفِيتَ ووُقِيتَ، فتَتَنَحَّى له الشياطينُ، فيقولُ شيطانٌ آخَرُ: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟) [188].

*** *** ***

6 – الإكثار منها عند الوقوع في كرب أو غم: لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوع من الطائف بهذه المناجاة العظيمة: (اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا

---

[188]- أخرجه أبو داود – رقم (5095) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9917) باختلاف يسير وصححه الألباني في صحيح أبي داود - حديث الرقم: 5095

وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك)[189].

فما كاد ينتهي من دعائه حتى أرسل الله إليه ملك الجبال فَسَلَّمَ عَلَيه، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه مسلم.

فكان هذا أول النصر، وأن السماء معه فإن كان أهل الأرض قد ابتعدوا عنه ورفضوا إيواءه ونصره فإن من في السماء لن يتخلى عنه، ولن يسلمه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الزاد: وأما تأثير "لا حول ولا قوة إلا بالله" في دفع هذا الداء - يعني: الكَرْب والهَمَّ والغَمَّ والحُزن - فلِمَا فيها مِن كمال التفويض، والتبرؤ من الحول والقوة إلاَّ به، وتسليم الأمر كلِّه له، وعدم منازعته في شيء منه، وعموم ذلك لكل تحوُّل مِن حالٍ إلى حالٍ في العالم العلوي والسُّفلي، والقوة على ذلك التحول، وأنَّ ذلك كلّه بالله وحدَه، فلا يقوم لهذه الكلمة شيء، ولها تأثير عجيب في طرد الشيطان والله المستعان. انتهى.

[189]- رواه الطبراني في " الدعاء " (ص/315) واللفظ له، وعزاه بعض أهل العلم إلى " المعجم الكبير " للطبراني، ومن طريقه الضياء المقدسي في " المختار " (9/179)، ورواه ابن عدي في " الكامل " (6/111)، ومن طريقه ابن عساكر (49/152)، ورواه الخطيب البغدادي في " الجامع لأخلاق الراوي " (2/275) كما ذكره ابن هشام في السرة،وغيرهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولْيكن هِجِّيراه - أي عادته ودأبه -: "لا حـول ولا قـوة إلا باللـه" فإنهـا بهـا تُحمَـل الأثقال، وتُكابَد الأهوال، ويُنال رفيعُ الأحوال.

وقـال احـد الصـالحين: ولم يـزل اللاهجـون بهـذه الكلمـة العظيمـة يشـاهدون من بركاتهـا شـيئًا عظيمًـا.وقـد وجـدتُ ووقفت على آثارها شيئًا عجيبًا.فسبحان من لا حَولَ ولا قـوة إلا به.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقـطع أحـيانا بصـاحبه لا تيـــأسن فإن الكافـي الله

إذا بليت فثق بالله، و ارض به إن الذي يكشف البلوى هــو الله

الله يحدث بعد العــسر ميسـرة لا تجزعن فإن الصـانع الله

والله مالك غـير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

* * * * * * * * *

المبحث الخامس

قصص أثر الإكثار من الحوقلة في تفريج الهموم

أشــرت في المطلب الســابق إلى أن من المــواطن الــتي يستحب فيها قول الحوقلة عند حصـول الكـرب ونـزرل الغم فأحببت أن أذكر في هذا المطلب ذكـر بعض القصـص الـتي أكرم الله فيها المكثرين من الحوقلة بزوال همومهم وتفريج كرباتهم بفضله وكرمه وببركة هذا الذكر العظيم.

القصة الأولى: قصـة عـوف بن مالـك الأشـجعي مـع قـول لا حول ولا قوة الا بالله [190]:

ذهب عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله عليـه الصـلاة والسلام وقال له: يا رسول الله، إن ابـني مالكًـا ذهب معـك غازيًا في سبيل الله ولم يعد، فماذا أصنع؟، لقد عــاد الجيش ولم يعد مالك ــ رضـي اللـه عنـه ــ قـال رسـول اللـه عليـه الصلاة والسلام: (يا عـوف، أكـثر أنت وزوجـك من قـول: لا حول ولا قوة إلا بالله)، فذهب الرجل إلى زوجته الــتي ذهب وحيدها ولم يعـد، فقـالت لـه: مـاذا أعطـاك رسـول اللـه يـا عوف؟، قال لها: أوصاني أنا وأنتِ بقول: لا حول ولا قــوة إلا بالله، فمـاذا قـالت المـرأة المؤمنـة الصـابرة؟، قـالت: لقـد صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام، وجلسا يذكران اللــه بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأقبل الليل بظلامه، وطُرِق الباب، وقـام عـوف ليفتح فـإذا بابنـه مالـك قـد عـاد، ووراءه رؤوس الأغنـام سـاقها غنيمـة، فسأله أبوه: ما هذا؟، قال: إن القـوم قـد أخـذوني وقيّـدوني بالحديد وشدّوا وثاقي، فلما جاء الليـل حـاولت الهـروب فلم أستطع لضيق الحديد وثقله في يدي وقدمي وفجـأة شـعرت بحلقات الحديد تتّسع شـيئًا فشـيئًا حـتى أخـرجت منها يـديّ وقدميّ، وجئت إليكم بغنائم المشركين هذه.

[190]- هذه القصة ذكرها الطبري وابن كثير والقرطبي سببا لنزول قولـه تعـالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) سورة الطلاق (2) قال القرطبي: وقال أكـثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي.

فقال له عوف: يا بني، إن المسافة بيننا وبين العـدو طويلـة، فكيف قطعتها في ليلة واحدة؟ فقال له ابنه مالـك: يـا أبت، والله عنـدما خـرجت من السلاسـل شـعرت وكـأن الملائكـة تحملني على جناحيهـا، سـبحان اللـه العظيم!، وذهب عـوف إلى رسـول اللـه عليـه الصلاة والسـلام ليخـبره، وقبـل أن يخبره قال له الرسول عليه الصلاة والسلام: أبشر يا عـوف، فقـد أنـزل اللـه في شـأنك قرآنًـا: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًـا وَيَرْزُقْـهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِـبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا).

*** *** ***

القصة الثانية: امرأة سورية تحكي شـفاء والـدها الإكثـار من الحوقلة:

تقول صاحبة القصة: لي تجربة مع الحوقلة (لا حول ولا قوة الا باللــه) فهي كــنز من كنــوز الجنــة احب نشــرها لتعم الفائدة.... انا من سـوريا وكـانت مـدينتي محاصـرة ومهـددة وممنوع الخروج والدخول اليها فتـذكرت ان لا حـول ولاقـوة الا باللـه ترفـع البلاء فبـدأت واخـواتي بترديدهـا بـالالاف مـع اليقين بها وفي الليـل اصـاب أبي ذبحـة قلبيـة وفقـد الـوعي واحترنا في امرنا كيف نذهب به الى المشفى..!

وساء حاله حتى كدنا نفقده ولكن الله سخر لنا احد الاقـارب وضحى بنفسه ونقل ابي الى المشفى في الليـل الى مدينـة مجـاورة لنـا وعنـد وصـولهم الى المشـفى كـان ابي يلفـظ الانفاس الاخيرة اجرى لـه الاطبـاء خمس صـدمات كهربائيـة فعاد له النبض بأمره تعالى ووضع في العناية المركـزة تحت المراقبة الى اليوم الثاني.

وفي اليوم الثاني جاء الطبيب الي امي وقال لها نجاة زوجك معجـزة نجـا من المـوت بمعجـزة الهيـة انـا لا اصـدق نجاته.....اضافة الى اني اخرجت صدقة بعـد ذهـاب ابي الى المشـفى وقبـل ان نعلم مصـيره وقتهـا (داووا مرضـاكم بالصدقة) [191]حيث تذكرت هذا الحديث الشـريف واصـبح ابي بصحة جيدة ولله الحمد.

*** *** ***

القصة الثالثة: قصة رجل مستور الحـال يفـرج اللـه همومـه ببركة الإكثار من الحوقلة:

هذه قصة رجل مستور الحال لا يملك من الدنيا سوى قـوت يومه، يعمل بمقدار قوت يومه ويتعبد تقربا الى الله سـبحانه وتعالى، ويوما من الأيام ضرب زلزال المدينـة وتعـرض بيتـه الى أضـرار، وقـال لا حـول ولا قـوة الا باللـه العلى العظيم، وسكن فى بيته بعـد الزلـزال والمـنزل آيـل للسـقوط، وهنـا أمرته البلدية بوجوب إخلاء بيته، وأمرتـه أمـر بـذلك وقـال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

ثم بـدأ يبحث عمّن يداينـه المـال ليبـني بـدلا من بيتـه الـذي سوف يهدم، ولما لم يجد اضـطر إلى أن يقـترض المـال من البنك الربوي، وفعلا أخذ القـرض مضـطرا وهـو يقـول يـارب اني اشتد بي الحال واضطربت الى ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله.

ثم شرع في هدم بيته وأثناء قيام العمـال بهـدم الـبيت وهـو على رأسـهم إذ بصـندوق خشـبي مكـان الحفـر يصـطدم

[191]- حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: 3358.

بالمعول، وأخرجه الرجل وحاول فتحة، فإذا هو كنز ثمين ونفيس من الذهب القديم، وحينها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

وبسبب خوفه من الله ذهب الى أهل العلم من المسلمين ليستعلم هل استعمال هذا الكنز حرام ام حلال، وقالوا له يمكنك استعماله بشرط إخراج زكاته من نسبة المال المحول من الذهب، وفعلا قام ببيع الذهب الى أصحاب معامل الذهب ويحاسب بمبلغ كبير جدا من المال، واخرج زكاته وأول شيء عمله بالمال المتبقي الذهاب الى البنك وارجع المال المقترض وقال لا حول ولا قوة الا بالله الحمد الله التى بنعمتك أزلت عني ذنوبك الحمد الله صبرتني على ما الم بي ولكن بعطفك ورزقك واستجابتك أزلت عني الهموم والغموم ولا حول ولا قوة الا بالله.

*** *** ***

القصة الرابعة: فتاة سعودية تحكي قصة شفائها من السرطان ببركة الإكثار من الحوقلة والاستغفار:

تقول هذه الفتاة: قررت إني أحكي قصتي لعل شخصا يمر بحالتي ويستفيد منها، بدأت قصتي في شهر ٨ هذا العام قرروا ياخذو من رقبتي عينة والعينة يعني إبرة يسحبو من رقبتي دم وشي لونه تقريبا أصفر فاتح ف انتظرنا اسبوعين لحد ما درسوها في المختبر (للمعلوميةانا عندي الغدة الدرقية ومتضخمة) فلما طلعت النتيجة قالو فيها علامات ودواير سوداء ومتجرثمة واحتمال كبير تكون متسرطنة وقرروا يسوو لي عملية بشهر تسعة عشان يستأصلوها ويشوفو إذا كانت ورم سرطاني أو مجرد غدة وتضخمت بسبب نقص اليود، من هذاك اليوم وأنا أحوقل وأستغفر

كنت واثقة والله واثقة بقدرة الله إنه مافيني سرطان بالغدة وقبل يومين من العملية طبعا المستشفى في مكة طلعنا اعتمرنا بكيت وانا مقابلة الكعبة وأحوقل وادعي وأستغفر واقرأ قرآن تقريبا قريت ثمان او تسع أجزاء وأبكي على كل كلمة وآية في المصحف ودعيت الله ووكلته أمري لأنه صعبت علي انا راضيه باللي بيصير بس كل شوي أتخيل كيف راح تنقلب حياتي كيف اني بعد العملية بصير اعيش ع كيماوي وبنعزل عن الناس، ياشافي اشفني، ودخلت غرفة العمليات وكلي ثقة بربي وما خابت من اودعت ثقتها بربها الحمدلله الحمدلله اجو بشروني وقالوا انه مجرد تجرثم ومن هالكلام والحمدلله يارب جد شي عظيم وكبير حصل لي شي كبير وربي بهذاك الايام حسيت بمعنى هالاية(فإِنِّي قريبٌ) كنت تعبانة وادعي والاشياء تتحقق مباشرة سبحانك ربي ما اعظمك يامن تجيب دعوة الداعي اذا دعاك اشف جميع مرضى السرطان واجعل الكيماوي يمشي بأوردتهم نعيما واجعله تكفيرا لذنوبهم مبشرا بدخولهم الجنة ياشافي اشفهم اشفهم اشفهم يارب.

الشي الثاني، انه بعد العملية لما كنت منومة كان أنبوب في حلقي عشان يسحب الصديد والدم اللي برقبتي حتى ما انكتم ويضطرون يسوو لي عملية مرة ثانية بس هالشي الانبوب يطلعونه وإنت صاحية مو مبنجة متخيلة!!!! يسحبو برقبتك وانت صاحية؟؟وانت بكامل احاسيسك المهم جات الدكتورة وقالت انه بنطلع لك هذا اللي برقبتك وانا م كنت مستعدة لهالشي محد قال لي الا لما الدكتورة قالت لي انزين وقربت من عندي ودمعت عيوني وقلبي كله يتمتم يارب قالت لي لا تخافين ومسكت ايدي ووصلت عند رقبتي وقلت بصوت مسموع لاحول ولاقوة الا بالله كررتها ثلاث مرات والله وبالله وتالله إنهه مم حسيت ولا بأي ألم وقسم مافيه ألم وضحكت بعدها قالو م أتعبك قلت ابدا اصلا م

حسيت يـارب جـل جلالـه وعظمت قدرتـه ثلاث مـرات ومـا حسـيت بشـي ثلاث مـرات وتبـدل حـالي من وحـدة تبكي لوحدة تضحك

الحمد لله يارب الحمد لله يـارب واللـه يتمم شـفائي اشـياء ومواقف كبيرة انفرجت بسبب الحوقلة والحمد لله.

*** *** ***

الخاتمة

لقد تبين لنـا من خلال هـذه الرسـالة المـوجزة أن الباقيـات الصالحات شأنها عظيم عند الله تعالى إذ بها يُكفِّر السيئات، ويضاعِف الحسنات، ويرفع الدرجات ولو لم يكن فيها سـوى هذا الفضل لكان حريـا بنـا أن نحـرص على الإكثـار منهـا في سائر الأوقات.

كما تـبين أن لهـذه الكلمـات المباركـات دور مهم وكبـير في تزكيـة النفس والـترقي بهـا إلى درجـات الإيمـان ومـراتب الإحسان ومدارج الكمال الأخلاقي، ولا يتم ذلك إلا لمن رتَّبَ لهـا أوراد وصـبر على تكرارهـا أمـا العبـد الملـول فقـلَّ أن تطاوعه نفسه ويصل إلى شيء ممـا يصـبو إليـه ممـا أشـرنا إليه.

وتبين لنا أيضا أنَّ للباقيـات الصـالحات دورهـا الـذي لا يخفى في توسيع الصدر وإذهاب الكدر وتفريج الكرب وإبدال ذلـك

كله بالفرح والسرور وتيسير الأمور وتقوية الإيمان بالله الغفور.

لقد وجد أصحاب القصص التي ذكرناها في مواضعها من بركات الباقيات الصالحات عندما صدقوا مع الله تعالى وتوسلوا بها إلى الله تعالى فاستجاب لهم وفرج كربهم وذلك وعد من الله تعالى لكل من دعى الله بشروط الدعاء المعلومة، وقد قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) سورة البقرة (186).

ففي الآية دلالة على أن من دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية والإيمان به الموجب للاستجابة [192].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ) [193].

يقول ابن عبد البر رحمه الله: (فيه دليل على أنه لا بد من الإجابة على إحدى هذه الأوجه الثلاثة، فعلى هذا يكون تأويل قول الله عز وجل - والله أعلم: (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء) أنه يشاء، وأنه لا مكره له، ويكون قوله عز وجل:

---

[192]- تفسير السعدي.

[193]/ رواه أحمد في " المسند " (17/ـ 213)، وحسنه المحققون في طبعة مؤسسة الرسالة، وجوَّد إسناده المنذري في " الترغيب والترهيب "، وصححه الألباني في " صحيح الأدب المفرد " (547).

(أجيب دعوة الداع إذا دعان) على ظاهره وعمومه، بتأويل حديث أبي سعيد المذكور، والله أعلم بما أراد بقوله، وبما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والدعاء خير كله، وعبادة، وحسن عمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وقد روي عن أبي هريرة أنه كان يقول: ما أخاف أن أحرم الإجابة، ولكني أخاف أن أحرم الدعاء.وهذا عندي على أنه حمل آية الإجابة على العموم والوعد، والله لا يخلف الميعاد)[194].

*** *** ***

أهم المراجع

1- إحياء علوم الدين – لحجة الإسلام الغزالي.

2- الأسماء والصفات - للإمام البيهقي.

3- بغية السالك في أشرف المسالك - للعلامة: محمد بن محمد بن أحمد الساحلي.

4- حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة – تأليف عماد بن زهير حافظ.

5- دراسات في الباقيات الصالحات – للدكتور عبد الرزاق البدر.

194/ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - لابن عبد البر - (10/ 297-299).

6- رسالة الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية - للدكتور عبد الرزاق البدر.

7- تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن.

8- تفسير الفخر الرازي المسمى بالتفسير الكبير.

9- تفسير الآلوسي المسمى بروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني..

10- تفسير السعدي المسمى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

11- تفسير الشنقيطي المسمى بأضواء البيان بإيضاح القرآن بالقرآن.

12- تفسير المنار – للشيخ محمد رشيد رضا.

13- زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة.

14- صحيح البخاري.

15- صحيح مسلم.

16- سنن النسائي.

17- سنن الترمذي.

18- صحيح الترغيب والترهيب - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

19- صحيح الجامع الصغير - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

20- عمل اليوم والليلة – لابن السني.

21- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد إياك نستعين – لابن القيم.

22- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

* مجموعة من المقالات من المواقع الآتية:

23- موقع إسلام ويب.

24- موقع الإسلام سؤال وجواب

25- موقع جامع السنة وشروحها

26- موقع الدرر السنية.

27- موقع طريق الإسلام.

28- موقع شبكة الالوكة.

29- موقع صيد الفوائد.

30- موقع ملتقى الخطباء.

31- موقع الكلم الطيب.

فهارس الموضوعات